



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

قسم الدعوة والاحتساب

تأليف القلوب في الدعوة إلى الله تعالى ضوابطه وآثاره

بحث مقدم لقسم الدعوة والاحتساب لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عبد العزيز بن عبد الرحمن الروضات

إشراف فضيلة الشيخ

الدكتور . أحمد بن محمد أبا بطين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال الله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ
يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾

سورة المتحنة الآية (٨)

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»^(١) ، «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً»^(٢) ، «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً»^{(٣)،(٤)} ، أما بعد ..

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد جبل النفوس على حب المال ، كما قال تعالى : «وتحبون المال حباً جماً»^(٥) . وما دام أن النفوس قد فطرت على ذلك ، فلا عجب أن يكون المال سبباً لتغيير المبادئ وتحويل التصورات في أغلب الأزمنة ومع كثير من الناس لا سيما في هذا الزمان الذي أصبح للمادة فيه نظرة خاصة .

فالناس بوجه عام وبعض المسلمين خاصة ، أصبح الموجه والمؤثر في أفكارهم وتصوراتهم في الدرجة الأولى - غالباً - نظرتهم إلى الحياة من نواحيها المادية .

وهذا يجعل مهمة الدعاة إلى الله في هذا العصر شاقة ثقيلة ، تحتاج إلى إعداد وتخطيط وصبر ، كما تحتاج إلى اختيار الأساليب المناسبة المؤثرة في حياة الناس اليوم ، لينجح الدعاة في أداء مهمتهم الجليلة ، فيستطيعون الوصول إلى قلوب الناس ، فتتفتح العقول من أجل مخاطبتها وإقناعها ، بالقول الصحيح ، والحجة الواضحة .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ .

(٤) «خطبة الحاجة» أخرجها الإمام أحمد ، المسند ، ٣٩٢/١ ، وأخرجها الترمذي ، السنن ، كتاب : النكاح ، باب : ما جاء في خطبة النكاح ، حديث رقم (١٠٥) ٤١٣/٣ ، ط : الثانية ١٤١٣هـ ، دار الدعوة ودار سحنون ، تونس . قال الشيخ الألباني : «وهي تشرع بين يدي كل خطبة ، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة» انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ٣/١ ، ط : الرابعة ١٤٠٥هـ . المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٥) سورة الفجر : ٢٠ .

ومن هذا المنطلق كان للحديث عن الأساليب التي تواكب حياة الناس اليوم - أهمية كبيرة ، ولعل من أهم هذه الأساليب الدعوية استمالة قلوب الناس إلى الدعوة والداعية بشيء من الماديات . ومن هنا جاء موضوع هذه الدراسة وهو « تأليف القلوب في الدعوة إلى الله : ضوابطه و آثاره » .

وفي مقدمتي هذه سأعرف ببعض النقاط المهمة بين يدي هذه الدراسة .

أولاً : التعريف بمفردات البحث الرئيسية

أ - التأليف لغة :

قال ابن منظور «التأليف : المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال»^(١) .

وفي القاموس المحيط «تألف فلاناً : داراه ، وقاربه ، ووصله حتى يستميله إليه»^(٢) .

ومما سبق يتبين أن التأليف يطلق في اللغة ويراد به عدة معان منها :

«الاستمالة ، والمداراة ، والترغيب ، وإيجاد المحبة ، والإيناس» وكل هذه المعاني متقاربة . فالداعية الذي يتألف المدعو ذلك الذي يستميله إلى دين الله ، ويداربه ، ويقربه إليه ، ويرغبه فيه ، ويعيده إلى الأصل الذي يجب أن يكون عليه وهو عبادة الله ، ويحببه في دين الله ويؤنس قلبه بما يعطيه .

ويتضح من المدلول اللغوي أن التأليف إما أن يكون مادياً أو يكون معنوياً ، ولكن لما ذكر الله سبحانه وتعالى في آية الصدقات الآتي ذكرها في الفقرة التالية ، ولما ثبت في النصوص الشرعية في تسمية قوم أعطوا المال «المؤلفة قلوبهم» ، أصبح لفظ تأليف القلوب - غالباً - إذا أطلق فإنه يراد به التأليف المادي ، أما إذا أريد غيره فإنه يكون مقيداً ، فيقال مثلاً : تأليف القلوب بحسن المعاملة .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « ألف » ، ٩/١٠-١٢ ، ط : الأولى ١٤١٠ هـ ، دار صادر ، بيروت .

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة « ألف » ، ١٠٢٥ ، ت : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط :

الثانية ١٤٠٧ هـ ، مؤسسة الرسالة ودار الريان .

ب - تأليف القلوب اصطلاحاً :

قال الله تعالى : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم» (١).

قال الإمام أبو جعفر الطبري : «وأما المؤلفة قلوبهم ، فإنهم قوم كانوا يتألفون على الإسلام ممن لم تصلح نصرته استصلاحاً به نفسه وعشيرته» (٢).

وقال الإمام ابن الأثير : «التألف : المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال» (٣).

وقال الموفق ابن قدامة : «المؤلفة قلوبهم : وهم السادة المطاعون في عشائرتهم ممن يرجى إسلامه ، أو يخشى شره ، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه ، أو إسلام نظيره ، أو جباية الزكاة ممن لا يعطيها ، أو الدفع عن المسلمين» (٤).

وقال الإمام أبو عبد الله القرطبي : «هم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف نيتهم» (٥).

وبناءً على ما تقدم من أقوال الأئمة فإنه يمكن أن يقال في مفهوم تأليف القلوب أنه :
«قيام الداعية باستمالة قلب المدعو بعطاءٍ ماديٍّ بهدف حصول مقاصد
و آثار دعوية» .

ج - الضوابط :

وقال الجوهري : «ضَبَطُ الشيء حفظه بالحزم ، والرجل ضابطٌ : أي حازم» (٦).

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ١١٣/١٠/٦ ، ط : ١٤٠٧ هـ ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون رقم .

(٣) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٦٠/١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ورقم .

(٤) الموفق ابن قدامة المقدسي ، المغني والشرح الكبير ، ٦٩٢/٢ ، ط : الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

(٥) أبو عبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٦/٨ ، ت : د. محمد الحفناوي ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، ١١٣٩/٣ ، ط : الرابعة ، ١٩٩٠ م ، ت : أحمد عبد الغفور عطار ، ط :

الرابعة ١٩٩٠ م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

قال ابن منظور : « الضَّبْطُ : لزومُ الشيءِ وحَبْسُهُ » (١) .

إذاً فمن معاني الضَّبْطِ «الإلزام ، والحبس ، والحفظ بالحزم والشدة» وعليه فإن الضوابط الواردة في عنوان الدراسة أعني بها ما توصلت إليه من خلال البحث من قواعد وأحكام شرعية تحدد بوضوح مسألة تأليف القلوب ، والتي ينبغي أن يراعيها الداعية في دعوته إلى الله - تعالى - .

د - الأثر :

وقال ابن فارس : «الهمزة والشاء والراء له ثلاثة أصول - وذكر منها - ورسم (٢) الشيء الباقي» (٣) . وقال الراغب : «أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده» (٤) .

وقال ابن منظور : «الأثر بقية الشيء والجمع آثار» (٥) .

وقال الجرجاني : «والأثر له ثلاثة معان - وذكر منها - الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء» (٦) . وفي المعجم الوسيط : «الأثر العلامة ، وأثر الشيء بقيته» (٧) .

إذاً فالذي أعنيه بالأثر : ما يترتب على تأليف القلوب وما ينتج عنه من آثار وهي المقاصد الدعوية المتحققة ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة .

هـ - المقاصد :

«القَصْدُ : استقامة الطريق . قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً فهو قاصد ... والقَصْدُ : الاعتماد والامُّ .. والإِقْصَادُ : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه ، وأقْصَدَ السَّهْمُ أي أصاب

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « ضبط » ، ٣٤٠/٧ .

(٢) «الرسم» هو (الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت) انظر : د. إبراهيم مصطفى أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٣٤٥/١ ، ط : المكتبة الإسلامية ، تركيا ، بدون رقم وتاريخ .

(٣) أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، مادة « أثر » ، ٥٣/١ ، ت : عبد السلام هارون ، دار الجليل ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٩ ، ت : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « أثر » ، ٥/٤٠ .

(٦) الجرجاني ، التعريفات ، ٣٠ ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ ، ت : د. عبد الرحمن عميره ، دار عالم الكتب ، بيروت .

(٧) د. إبراهيم مصطفى أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، مادة « أثر » ، ٥/١٨ .

فقتلَ مكانه» (١).

وقال الفيومي : « قَصَدْتُ الشيءَ ... طلبته بعينه ... وأما المُقْصِدُ فيجمع على مقاصد وقَصَدَ في الأمرِ قَصْداً : توسط وطلب الأسدُّ ولم يتجاوز الحدَّ » (٢).

وحيث إن الهدف يعرف في الاصطلاح الدعوى بأنه : «المطلب الذي يوجّه إليه الدعاءُ قصدهم ، أو الغاية التي يسعون من أجلها» (٣).

إذاً فالمقاصد من تأليف القلوب في هذه الدراسة هي : جملة الأهداف الدعوية ، أو الغاية التي يسعى الداعية إلى تحقيقها باستخدامه أسلوب تأليف القلوب .

ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره

من خلال تتبع الباحث لهذا الموضوع في الكتاب والسنة والنظر في واقع الدعوة الإسلامية تظهر أهمية الموضوع ، وأهمية طرحه في مثل هذه الدراسة ، ولعل أبرز النقاط التي سجلها الباحث في هذا الجانب ما يلي :

- ١ - كثرة النصوص الشرعية في الكتاب والسنة ، التي تحدثت عن أسلوب تأليف القلوب ، وأوضحت المنهج الشرعي الصحيح لمفهوم التأليف ومقاصده وضوابطه وآثاره .
- ٢ - مناسبة أسلوب التأليف المادي وأثره الفعال مع المسلم والكافر ، والرجل والمرأة ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ، وذوي الهيئات والمكانة الرفيعة وبسطاء الناس ، وذلك لما فطر الله عليه بني آدم كلهم على حُبِّ المال ، قال تعالى : «وتحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا» (٤) ، لا سيما في عصر طغت فيه الماديات وأصبح لها الدور الفاعل في تغيير التصورات والأفكار .

٣ - أن المتتبع لسيرة الرسول ﷺ يرى كيف كان حرصه ﷺ على تأليف القلوب

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « قصد » ، ٣٠/٣٥٣-٣٥٦ .

(٢) الفيومي ، المصباح المنير ، ٢/٥٠٥ ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) انظر : ص ١١٢ من هذه الدراسة .

(٤) سورة الفجر : ٢٠ .

مادياً عندما أفاء الله عليه بالأموال والغنائم ، والرسول ﷺ هو قدوة الدعاة وأسلوبه أولى الأساليب بالإبراز والبيان والاتباع .

٤ - عناية سلف الأمة - رضوان الله عليهم - بهذا الأسلوب في الدعوة إلى الله -تعالى - ولا بد للدعاة من اتباع خطا السلف الصالح ، واقتفاء أثرهم والسير على منهجهم في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - .

٥ - عظم الأثر المترتب على نجاح الداعية في أسلوب تأليف قلوب الناس سواءً في صلاح الفرد أو المجتمع .

٦ - عدم وجود دراسة علمية متخصصة حديثة مستقلة تفي بأهداف الدراسة الحالية، وتتناول الموضوع من جميع أطرافه .

وحيث إن موضوع الدراسة يتناول الجانب المادي أشير إلى أنه أثناء تتبعي للموضوع في مظانه فقد مرّ بي جملة من النصوص الشرعية والمسائل العلمية الجديرة بتتبعها وتقصيها بدراسة علمية مستقلة ، إذ تمثل الجانب الآخر لهذه الدراسة وهو « تأليف القلوب المعنوي » ولما له من أهمية كبيرة لا تقل عن أهمية موضوع الدراسة الحالية ، ونظراً للارتباط الوثيق بين الموضوعين فإنني عازم بإذن الله تعالى على تسجيل موضوع التأليف المعنوي لرسالة الدكتوراه ، فأسأل الله العون والتوفيق والسداد .

ثالثاً : الدراسات السابقة والتراكمات العلمية

يصعب العثور على دراسة مستقلة تتناول أطراف الموضوع من جميع جوانبه ، وإن كان الباحث قد وجد العديد من الدراسات التي تناولت الموضوع إما من ناحية تاريخية محضة، وهذا شأنه كثير في كتب السيرة النبوية ، أو من ناحية حديثة أو من ناحية فقهية ، ولعل أهم تلك الدراسات الفقهية التي وقفت عليها ما يلي :-

أولاً : الدراسات الجامعية :

١ - « فقها الزكاة »^(١) : هذه الدراسة عبارة عن دراسة مقارنة لأحكام الزكاة

(١) المؤلف الدكتور : يوسف القرظوي ، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة مقارنة لأحكام الزكاة وهو أطروحة رسالة الدكتوراه ، وقد نشرته مؤسسة الرسالة في طبعته الحادية والعشرين ١٤١٣هـ في مجلدين كبيرين بنحو ١٢٢٧ صفحة من القطع العادي .

وفلسفتها في الفقه الإسلامي ، ولقد تعرض الباحث في هذه الدراسة إلى أهم القضايا الإسلامية المعاصرة مما لها صلة بموضوع البحث فوهاها حقها .

وقد قسم المؤلف دراسته إلى تسعة أبواب ، تحدث في الباب الأول عن وجوب الزكاة ومنزلتها في الإسلام ، والباب الثاني خصه بالحديث عن تجب عليهم الزكاة ، وفي الباب الثالث كان حديثه عن الأموال التي تجب فيها الزكاة والمقدار الواجب في كل منها ، وقد قسم هذا الباب إلى عشرة فصول وقسم كل فصل إلى عدة مباحث .

وأما الباب الرابع فإنه تطرق فيه للحديث عن مصارف الزكاة وقسم هذا الباب إلى تسعة فصول ، وفي الفصل الثالث منها تحدث عن المؤلفات قلوبهم ، وهذا ما سيفيد منه الباحث في الدراسة الحالية ، ولقد كانت أهم قضايا النقاش في هذا الفصل المباحث التالية:

« أقسام المؤلفات قلوبهم ، هل سقط سهم المؤلفات قلوبهم بعد موت الرسول ﷺ ، إبطال دعوى النسخ ، الحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع ، أين يصرف سهم المؤلفات في عصرنا ، جواز التأليف من غير مال الزكاة » .

ثم تحدث المؤلف في الباب الخامس عن طريقة أداء الزكاة ، وقسم هذا الباب إلى ستة فصول ، والباب السادس تطرق فيه لأهداف الزكاة وآثارها في حياة الفرد والمجتمع ، وقسم هذا الباب إلى فصلين سيفيد منها الباحث في الدراسة الحالية بإذن الله تعالى .

وأما الباب السابع من هذه الدراسة فقد خصه المؤلف عن زكاة الفطر ، وتعرض في الباب الثامن للإجابة على السؤال التالي : هل في المال حق سوى الزكاة ؟

وفي آخر باب من هذه الدراسة ناقش المؤلف نقاشاً علمياً موضوع الضريبة والفرق بينها وبين الزكاة في الإسلام .

والذي يعن النظر في هذه الفصول والمباحث يتضح له أن دراسة المؤلف على أهميتها الكبيرة فقد جاء معظمها في النواحي الفقهية البحتة ، خلافاً لما ستكون عليه الدراسة الحالية للموضوع ، رغم الاستفادة من هذه الدراسة في مواضع دعوية كثيرة .

٢ - «مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية»^(١) لقد تحدث المؤلف - رحمه الله تعالى - عن مصارف الزكاة الثمانية وقسم دراسته إلى بابين ، فأما الباب الأول فيتعلق بمصارف الزكاة الثمانية ، وقد قسم هذا الباب على عدد المصارف ، وأما الباب الثاني: فقد تحدث فيه عن الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة . وما يتعلق بالدراسة الحالية من هذه الدراسة قليل جداً بالنسبة لحجم الكتاب ، فالحديث عن المؤلف قلوبهم في الباب الأول جاء في ثمان صفحات ، وأما الباب الثاني فإنه سيفيد الدراسة الحالية عند الحديث عن المشروعية ، وهذه الدراسة فقهية بحته محصورة في التأليف المباشر بمال الزكاة فقط خلافاً لما ستكون عليه الدراسة الحالية لأنها ستكون أعم وأشمل بإذن الله تعالى .

٣ - «مصرف المؤلف قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة»^(٢) :

هذه الدراسة عبارة عن محاولة جادة للاستفادة من تأليف القلوب في الدعوة إلى الله تعالى - في العصر الحاضر .

وقد تحدث المؤلف في الفصل الأول عن مصارف الزكاة الثمانية ثم خصص مبحثاً وأفاض فيه القول عن تعريف التأليف ثم استعرض النماذج العملية لتأليف النبي ﷺ القلوب مادياً .

وأما الفصل الثاني فقد جعله خاصاً بالدراسة الفقهية للموضوع ، فاستعرض آراء العلماء حول بقاء حكم التأليف ، وهل هو خاص بالرسول ﷺ أم عام له ولسائر الأمة ؟ ثم أوضح مدى الحاجة إلى التأليف عموماً ، وفي المبحث الثاني ناقش بإسهاب موقف المانعين من إعطاء المؤلف قلوبهم .

وأما في الفصل الثالث فقد ناقش المؤلف ما يتعلق بموضوع التأليف في العصر الحاضر ، واستعرض نشاط المنصرين في بعض البلاد الإسلامية ، وذلك لبيان الحاجة الماسة

(١) الباحث فضيلة الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله - رحمه الله تعالى - والدراسة بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء ، وتقع الدراسة في ١٢٥ صفحة الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ والناسر المكتب الاسلامي ، بيروت ، ومكتبة الحرمين ، مكة المكرمة .

(٢) الباحث هو د. حسين بن محمد آل الشيخ ، ودرسته هذه عبارة عن بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٣هـ وتقع دراسته في ١٥٠ صفحة - وحسب علمي - فإن البحث لم يطبع بعد .

للتأليف في هذا العصر ، وفي المبحث الثالث من هذا الفصل استعرض بعض النماذج العملية للجهات التي تقوم بتأليف القلوب على المستوى الرسمي وعلى مستوى الجماعات والأفراد ، وناقش القضايا المتعلقة بالموضوع من هذه الناحية .

وسيفيد الباحث بإذن الله تعالى من هذه الدراسة كثيراً ولا سيما النواحي التالية :

- نماذج من تأليف الرسول ﷺ للقلوب .
- مسألة بقاء حكم التأليف وما يتعلق به من الناحية الفقهية .
- مواقف الصحابة من مشروعية التأليف لا سيما المانعين .
- التأليف في العصر الحاضر وضرورته .
- النماذج العملية للتأليف في هذا العصر .

ويلاحظ أن هذه الدراسة على أهميتها الكبيرة في موضوع الدراسة الحالية إلا أن هذه الدراسة لم تف بجانب وسائل وطرق التأليف وضوابطه ، ولم تتطرق إلى آثار التأليف الدعوية ، خلافاً لما ستكون عليه الدراسة الحالية بإذن الله تعالى ، فقد بذلت قصارى الجهد لتكون الدراسة الحالية أعم وأشمل ، والتوفيق بيد الله تبارك وتعالى .

ثانياً : البحوث والتراكمات العلمية :

١ - « تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات »^(١) لقد قام المؤلف بدراسة الموضوع من الناحية الفقهية وعرج على مواضع دعوية كثيرة ولكن بشكل مختصر ، وقسم الدراسة إلى خمسة فصول وملحق .

فأما الفصل الأول فقد تحدث فيه عن تعريف التأليف في اللغة والاصطلاح ، وتناول أيضاً حكمة التأليف .

وأما الفصل الثاني فقد جعله حول مذاهب العلماء في حكم إعطاء المؤلف قلوبهم من

(١) مؤلفه : د. عمر سليمان الأشقر ، والكتاب عبارة عن بحث مقدم للأمانة العامة للهيئة الشرعية العالمية للزكاة ، وقد طبع هذا البحث طبعه أولى ١٤١٢ هـ ، ونشرته دار النفائس بالكويت ، وذلك ضمن سلسلة « نحو فقه إسلامي أصيل » للمؤلف نفسه وتقع الدراسة بنحو ٧٤ صفحة من القطع العادي .

أموال الصدقات «الزكاة» .

وأما الفصل الثالث من الدراسة فقد أوضح المؤلف فيه شروط التأليف على الإسلام بأموال الصدقات وتحدث عن أربعة شروط وناقشها باختصار .

وأما الفصل الرابع من الدراسة فقد قام المؤلف فيه ببيان حاجة المسلمين اليوم إلى التأليف على الإسلام بالصدقات ، ثم بين الأحوال التي ينفق عليها من هذا السهم .

وأما الفصل الخامس والأخير فقد خصه لبيان المقدار الذي ينفق على سهم المؤلفين قلوبهم ثم جعل ملحقاً خاصاً في آخر البحث وهو مختصر جداً عن تأليف الكفار قلوب المؤمنين على الكفر .

٢ - «الدعوة قواعداً وأصولاً»^(١) وقد تحدث المؤلف عن بعض القواعد في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - ، وذلك بعد أن تحدث في ثلاثة فصول عن التأسيس الشرعي لبعض قضايا الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - ، فأما الفصل الأول فقد كان الحديث عن أصول الدعوة وتعريفها وغير ذلك مما يتعلق بالتأسيس ، وأما الفصل الثاني فقد تحدث عن الدعوة والداعية وصفات الداعي ، وفي الفصل الثالث كان حديث المؤلف عن منهج الرسل في الدعوة إلى الله .

ثم ذكر في الفصل الرابع عشر قواعد في الدعوة إلى الله يربط كل قاعدة منها بالدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ وجعل الحديث في القاعدة الثانية منها عن «التأليف قبل التعريف» ويقصد بها أن يؤلف قلب المدعو ويرغب قبل أن يعرف بما يجب عليه ، وحديثه عن التأليف جاء عاماً ، ولكنه أشار في مبحث لا يتجاوز خمس صفحات إلى إعطاء المدعو بعض الهدايا والعطايا تأليفاً لقلبه ، وقد تحدث عن مسائل مهمة جداً سيفيد منها الباحث بإذن الله تعالى في دراسته .

(١) المؤلف جمعة أمين عبد العزيز ، وتقع هذه الدراسة في كتاب من القطع العادي بنحو من ٢٥٠ صفحة وقد نشرته دار الدعوة عام ١٤٠٩ هـ في الإسكندرية .

رابعاً : أهداف الدراسة

إن الذي ينظر نظرة عامة إلى تلك الدراسات والبحوث يجد أنها قد أثرت موضوع البحث من جانبه الفقهي ، ولكنها اقتصرت على هذا الجانب فحسب ، ومنها ما تناول بعض الجوانب الدعوية ، ولكنها إما بشكل مختصر أو محصورة في جانب دعوي دون آخر، ولذلك فإنها لا تفي بأهداف الدراسة الحالية . وحيث إن الأمر كذلك فإن الباحث سيفيد من هذه الدراسات إفادة مباشرة عند تحرير المسائل الفقهية العلمية ، وسيكون التركيز في البحث منصباً على الجوانب الدعوية في الموضوع خلافاً لما عليه تلك الدراسات.

ويمكن أن يسجل الباحث فيما يلي أهداف دراسته الحالية بإذن الله - تعالى :-

- ١ - إيضاح مفهوم تأليف القلوب وتأصيل الموضوع من الكتاب والسنة .
- ٢ - بيان الأهداف والمقاصد الشرعية المتحققة من خلال أسلوب التأليف .
- ٣ - ضبط عملية استخدام أسلوب التأليف في الدعوة إلى الله بالأحكام والقواعد المستنبطة من نصوص الكتاب والسنة ، مما يكون سبباً في استخدام أسلوب التأليف بصورة معتدلة ومنظمة عند الحاجة إلى ذلك وثبوت جدواه .
- ٤ - بيان الآثار الإيجابية المترتبة على استخدام أسلوب التأليف في الدعوة إلى الله -تعالى- .
- ٥ - محاولة الاستفادة مما توصلت إليه في واقع الدعوة الإسلامية المعاصرة .

خامساً : المشكلة البحثية وتساؤلات البحث

إن الشعور بمشكلة قائمة تحتاج إلى حل ومعالجة - يتطلب دراسة علمية متأنية^(١) . وعلى حسب تقدير الباحث - والله تعالى أعلم - فإن الأهداف الدعوية والعلمية السالفة

(١) انظر : د. عبد الوهاب أبو سليمان : كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية ، ٤٧/١ ، ط : الأولى ١٤١٣ هـ ،

دار الشروق بجدة.

الذكر لهذه الدراسة ، لم تتحقق بالشكل المطلوب في تلك الدراسات ، وهنا تقع المشكلة التي سعى الباحث لمعالجتها - بإذن الله تعالى - وذلك من خلال الإجابة على ما يستثيره من تساؤلات تتعلق بهذه المشكلة ، ولعل أهم هذه التساؤلات المتعلقة بمشكلة البحث ما يلي:

- ١ - ما مكانة تأليف القلوب في كتاب الله - سبحانه وتعالى - وفي سنة رسوله ﷺ .
- ٢ - ما مكانة تأليف القلوب بين أساليب الدعوة إلى الله تعالى ؟
- ٣ - ما أنواع تأليف القلوب ؟
- ٤ - ما مقاصد تأليف القلوب وغاياته التي ينبغي أن يتجه إليها ؟
- ٥ - ما ضوابط تأليف القلوب التي يجب أن يلتزم بها الداعية عند استخدامه هذا الأسلوب ؟
- ٦ - ما الآثار الدعوية المباشرة وغير المباشرة لأسلوب تأليف القلوب ؟

سادساً : منهج البحث

منهج البحث هو الطريقة الصحيحة المختارة لتنظيم الأفكار من أجل الكشف عن الحقائق^(١) ، وبناءً عليه ، وعلى تلك التساؤلات المطروحة لمعالجة الموضوع عند تحديد مشكلة البحث ، وبناءً على طبيعة الموضوع - فإنه لا بد من الاعتماد في هذا البحث - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى - على الدمج بين المناهج البحثية التالية : المنهج الاستقرائي ، ومنهج الاسترداد التاريخي ، والمنهج التحليلي الاستنباطي^(٢) ، حيث قمت باسترداد النصوص الشرعية واستقرائها ثم تحليلها لاستنباط بعض الأحكام والقواعد وكذلك رصد الآثار من خلال تلك النصوص للاستفادة منها في الواقع .

وقد عنيت بأمور مهمة مكتملة للمنهج المختار في هذه الدراسة ، ومنها :

- ١ - عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها ، فأذكر اسم السورة ثم رقم

الآية مباشرة .

(١) انظر : د . عبد الوهاب أبو سليمان ، منهج البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية ، ٦٠/١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

٢ - جاءت النصوص والشواهد في الدراسة عامة من كتب الحديث والسيرة النبوية ، وفي الغالب كانت الروايات من الصحيحين ومسند الإمام أحمد ، وذلك للأسباب التالية :
أ - الحرص على عدم الاستدلال إلا بالصحيح . فأما ما كان في البخاري ، ومسلم ، فقد اكتفيت بتخريج الحديث بعزوه إلى موضعه ، لمنزلة هذين الكتابين من الصحة ، وأما ما كان في مسند الإمام أحمد فقد اجتهدت في الحكم على الأحاديث المخرجة منه ، معتمداً على تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاکر ، وتتمة التحقيق لحسن عباس قطب وزميليه ، وتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وحكمه على بعض أحاديث المسند .

ب - ما وجدته في الصحيحين مع الروايات الصحيحة في المسند ، فيه الغنية التامة لمعالجة الموضوع لشمولية روايات المسند مع الصحيحين .

ج - الحرص على عدم الإطالة في نَقَسِ البحث مع تحقق أهدافه فيما ذكر .

وقد اعتمدت في العزوَ لهذه الكتب على النسخ التالية :

نسخة صحيح البخاري التي خدمها الأخوان : محمد وهيثم ابنا نزار تميم ، لأنها جمعت الصحيح في جلد واحد مما يسهل عملية البحث بسرعة ، ولأنها مرقمة بما يتوافق ومعاجم التخريج ، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ولأن هذه النسخة قد اعتمدت على نسخ خطية ، ولذِكْرِ المحققين المتفق عليه من الأحاديث ، وعزوه إلى مسلم في موضعه ورقمه ، والناشر لهذه النسخة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم في بيروت ، دون ذكر رقم ولا تاريخ .

واعتمدت لصحيح مسلم نسخة الصحيح المطبوع مع شرحه للإمام النووي ، والمحققة من قبل فضيلة الشيخ خليل الميس وجمع من العلماء ، والناشر لهذه النسخة دار القلم في بيروت .

وأما المسند فقد اعتمدت النسخة المطبوعة ضمن موسوعة السنة ، والذي أشرف عليه ورقمة د. بدر الدين جتین آر ، والناشر لهذه النسخة دار سحنون ودار الدعوة، في تونس .

وأما الحكم على أحاديث المسند فقد اعتمدت شرحه للشيخ أحمد شاكر ، فقد خدم أحاديث المسند - من حيث الحكم والترقيم والفهارس - خدمة جلييلة ، والناشر لهذه النسخة دار المعارف بمصر . وكذلك تنمة شرح المسند لحسن عباس قطب ورفاقه ، لسير المحققين في التتمة على منهج الشيخ أحمد شاكر ، ولاشتمال التحقيق على آراء الأئمة الأجلاء في الحديث من السلف والمعاصرين ، ولموافقة ترقيمها معاجم التخريج ، ولقابلتها على نسخ خطية ، والناشر للتتمة مؤسسة قرطبة بمصر .

وكان منهجي بشكل عام في تخريج الأحاديث ما يلي :

ذكر اسم الإمام ثم اسم الكتاب من الصحيح ، ثم اسم الباب ، ثم رقم الحديث ، ثم رقم الجزء ثم رقم الصفحة .

وأما المسند فأذكر اسم الإمام ، ثم رقم الجزء والصفحة ، أما إذا كان الحديث قد روي في غير الكتب السالفة الذكر فإني أذكر اسم الكتاب بعد اسم المصنف مباشرة .

٣ - روايات ونصوص السيرة النبوية ، حاولت جاهداً - بعد عزو كل منها إلى مصدره - الحكم عليها ، وقد وفقت - بفضل الله - لذلك في بعضها ، وما لم أجد الحكم عليه فقد اكتفيت بتخرجه في موضعه .

٤ - حاولت عزو كل معلومة سطرته - معنى أو نصاً - إلى أصحابها في كتبهم ، وذلك على النحو التالي :

أ - إذا كانت المعلومة أخذت بالمعنى أو نقلت نصاً ولكني تصرفتها فيها فإني أجعل بعد رقم الإحالة مباشرة كلمة : انظر .

ب - أذكر اسم المؤلف ، ثم اسم الكتاب ، ثم رقم الجزء ، ثم رقم الصفحة مباشرة ، وإذا كان ورود المرجع لأول مرة ، فإني أسجل معلومات إضافية كرقم الطبعة وتاريخها ، ومحققها ، ودار النشر ومكانها .

ج - إذا كانت الأجزاء مرقمة أرقاماً تختلف عن المجلدات فإني أذكر رقم المجلد ثم رقم الجزء ثم رقم الصفحة .

- د - استخدمت بعض الرموز أثناء العزو بغية الاختصار فيه ، وذلك كما يلي :
- ت : اسم المحقق .
د : الرتبة العلمية «الدكتور» .
- ط : تاريخ ورقم الطبعة .
ص : الإشارة إلى رقم الصفحة .
- هـ - أي معلومة إضافية في الحاشية كالحكم على الأحاديث ، ففي الغالب أتقيد بالنقاط الأربع السالفة ، وأقدمها بكلمة «انظر» .
- هـ - قمت بإيضاح الألفاظ الغامضة ، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية ، وشرح الحديث .
- ٦ - ذكرت نبذة موجزة جداً للتعريف بالأماكن حسب الإمكان ، وذلك بالرجوع إلى المعاجم الجغرافية ، واعتمدت على : معجم البلدان لياقوت الحموي ، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد الحميري .
- ٧ - ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في متن الرسالة ممن لهم علاقة مباشرة بموضوع الدراسة ، واستثنيت من ذلك ما يلي :
- أ - لا أترجم للمشهورين من الصحابة كالعشرة المبشرين بالجنة .
- ب - لا أترجم للرواة إلا ما كان لترجمته صلة بالموضوع .
- ج - لا أترجم للأئمة والعلماء من المفسرين والفقهاء والمحدثين والحفاظ وغيرهم .
- د - من لم أجد ترجمته تركته وسكت عنه ، وهذا قليل جداً بفضل الله تعالى .
- ولقد اعتمدت في الترجمة على الكتب التالية : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، وشرحي البخاري ومسلم لابن حجر والنووي .
- وحاولت أن تكون الترجمة فيها إبراز الجانِب الدعوي من خلال الإشارة إلى أعمال المترجم له .
- وقد كان هذا منهجي في الترجمة لكي لا أثقل كاهل البحث بكثرة التراجم لمن لا علاقة له بموضوع الدراسة .

٨ - قدمت لكل فصل بتمهيد ، إذا احتاج الأمر لذلك .

٩ - ربما تكرر ذكر الشاهد الواحد في أكثر من موضع ، وذلك لاشتمال بعض الأخبار والشواهد على فوائد عديدة يذكر وجه الاستشهاد بالخبر لكل موضع إما قبل ذكره أو بعده ، وحيث إن الفصلين الأخيرين يعتبران دراسة مستنبطة من شواهد الفصل الأول والثاني فسيلحظ كثرة الإحالة إلى موضع الشاهد كما يلي : « سبق تخريجه » ثم أذكر رقم الصفحة التي خرجت الشاهد فيها عند وروده أول مرة في الدراسة .

١٠ - قدمت للبحث بمقدمة شاملة لكل ما يتعلق بالأمر اللازم معرفتها قبل الدراسة ، ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج ، والتوصيات التي رآها الباحث .

١١ - قمت بعمل فهرس لإتمام خدمة الموضوع بشكل أفضل ، وجاءت على النحو

التالي :

أ - فهرس للآيات مرتبة حسب ترتيب سور وآيات القرآن الكريم .

ب - فهرس للأحاديث الواردة مرتبة ترتيباً هجائياً .

ج - فهرس للآثار الواردة مرتبة ترتيباً هجائياً .

د - فهرس للقصاص والسيرة النبوية مرتبة حسب ورودها في الدراسة .

هـ - فهرس للأعلام المترجم لهم ، حسب الترتيب الهجائي .

و - فهرس للألفاظ الغريبة ، مرتبة هجائياً .

ز - فهرس لقائمة المراجع مرتبة هجائياً على اسم المصنف .

ح - فهرس تفصيلي للموضوعات .

سابعاً : تقسيم الدراسة

المقدمة :

- التعريف بمفردات البحث .

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

- الدراسات السابقة والتراكمات العلمية .

- أهداف الدراسة .
 - مشكلة البحث وتساؤلاته .
 - منهج البحث .
 - تقسيم الدراسة .
 - الشكر والتقدير .
- الفصل الأول : مفهوم تأليف القلوب ومكانته وأنواعه .
- المبحث الأول / مفهوم تأليف القلوب .
 - المبحث الثاني / مكانة التأليف في النصوص الشرعية .
 - المبحث الثالث / مكانة التأليف بين أساليب الدعوة .
 - المبحث الرابع / أنواع تأليف القلوب .
- الفصل الثاني : مقاصد تأليف القلوب
- المبحث الأول / تأليف المدعو للدخول في الإسلام .
 - المبحث الثاني / تأليف المدعو لزيادة إيمانه .
 - المبحث الثالث / تأليف المدعو لحماية من الردة .
 - المبحث الرابع / تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقاءه على الكفر .
 - المبحث الخامس / تأليف المدعو لكف شره مع بقاءه على الكفر .
- الفصل الثالث : ضوابط تأليف القلوب .
- المبحث الأول / سلامة وسائل التأليف .
 - المبحث الثاني / صواب الغاية من التأليف .
 - المبحث الثالث / رعاية المصالح في التأليف .
- الفصل الرابع : آثار تأليف القلوب .
- المبحث الأول / آثار التأليف المباشرة .
 - المبحث الثاني / آثار التأليف غير المباشرة .
 - الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

ثامناً : شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره وأثني عليه بما هو أهله فله الفضل والمنة ، لما وفقني ويسر لي كتابة هذا البحث ، فالحمد لله على كل حالٍ أولاً وآخراً ، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين . وأول من أتقدم له بالشكر والدعاء ، والدَيَّ العزيزين اللذين كان لهما الفضل بعد الله في وجودي ، وأشكرهما على ما قدماه لي من دعم وتحفيز بسؤالهما إياي ومتابعتهما لي متابعة لا تنقطع بالسؤال والدعاء ، فجزى الله والدي عني أفضل ما جزى به والداً عن ولده ، وغفر الله لوالدتي وأسكنها فسيح جناته فقد وافاها أجلها قبل أن تقر عينها بإنجاز رسالتي فرحمها الله رحمة واسعة . ثم أتقدم بالشكر الجزيل للمشرف على هذه الدراسة فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد بن محمد أبابطين ، الذي غمرني بلطفه ، ومحضني خالص نصحه ، فعاملني معاملة الأب الحاني على ابنه ، طوال فترة بحثي ، فاستفدت من علمه ، وتواضعه ، ورأيه ، فكان خير معين لي بعد الله سبحانه لإنجاز دراستي فجزاه الله عني خير ما جزى به شيخاً عن طلابه ، وأسأل الله أن يمتعته بالصحة والعافية على عمل صالح وعمر طويل .

كما أشكر فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ زيد بن عبد الكريم الزيد ، والشيخ الدكتور/ حمد بن ناصر العمار ، حيث كان لهما الفضل - بعد الله سبحانه - في تقسيم الدراسة ، وسيرها على هذا المنوال ، ولم يبخل عليّ - عند الرجوع إليهما - بالتوجيه والإرشاد والمشورة فجزاهما الله عني خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة والعطاء .

والشكر موصول للشيخ الأستاذ الدكتور / فضل إلهي بن شيخ ظهور إلهي ، والأستاذ الشيخ الدكتور / سيد محمد الشنقيطي اللذين قبلًا مناقشة الرسالة وتصويبها فعسى الله أن يحفظهما ويجزيهما خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وبخاصة كلية الدعوة والإعلام ، والمسؤولين فيها ، وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية ، على كل ما بذلوه وبذلونه لطلاب العلم من دعم وبذل وتوجيه .

كما أشكر كل من كان له فضل عليّ في هذا البحث من الأساتذة والزملاء والأهل والأولاد .

هذا والله وليُّ التوفيق والهادي إلى سواء الصراط ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

مفهوم تأليف القلوب ومكانته وأنواعه

المبحث الأول
مفهوم تأليف القلوب

المبحث الثاني
مكانة تأليف القلوب في النصوص الشرعية

المبحث الثالث
مكانة تأليف القلوب بين أساليب الدعوة

المبحث الرابع
أنواع تأليف القلوب

الفصل الأول

مفهوم تأليف القلوب ومكانته وأنواعه

تهديد :

سوف أعرض في هذا الفصل لبيان مفهوم تأليف القلوب في اللغة والاصطلاح، ثم سأتطرق إلى إيضاح مكانة التأليف في الكتاب والسنة، وماورد عن السلف فيما يتعلق بالتأليف والخلاف الفقهي الدائر في بعض مسائله، ونظراً لأهمية هذه النقطة فسأطيل النفس فيها قليلاً .

ثم سأتحدث عن أهمية التأليف وذلك من خلال إبراز مكانته بين أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وهذا يستلزم مني أن ألمح بإيجاز لأساليب الدعوة العملية والقولية، ثم بعد ذلك أبين مكانة التأليف بينها .

وأخيراً سيكون الكلام منصّباً لبيان أنواع التأليف لإتمام المادة العلمية في هذه الدراسة .
ولذلك فستكون الدراسة في هذا الفصل كما في المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم تأليف القلوب .

المبحث الثاني : مكانة التأليف في النصوص الشرعية .

المبحث الثالث : مكانة التأليف بين أساليب الدعوة .

المبحث الرابع : أنواع تأليف القلوب .

المبحث الأول
مفهوم تأليف القلوب

المطلب الأول
المفهوم اللغوي

المطلب الثاني
المفهوم الاصطلاحي

المبحث الأول مفهوم تأليف القلوب

لكي يتضح المفهوم فإنه لابد من معرفة المراد بالتأليف لغة ، واصطلاحاً ،
ولذلك فستكون الدراسة مقسمة في هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : المفهوم اللغوي .

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي .

المطلب الأول : المفهوم اللغوي :

تطلق كلمة «التأليف» في اللغة ويراد بها عدة معانٍ منها : الاستمالة والمداراة والإيناس
والتجميع والتقريب .

قال الجوهري : « وألفت بين الشيئين تأليفاً ، فتألفاً ، وأتلفاً ، يقال أيضاً : ألفت مؤلفاً ،
أي مكلمة ، وتألفته على الإسلام ، ومنه المؤلفقة قلوبهم »^(١) .

وقال الراغب الأصفهاني : « المؤلف ما جمع من أجزاء مختلفة ، ورتب ترتيباً قدم فيه
ماحقه أن يُقدم وآخر فيه ماحقه أن يُؤخر »^(٢) .

وقال ابن الأثير : « التألف المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من
المال »^(٣) .

(١) الجوهري ، الصحاح ، مادة « ألفت » ، ١٣٣٢/٤ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٢٠-٢٥ ، ط : بدون رقم وتاريخ ، ت : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة
بيروت .

(٣) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٦٠/١ . وانظر كذلك : ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/١٠-١٢ .

وقال ابن منظور : « بتألفهم : أي بمقاربتهم وإعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الإسلام... وألفته إلفاً من باب علم : أنست به وأحبته ، والاسم الألفة « بالضم » والألفة أيضاً من الإئتلاف وهو الائتنام والاجتماع »^(١) .

وقال الفيروز آبادي : « تألف فلاناً : داراه ، وقاربه ووصله ، حتى يستميله إليه ... ألفت بينهما تأليفاً : أوقع الألفة »^(٢) .

إذاً فالتأليف في اللغة العربية من معانيه المتعددة : « الاستمالة ، والإيناس ، والتجميع ، والتقريب ، وإيجاد المحبة .

ولقد جاء استخدام هذه المعاني في الكتاب والسنة ومن ذلك قوله - تعالى - : « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم »^(٣) .

قال القرطبي : « أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج »^(٤) .

وقوله - تعالى - : « ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه »^(٥) .

وقوله - تعالى - : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم »^(٦) .

ومن ذلك أيضاً مارواه جندب بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - : « اقرؤا القرآن ما

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/١٠-١٢ .

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٢٥-١٠ .

(٣) سورة الأنفال : ٦٣ .

(٤) الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٤٥/٨ ، مراجعة وتخريج : د. محمد الحفناوي ، د. محمد عثمان ،

ط: الأولى ١٤١٤هـ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٥) سورة النور : ٤٣ .

(٦) سورة آل عمران : ١٠٣ .

اختلفت عليه قلوبكم»^(١). وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي - ﷺ - قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(٢). وعن عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال: «...وكنتم متفرقين فألفكم الله بي...»^(٣).

وجميع المعاني السابقة متقاربة مقصودة في موضوع هذه الدراسة ، فالداعية الذي يتألف المدعو هو الذي يستميله إلى دين الله ويجمع قلبه على الحق ويقربه منه ويؤانسه ويرغبه وفي هذا مداراة له ، وهو بهذا العمل يعيده إلى الأصل الذي يجب أن يكون عليه وهو عبادة الله - سبحانه وتعالى - ولعل هذه المعاني للتأليف موقعها من الإنسان في قلبه ؛ إذ هو موضع التأثير المعنوي ؛ فالاستمالة ، والحب ، والرغبة ... تقع على القلب بسبب مادي أو معنوي . فالقلب هو موضع هذه المعاني ، وللقلب أثره على سائر الأعضاء ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقع ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي

-
- (١) أخرجه البخاري ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : اقرؤا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ، حديث رقم (٥٠٦٠) ، ١١١٤ ، ترقيم : محمد وهيثم نزار تميم ، ط : شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، . وأخرجه مسلم ، كتاب : العلم ، باب : النهي عن اتباع متشابه القرآن ، حديث رقم (٢٦٦٧) ، ٢٠٥٣/٣ ، ت : لجنة من العلماء بإشراف الناشر ومراجعة : الشيخ خليل الميس ، ط : الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار القلم ، بيروت .
- (٢) أخرجه البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : الأرواح جنود مجندة ، حديث رقم (٣٣٣٦) ، ٧٠٠ . وأخرجه مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : الأرواح جنود مجندة ، حديث رقم (٢٦٣٨) ، ٢٠٣١/٣ .
- (٣) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٣٠) ، ٩٠٠ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي ، حديث رقم (١٠٦١) ، ١٦٣/٧ .

القلب»^(١).

وبهذا يتضح أن القلب هو الملك على سائر البدن ، والقلب هو موضع التأثر والاستمالة ، ولذلك فإن لفظة « التأليف » إذا ما استخدمت في مثل هذه الدراسة لاتأتي في الغالب إلا مضافة للقلوب ، فيقال مثلاً : تأليف القلوب ، والمؤلفة قلوبهم .

والذي يعنى النظر في المدلولات اللغوية للتأليف وما كتبه الأمة والعلماء في المفهوم الاصطلاحي يلاحظ أن الأصل في التأليف أن يكون معنوياً بحسن المعاملة وسلامة المنطق وسلاسة الأسلوب وجاذبية الخلق والسلوك ، كما يكون مادياً ببذل شيء من المال أو غيره ، ولكن لما ذكر الله - سبحانه وتعالى - في آية الصدقات^(٢) « والمؤلفة قلوبهم » ، ولما ثبت من استخدام هذا الاسم « المؤلفة قلوبهم » في السيرة النبوية عند ذكر عطاءه - ﷺ - في حنين وغيرها أصبح لفظ « تأليف القلوب » غالباً إذا أطلق فإنه يراد به التأليف المادي ، أما إذا أريد غيره فإنه لا يأتي إلا مقيداً فيقال مثلاً : تأليف القلوب بحسن المعاملة ولين الكلام .

-
- (١) أخرجه البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : من استبرأ لدينه وعرضه ، حديث رقم (٥٢) ، ٢٦ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات ، حديث رقم (١٥٩٩) ، ١٢١٩/٢ .
- (٢) آية الصدقات هي قول الله - سبحانه وتعالى - : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . سورة التوبة : ٦٠ .

المطلب الثاني / المفهوم الاصطلاحي لتأليف القلوب :

قال الله - سبحانه وتعالى - : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »^(١).

قال الإمام الطبري : « وأما المؤلفة قلوبهم فإنهم قوم كانوا يتألفون على الإسلام ممن لم تصلح نصرته استصلاحاً به نفسه وعشيرته »^(٢).

وقال الإمام القرطبي : « هم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف نيتهم »^(٣).

وقال الموفق ابن قدامة : « المؤلفة قلوبهم : وهم السادة المطاعون في عشائرتهم ممن يرجى إسلامه ، أو يخشى شره ، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه ، أو إسلام نظيره ، أو جباية الزكاة ممن لا يعطيها ، أو الدفع عن المسلمين »^(٤).

وقال ابن منظور : « المؤلفة قلوبهم في آية الصدقات قوم من سادات العرب أمر الله نبيه - ﷺ - في أول الإسلام بتألفهم : أي بمقاربتهم وإعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الإسلام فلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم على أن يكونوا إلباً^(٥) مع الكفار على المسلمين »^(٦).

وقال الراغب الأصفهاني : « والمؤلفة : هم الذين يتحرى فيهم بتفقدهم أن يصيروا من جملة

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ١١٢/١٠/٦ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧٨/٨ .

(٤) ابن قدامة المقدسي ، المغني والشرح الكبير ، ٦٩٢/٢ ، ط : الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

(٥) التألب هو الاجتماع على الظلم والعدوان . قال الفيروز آبادي : « وهم عليه ألب وإلب واحد : مجتمعون عليه بالظلم

والعداوة » انظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٧٦ .

(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠/٩ - ١٢ .

من وصفهم الله (لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم)^(١) «^(٢) .
فالمؤلفة قلوبهم هم من استمال الرسول - ﷺ - قلوبهم بإعطائهم شيئاً من المال بهدف تحصيل
بعض المقاصد الدعوية كدخوله في الإسلام وغيره مما ذكره الأئمة -رحمهم الله- .
والتأليف لا يقتصر على السادة المطاعين في عشائرتهم فالآية عامة فيهم وفي غيرهم ، وإن كان
التأليف على أمثالهم يكون أثره أكبر ونفعه أعم ، وسيأتي بيان وتفصيل لذلك عند الكلام
عن الضوابط بإذن الله تعالى .

وأما عن التعريف بعملية التأليف نفسها ، فقد قال أحمد بن محمد الفيومي :
« المؤلفة قلوبهم : المستمالة قلوبهم بالإحسان والمودة »^(٣) ويلاحظ هنا أن التعريف جاء عاماً
شاملاً للتأليف المادي والمعنوي .

وفي المعاجم اللغوية : المودة هي المحبة ، وتودد إليه أي تحبب ، وهو « ودود » أي محب^(٤) .
ولذلك فإن التعبير « بالمودة » في هذا التعريف لا يسلم به ، حيث إنه لا يلزم من التأليف
وجود التوادد لأن هذا قد يتعارض مع بعض المقاصد الشرعية حيث قد يؤلف قلب الكافر على
الإسلام ولا يلزم من هذا وجود المودة قال ابن حجر : « ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم
التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله - تعالى - : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله)^(٥) .. »^(٦) .

-
- (١) سورة الأنفال : ٦٣ .
 - (٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٢٠ .
 - (٣) أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المتبر ، ١٨ .
 - (٤) المرجع السابق ، ٦٥٣/٢ .
 - (٥) سورة المجادلة : ٢٢ .
 - (٦) الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٢٣٣/٥ ، ترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : دار
المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ . وانظر : ص ٣١ - ٣٢ من هذه الدراسة ففيها زيادة بيان لهذه المسألة .

ويقول الدكتور عمر الأشقر : « والمراد بالمؤلفة قلوبهم في آية الصدقات : الذين تستمال قلوبهم إلى الإسلام بإكرامهم بالبذل والعطاء ، أو هم الذين لم يستقر الإسلام في قلوبهم فيعطون من المال ما يثبتهم ويحببهم في الإسلام وأهله »^(١).

لقد جعل الدكتور الأشقر التأليف مادياً فقط، وهذا يتوافق مع ما تقرر عند الكلام عن المفهوم اللغوي ، ولكن هذا الأمر بالنسبة لمثل هذه الدراسة الدعوية يلاحظ عليه أنه حصر المقاصد الدعوية بالدخول في الإسلام وتثبيتهم عليه ، وأغفل ذكر بعض المقاصد المتحققة من التأليف .

ومن خلال استعراض ماسبق يتبين أنه للوصول إلى تعريف لتأليف القلوب من منظور دعوي فإنه لا بد أن يكون مشتملاً على إجابة للأسئلة التالية :

- ١ - ما التأليف ، وبأي شيء يكون ؟
 - ٢ - من الذي يقوم بالتأليف ؟ ومن الذي يؤلف ؟
 - ٣ - لأي شيء يكون التأليف ؟
- وبناءً عليه فإنه يمكن أن يقال في مفهوم تأليف القلوب أنه : « قيام الداعية باستمالة قلب المدعو بعطاءٍ مادي بهدف حصول مقاصد وآثار دعوية » .
- ويلاحظ أنني في هذا المفهوم حددت أن يكون العطاء مقصوداً فيه الاستمالة ، ولذا فإنه يفرق بين أن يبذل المال تأليفاً للقلوب وما يبذل على وجه آخر من أوجه البر ، كالبذل من باب الكرم والضيافة ونحو ذلك ، فلا بد أن يكن العطاء قد قصد به الداعية أن يستميل قلب المدعو إلى دين الله - تبارك وتعالى - أو تحصيل مقصد دعوي آخر ، وأنه هنا إلى أنه يمكن أن يستغل الداعية العطاء الذي هو من قبيل الكرم أو التكافل الاجتماعي فيقصد به تأليف قلب من أكرمهم بالمال .

(١) د. عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ١٢ ، ط : الأولى ١٤١٢ هـ ، دار النفايس ، الأردن ، عمان .

المبحث الثاني

مكانة التأليف في النصوص الشرعية

المطلب الأول

مكانة التأليف في القرآن الكريم

المطلب الثاني

مكانة التأليف في السنة النبوية

المطلب الثالث

ما جاء عن السلف في تأليف القلوب

المبحث الثاني : مكانة التأليف في النصوص الشرعية

تتميز أساليب الدعوة الإسلامية بأنها ينبغي أن تكون مستمدة من الكتاب والسنة ومن أقوال سلف الأمة ، ولذلك فستكون الدراسة لإبراز هذا المبحث كما في المطالب التالية :

- المطلب الأول : مكانة التأليف في القرآن الكريم .
- المطلب الثاني : مكانة التأليف في السنة النبوية .
- المطلب الثالث : ماجاء عن السلف في تأليف القلوب .

المطلب الأول : مكانة التأليف في القرآن الكريم :

الفرع الأول : أدلة مشروعية تأليف القلوب :

(١) الرخصة بالإحسان للكفار غير المقاتلين :

لقد رخص الله - سبحانه وتعالى - للمؤمنين في صلة قوم من الكفار ممن لا يحملون للمؤمنين العداً لما في ذلك من آثار إيجابية ، وهذه الرخصة فيها بيان مشروعية تأليف القلوب . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »^(١) .

قال الإمام البغوي : « أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم » وتقسطوا إليهم « تعدلوا فيهم بالإحسان والبر ، (ثم ساق عن ابن عباس) أنها : نزلت في قبيلة خزاعة وكانوا قد صالحوا النبي - ﷺ - على ألا يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، فرخص الله في برهم »^(٢) .

وقال الإمام القرطبي : « هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا

(١) سورة الممتحنة : ٨ .

(٢) الإمام البغوي ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، ٣٦٣/٥ ، ط : ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

المؤمنين ولم يقاتلوهم «^(١).

وقال الإمام ابن القيم : « فإن الله - سبحانه وتعالى - لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة بينهم وبينهم ، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة ، فبين سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها ، وأنه لم ينه عن ذلك بل هو الإحسان الذي يحبه ويرضاه وكتبه على كل شيء ، وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة «^(٢).

وقال الإمام الشوكاني : « ومعنى الآية : أن الله سبحانه لا ينهاكم عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين بترك القتال ، وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم ، ولا ينهاكم عن معاملتهم بالعدل «^(٣).

وقال الشيخ ابن سعدي : « أي : لا ينهاكم الله عن البر والصلة ، والمكافأة بالمعروف ، والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم ، حيث كانوا بحال لم ينصبوا لقتالكم في الدين «^(٤).

وقد أورد الإمام القرطبي^(٥) اختلاف أئمة التفسير في الآية ، وهل هي محكمة أو

منسوخة ؟

وعلى القول بأنها منسوخة فقد يقال بأن الآية لا دلالة فيها على مشروعية التأليف .

-
- (١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥٧/١٨ .
 - (٢) الإمام ابن القيم ، بدائع التفسير ٤/٤٣٣ ، جمع يسري السيد ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الدمام ، وانظر كذلك : الحافظ ابن حجر ، فتح الباري ، ٥/٢٣٣ .
 - (٣) الإمام الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، ٥/٢١٣ ، ط : الثانية ١٣٨٣ هـ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر . وانظر كذلك : الشيخ صديق حسن خان ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ٩/٣٧٧ ، ط : ١٩٦٥ م ، دار أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة .
 - (٤) الشيخ ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٥/٢٢٢ ، ط : ١٤١٤ هـ ، دار الذخائر ، السعودية ، الدمام .
 - (٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥٧/١٨ .

ويرد على هذا القول بما يلي :

يرى بعض الأئمة أن الآية منسوخة بقوله -تعالى- : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »^(١) ، وقيل إن حكم الآية معلق بعلّة ، والعلّة هي الصلح الذي كان بين الرسول -ﷺ- وبين المشركين في مكة ، فلما زالت العلّة - وهي الصلح - زال الحكم ، وقيل إن الآية مخصوصة في قوم دون آخرين^(٢) .

والصحيح - والله أعلم - أن الآية محكمة غير منسوخة والدليل على ذلك ما يلي :

نقل القرطبي عن أكثر أهل التأويل أن الآية محكمة^(٣) . وساق دليلهم على ذلك قصة أسماء بنت أبي بكر^(٤) مع أمها قتيلة بنت عبد العزى^(٥) عندما طلقها أبو بكر فقدمت وهي مشركة على ابنتها ، فتخرجت أسماء هل تصل أمها أم لا ؟ فأرسلت إلى رسول الله -ﷺ- بذلك فنزلت الآية^(٦) . قال ابن حجر : « وروى ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في ناس من المشركين كانوا ألين شيءٍ جانباً للمسلمين وأحسنه أخلاقاً . قلت : ولا منافاة بينهما فإن السبب

(١) سورة التوبة : ٥ ، وهذه الآية هي التي تسمى بآية السيف ، انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢/٣٢٢ ، ط : الأولى ١٤٠٨ هـ ، دار الحديث ، القاهرة .

(٢) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥٨/١٨ ، وانظر كذلك : الشنقيطي ، أضواء البيان ، الجزء الأول من تنمة تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، ١٤٩/٨ ، ط : دار عالم الكتب ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥٨/١٨ .

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق - عبدالله بن عثمان - التيمية ، زوج الزبير بن العوام ، ووالدة عبدالله بن الزبير ، أسلمت قديماً بمكة ، لقبها رسول الله ﷺ بذات النطاقين ، روت عدة أحاديث في الصحيحين وفي السنن ، وماتت بعد قتل ابنتها عبدالله بن الزبير بزمان يسير ، ولها مائة سنة . انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ١٤/٨ ، ط : الأولى ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٥) قَتِيلَة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسّل ، وهي أم أسماء وعبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهم ، وقيل اسمها قَيْلَة واختلف هل أسلمت أم لا ؟ انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٥/٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : الهدية للمشركين ، حديث رقم (٢٦٢٠) ، ٥٤٤ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : فضل النفقة والصدقة على الأقربين ... ، حديث (١٠٠٣) ، ٩٣/٧ .

خاص ، واللفظ عام فيتناول كل من كان في معنى والدة أسماء ... وقال الخطابي : فيه أن الرِّحْم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة «^(١)» .

جاء في أضواء البيان : « وإذا رجعنا إلى عموم اللفظ نجد الآية صريحة شاملة لكل من لم يناصر المسلمين العداء ، ولم يظهر سوءاً إليهم ، وهي في الكفار أقرب منها في المسلمين لأن الإحسان إلى ضعفة المسلمين معلوم بالضرورة الشرعية ، وعليه فإن دعوى النسخ تحتاج إلى دليل قوي يقاوم صراحة هذا النص الشامل ، وتوفر شروط النسخ المعلومة في أصول التفسير ... (وقال) : ومفهومه أن المؤمنين إذا كانوا في حالة قوة وعدم خوف وفي مأمن منهم - أي الكفار - وليس منهم قتال ، وهم في غاية من المسالمة فلأمانع من برهم بالعدل والإقسط معهم ، وهذا مما يرفع من شأن الإسلام والمسلمين ، بل وفيه دعوة إلى الإسلام بحسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليهم ... (وقال أيضاً) : مما ينفي النسخ : عدم التعارض بين هذا المعنى ، وبين آية السيف لأن شرط النسخ التعارض ، وعدم إمكان الجمع ، ومعرفة التاريخ ، والجمع هنا ممكن ، والتعارض منفي ، وذلك لأن الأمر بالقتال لا يمنع الإحسان قبله ، كما أن المسلمين ماكانوا ليفاجئوا قوماً بقتال حتى يدعوهم إلى الإسلام ، وهذا الإحسان قطعاً ، ولأنهم قبلوا من أهل الكتاب الجزية ، وعاملوا أهل الذمة بكل إحسان وعدالة «^(٢)» . وقال الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال عنى بذلك قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله - عز وجل - عمٌ بقوله : « الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم » جميع من كان ذلك صفته فلم يخص به بعضاً دون بعض »^(٣)» .

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٢٣٤/٥ .

(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، الجزء الأول من تنمة الشيخ عطية محمد سالم ، ٨ / ١٥٠ - ١٥٢ .

(٣) الإمام الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٢ / ٤٣ / ٢٨ ، ط : ١٤٠٧ هـ ، دار الحديث ، القاهرة .

وقال الدكتور عمر الأشقر عندما تحدث عن حكمة التأليف على الإسلام بالمال : « ومن هذا المنطلق رغبتنا القرآن في الإحسان إلى من لم يقاتلنا ولم يخرجنا من ديارنا من الكفار »^(١) ثم ساق الآية .

(٢) الأمر بالمصاحبة بالمعروف للوالدين الكافرين :

إن أمر الله - سبحانه وتعالى - الابن المسلم بالمصاحبة بالمعروف لوالديه - وإن كانا كافرين - فيه دليل على مشروعية أسلوب تأليف القلوب ، بل وحتى إن جاهد الوالدان ابنهما على الشرك ولم يقاتلا مع الكفار فإنه مأمور بالمصاحبة بالمعروف ، وهذا دليل على أن أسلوب التأليف أمر ضروري بالنسبة للداعية ، والأصل في دعوته القيام بهذا الأسلوب . قال الله - سبحانه وتعالى - : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً »^(٢) . قال البغوي : « أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة »^(٣) . وقال القرطبي : « والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين ، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق »^(٤) . وعلى الرغم من أن الآية قيل في سبب نزولها أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه -^(٥) إلا أنها عامة في حق كل مسلم . وفي أضواء البيان بعد تفصيل القول في آية المتحنة : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »^(٦) .

- (١) د . الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ١٥ .
- (٢) سورة لقمان : ١٥ .
- (٣) الإمام البغوي ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، ٤١٠/٤ .
- (٤) الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٦٦/١٤ ، وانظر : الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤٢٩/٣٠ ، وانظر : الشيخ صديق حسن خان ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ٢٨٤/٧ .
- (٥) الإمام السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٣١٩/٥ ، ط : الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٦) سورة المتحنة : ٨ .

قال : « إن أشد ما يظهر وضوحاً في هذا المقام ولم يدع أحد فيه نسخاً قوله - تعالى - « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفاً »^(١) . وهذه حسن معاملة وبر وإحسان لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ولم يقاتل المسلمين ، فكان حق الأبوة مقدماً ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك »^(٢) .

وقال الدكتور عمر الأشقر عندما تحدث عن حكمة التأليف على الإسلام بالمال : « ومن هذا المنطلق أمر بالإحسان إلى الوالدين اللذين جهدا في حرف مسار ابنهما عن منهج العبودية لله »^(٣) .

(٣) مدافعة الإساءة بأعلى درجات الإحسان :

إن أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله - ﷺ - أن يدافع الإساءة إليه بالإحسان يؤكد مشروعية تأليف القلوب ، والتأليف هنا هو الدفع بالإحسان ، قال تعالى : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »^(٤) . إن الأمر بالمدافعة بالتي هي أحسن متضمن للتأليف بنوعيه - المادي والمعنوي - إذ الأمر بالمدافعة بالتي هي أحسن يقتضي الترقى في درجات التأليف إلى الأكثر والأجدي نفعاً ، ولو كان التأليف المادي أنفع وأجدي لكان مأموراً به ، حيث لم يأت الأمر بالمدافعة بمجرد الإحسان فقط ، بل أمر - سبحانه - أن يكون هذا الإحسان في أرقى وأعلى درجاته ، وهذا ما يشير إليه قوله - تعالى - : « بالتي هي أحسن » ، - والله أعلم - .

(١) سورة لقمان : ١٥ .

(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، الجزء الأول من تنمة الشيخ عطية محمد سالم ، ١٥٧/٨ .

(٣) د. عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ١٥ .

(٤) سورة فصلت : ٣٤ .

قال الشيخ صديق حسن خان : « والمعنى أن الحسنه والسيئه متفاوتتان في أنفسهما ، فخذ بالحسنه التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئه التي ترد عليك من بعض أعدائك ، كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنه أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ، مثل أن يذمك فتمدحه ، أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه ، ووضع التي هي أحسن موضع الحسنه ليكون أبلغ في الدفع بالحسنه لأن من دفع بالحسنه هان عليه الدفع بما دونها »^(١).

قال الإمام ابن القيم : « وأمره في دفع عدوه من شياطين الإنس ، بأن يدفع بالتي هي أحسن ، فيقابل إساءة من أساء إليه بالإحسان ، وجهله بالحلم ، وظلمه بالعفو ، وقطيئته بالصلة ، وأخبره أنه إن فعل ذلك ، عاد عدوه كأنه ولي حميم »^(٢). وقوله تعالى : « ولا تستوي الحسنه ولا السيئه » اختلف المفسرون في المراد بالحسنه والسيئه ، وقد نقل القرطبي أنه مما قيل في المراد بها : « الحسنه : المداراة ، والسيئه : الغلظة »^(٣) ، وقد تقدم أن من معاني التأليف : المداراة . قال الإمام الشوكاني : « أي لاتستوي الحسنه التي يرضى الله بها ويثيب عليها ، ولا السيئه التي يكرهها الله ويعاقب عليها ، ولاوجه لتخصيص الحسنه بنوع من أنواع الطاعات ، وتخصيص السيئه بنوع من أنواع المعاصي » . وفي قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » ، قال : « أي ادفع السيئه إذا جاءتك من المسيئ بأحسن مايمكن دفعها به من الحسنات ، ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان والذنب بالعفو ... »^(٤).

(١) الشيخ صديق حسن خان ، فتح البيان ، ٣٣٤/٨ .

(٢) الإمام ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦١/٣ . ط : السابعة ١٤٠٥ هـ ، دار الرسالة ، بيروت ، ومكتبة المنار ، بالكويت . وانظر : الإمام الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٧٦/٢٤/١١ . وانظر كذلك : البغوي ، معالم التنزيل ، ٦٧/٥ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٤٥/١٥ .

(٤) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، ٥١٦/٤ .

ومثل هذه الآية قوله - سبحانه - : « ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون »^(١).

(٤) إباحة الله سبحانه وتعالى الغنائم لعباده :

لقد تألف الله - سبحانه وتعالى - قلوب عباده المؤمنين مادياً على إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله ، حيث أباح الله - سبحانه وتعالى - لهذه الأمة خاصة المغانم .

يقول - سبحانه وتعالى - : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم »^(٢). قال ابن جرير الطبري : « يقول - تعالى ذكره - لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء (لولا كتاب من الله سبق) يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله مُحِلُّ لكم الغنيمة ، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله - ﷺ - ناصراً لدين الله - لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم » ثم قال : « وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل » ثم ساق عن الحسن والأعمش والضحاك وعطاء ، وعن عبيدة وابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود ما يشهد لما قال^(٣).

وقوله - تعالى - « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم » . قال ابن جرير في تأويلها : « يقول تعالى للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً بإحلاله لكم طيباً »^(٤).

ولما أخبر - سبحانه وتعالى - عن رضاه عن المؤمنين أصحاب الشجرة حيث علم ما في

(١) سورة المؤمنون : ٩٦ .

(٢) سورة الأنفال : ٦٨ - ٦٩ .

(٣) الإمام الطبري ، جامع البيان ، ٦٠ / ١٠ / ٣٤ .

(٤) المرجع السابق . نفس الموضع .

قلوبهم من الصدق - كفافهم ؛ فأنزل عليهم السكينة وعودتهم الفتح القريب - فتح خيبر -
وأنالهم غنائمها وأموالها ، ثم وعدهم فوق ذلك كله ما أباحه لهم من الغنائم في غزواتهم
المقبلة كلها . قال - تعالى - : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم
ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله
عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً »^(١) . قال ابن جرير الطبري : « يقول تعالى
ذكره لقد رضي الله يامحمد عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة يعني بيعة أصحاب رسول
الله - ﷺ - بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفرؤا ولا يولؤهم الدبر
تحت الشجرة » ثم ساق سبب البيعة وما قيل من تأخر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثم
أفاض القول في تفصيل بيعة الرضوان ، وخلاف المفسرين في المراد بقوله : « وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها ... » ثم قال بعد ذلك : « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله
مجاهد وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر
وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول
الله - ﷺ - بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها ، وأما قوله « وعدكم الله مغانم كثيرة »
فهي سائر المغانم التي غنمها الله بعد خيبر كغنائم هوازن وغطفان وفارس والروم ، وإنما
قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر لأن الله أخبر أنه عجل لهم هذه التي أثابهم من مسيرهم الذي
ساروه مع رسول الله - ﷺ - إلى مكة ، ولما علم من صحة نيتهم في قتال أهلها إذ بايعوا
رسول الله - ﷺ - على أن لا يفرؤا عنه ولا شك أن التي عجلت لهم غير التي لم تعجل لهم »^(٢) .

(١) سورة الفتح : ١٨ - ٢٠ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ٥٦/٢٦/١١ .

وأخبر رسول الله - ﷺ - عن بعض ما خص الله به هذه الأمة وذكر منها إباحة الغنائم .
 عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيا رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة »^(١) .

بل لقد أوضح رسول الله - ﷺ - أن إباحة الغنائم كان تأليفاً من الله لقلوب العباد لما فيها من الضعف والعجز . روى البخاري أنه - ﷺ - قال : « ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا »^(٢) . قال : - ﷺ - : « لم تحل الغنائم لمن قبلنا ، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا »^(٣) .

وهذا التأليف من الله لعباده يدل على مشروعيته ، وأنه حري بالدعاة إلى الله أن يتفطنوا له بشكل أكبر ، بل مما يؤكد أهمية ذلك ومشروعيته أن الله تألف قلوب العباد بما أباح لهم من الغنيمة على الرغم مما قد يسببه ذلك من نقصان الأجر في الآخرة ، عن عبدالله بن عمرو ، قال : قال - ﷺ - : « مامن غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث ، وإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم »^{(٤) . (٥)} .

-
- (١) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، حديث رقم (٤٣٨) ، ١٠٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٥٢١) ، ٦/٥ .
- (٢) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم ... ، حديث رقم (٣١٢٤) ، ٦٥٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، حديث رقم (١٧٤٧) ، ٢٩٥/١٢ .
- (٣) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣١٧/٢ ، وصححه الشيخ أحمد شاكر ، شرح المسند ، ٨٤/١٦ .
- (٤) ، (٥) أخرجه مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : قدر ثواب من غزا فغتم ومن لم يغتم ، حديث رقم (١٩٠٦) ، ٥٦/١٣ ، وللمزيد انظر : د. عبدالعزيز النعيمشي ، علم النفس الدعوي ، ١٠٥-١٠٨ ، ط: الأولى ١٤١٥ هـ ، دار المسلم ، الرياض .

الفرع الثاني : أدلة وجوب التأليف عند الحاجة :

(١) فرض الله سبحانه وتعالى للتأليف نصيباً من الزكاة :

قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »^(١).

قال الحافظ ابن كثير : « لما ذكر - تعالى - اعتراض المنافقين الجهلة على النبي - ﷺ - ولزهم إياه في قسم الصدقات بين - تعالى - أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين »^(٢).

إن الله - سبحانه وتعالى - لم يجعل قسم الزكاة لأحد من خلقه ، بل ولا لنبي مرسل ولا لملك مقرب ، حتى قسمها - سبحانه - هو بنفسه ، فجعلها على ما جاء في الآية ، للأصناف الثمانية المذكورين ، إلا أنه عند الحاجة فإنه يقدم الأحوج الأنفع منهم والأكثر مصلحة ، ولا يخفي ما في تأليف القلوب من المصالح الدعوية الكثيرة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « يجوز - بل يجب - الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه وإن كان هو لا يحل له أخذ ذلك ، كما أباح الله - تعالى - في القرآن العطاء للمؤلفة قلوبهم من الصدقات ، وكما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفة قلوبهم من الفيء ونحوه »^(٣).

وقد ساق الطبري خلاف العلماء في مسألة : هل حكم المؤلفة قلوبهم في الآية باقٍ أم لا ؟ ثم قال : « والصواب من القول في ذلك عندي أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٤٨/٢ .

(٣) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٢٨٨/٢٨ ، ط : ١٤١٢ هـ ، دار عالم الكتب ، السعودية ، الرياض .

لسد خلة المسلمين والآخر معونة الإسلام وتقويته فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه فإنه يعطاه الغني والفقير لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه وإنما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطاه بالجهاد في سبيل الله فإنه يعطى ذلك غنياً كان أو فقيراً للغزو لا لسد خلته ، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياً استصلاحاً بإعطائهموه أمر الإسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبي -ﷺ- من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الإسلام وعز أهله فلا حجة لمحتج بأن يقول لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لامتناع أهله لكثرة العدد ممن أرادهم ، وقد أعطى النبي -ﷺ- من أعطى في الحال التي وصفت «^(١)» .

وقد ساق القرطبي أيضاً الخلاف في حكم المؤلفة قلوبهم ثم قال : « والقصد بجمعها الإعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقة إلا بالعطاء ، فكأنه ضرب من الجهاد ، والمشركون ثلاثة أصناف : صنف يرجع بإقامة البرهان ، وصنف بالقهر ، وصنف بالإحسان ، والإمام الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه سبباً لنجاته وتخليصه من الكفر »^(٢)

وقال ابن القيم مبيناً جواز الإعطاء بل وجوبه عندما يحتاج إمام المسلمين إلى ذلك تحقيقاً لمصلحة المسلمين : « لو دعت حاجة في وقت من الأوقات إلى مثل هذا مع عدوه ، هل يسوغ له ذلك ؟ قيل : الإمام نائب عن المسلمين متصرف لمصالحهم وقيام الدين ، فإن تعين ذلك للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته ، واستجلاب رؤوس أعدائه إليه ، ليأمن المسلمون شرهم يساغ له ذلك ، بل تعين عليه . وهل تجوز الشريعة غير هذا ؟ فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة ، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف العدو أعظم ، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦٠ / ١٠ / ١١٣ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٨٠ : ١٦٦ .

باحتمال أدناهما ، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما ، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين «^(١) .

(٢) أمرُ الله بالإحسان المطلق :

لقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، قال تعالى: « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »^(٢) . ففي هذه الآية لم يكن الأمر بالعدل والإحسان أمراً مجرداً ، بل أخبر - سبحانه وتعالى - عن نفسه خبراً مؤكداً أنه هو الذي يأمر بذلك ، وهذا أبلغ وأقوى في التعبير من مجرد الأمر ، ولا يرد أن الإحسان الذي جاء في الآية إنما هو ما كان من قبيل الصلة فقط ، لأن ما كان من قبيل الصلة - وهو إيتاء ذي القربى - ذكر في الآية معطوفاً على الإحسان . ولذلك فإن الإحسان المذكور عام لكل أنواع الإحسان وإن من أعظم الإحسان الهداية إلى الإسلام والرفق بالمسلمين ، فما كان سبباً لهذين الأمرين - الهداية للإسلام ، والرفق بالمسلمين - يعد من الإحسان المأمور به ، والله أعلم .

وقد ساق الإمام القرطبي الخلاف في معنى الإحسان في الآية ثم قال : « وأما الإحسان فقد قال علماؤنا : الإحسان مصدر أحسن يحسن إحساناً . ويقال على معنيين : أحدهما : متعد بنفسه ، كقولك : أحسنت كذا ، أي حسنته وكملته ، وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء ، وثانيهما : متعد بحرف جر ، كقولك : أحسنت إلى فلان ، أي أوصلت إليه ما ينتفع به ... وهو في هذه الآية مراد بالمعنيين معاً ، فإنه - تعالى - يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض ، حتى إن الطائر في سجنك والسنور^(٣) في دارك لا ينبغي أن تقصر تعهده بإحسانك ، وهو

(١) الإمام ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٦/٣ .

(٢) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٣) السنور : الهر ، والأثني « سنوره » انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٢٩١/١ .

- تعالى - غني عن إحسانهم «^(١).

وقال الإمام ابن القيم : فجمع في هذه الآية ضرورياً من البيان وأنواعاً من الإحسان فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالألف واللام التي هي للاستغراق ، أي استغراق الجنس المحتوي على جميع أنواعه وضروره ... وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه ، وقد يجب^(٢).

وفهم من تعميم الإمامين القرطبي وابن القيم لمعنى الإحسان أن التأليف داخل في الآية ، لأن الهداية للدخول في الإسلام داخلة في عموم الإحسان ، والله تعالى أعلم .
روى البخاري في الأدب المفرد أثراً عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول : ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام ، وأمر ونهي ، من هذه الآية: « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى »^(٣).

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧٤/١٠ .

(٢) الإمام ابن القيم ، بدائع التفسير ، جمع : يسري السيد ، ٤٩/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر الألباني : صحيح الأدب المفرد ، حديث رقم (٤٨٩/٣٧٦) ، ١٨٢ . ونقله الحافظ ابن حجر

العسقلاني ثم قال : « وسنده صحيح » انظر : فتح الباري ، ٤٧٩/١٠ .

المطلب الثاني : مكانة التأليف في السنة النبوية :

لقد كان لأسلوب التأليف المادي للقلوب عظيم الأثر في دعوة النبي - ﷺ - ولذلك فقد كان المحفوظ عنه - ﷺ - في هذا الصدد كثير جداً وسأبين ذلك من خلال النقاط التالية :

(١) تأليف القلوب على الإسلام بالماديات منهج أساسي في دعوة النبي - ﷺ - :

إن الذي ينظر إلى سيرة النبي - ﷺ - في دعوته يجد أنه يعتمد - بعد توفيق الله - على ما يفتح به القلوب ويهيء به النفوس لقبول الحق ، ولذلك فقد كان له منهج واضح جلي في تأليف القلوب ببعض الأمور المادية ، ولعل أبرز ما يجلي لنا بوضوح هذا المنهج :

أنه - ﷺ - كان يجيز الوفود التي تفد إليه ويعطيهم العطايا والأموال وهي ما يسمى عند كتاب السيرة بالجوائز . وحيث كان هذا منهجاً نبوياً واضحاً فقد أوصى بذلك وهو على فراش الموت - ﷺ - فعن ابن عباس رضي الله - تعالى - عنهما قال : « يوم الخميس وما يوم الخميس !!! اشتد برسول الله - ﷺ - وجعه ، فقال : « ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » . فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : ما شأنه ، أهجر^(١) ، استفهموه ، فذهبوا يردون عليه ، فقال : « دعوني فالذي أنا فيه خير مما

(١) هَجَرَ المريض في كلامه هجراً ، أي خلط وهذى ، انظر : أحمد الفيومي ، المصباح المنير ، ٦٣٤/٢ ، وقال ابن حجر في المراد باللفظ « أهجر » في الحديث : « قلت : ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي ، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك » . انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٣٣/٨ .

تدعوني إليه « وأوصاهم بثلاث ، فقال :
 « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت
 عن الثالثة ، أو قال : فنسيتها »^(١) .

ومما يؤكد أن تأليف القلوب مادياً منهجاً أساسياً في الدعوة النبوية ، أنه كان كثيراً
 ما يعفو ويصفح ويمن على المدعو بنفسه ويسامحه عن زلته ، ومن ذلك عفوهُ عن ابن عمه وابن
 عمته وهما أبوسفیان بن الحارث^(٢) وعبدالله بن أبي أمية^(٣) عندما لقياه في طريقه لفتح مكة ،
 وقد قال علي بن أبي طالب لأبي سفيان موضحاً أنه - ﷺ - يتألف القلوب : ائت رسول الله
 من قبل وجهه ، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف : « تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا
 لخاطئين »^(٤) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً ، ففعل ذلك أبوسفیان ، فقال له رسول
 الله - ﷺ - : « لا تثرِبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »^(٥) . ولقد كان رسول
 الله - ﷺ - يلتقى من أبي سفيان أذى شديداً ومع ذلك عفا عنه - ﷺ - ، وعندما أنشد
 أبوسفیان أبياتاً بين يدي رسول الله - ﷺ - وما جاء فيها :

-
- (١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٤٣١) ، ٩٢٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب :
 الوصية ، باب : الوصية لمن ليس له شيء يوصي به ، حديث رقم (١٦٣٧) ، ٩٨/١١ - ١٠٠ .
- (٢) أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم الرسول - ﷺ - ، وأخوه من الرضاعة ، وأمه غريبة
 بنت قيس ، قيل إن اسمه المغيرة ، من الذين يشبهون برسول الله - ﷺ - أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وحسن إسلامه ،
 وأبلى في حنين بلاءً حسناً ، فقد ثبت ولم تفارق يده لجامه بغلة رسول الله - ﷺ - . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في
 معرفة الأصحاب ، ١٦٧٤/٤ ، ط : الأولى ١٤١٢ هـ ، ت : علي البيجاوي ، دار الجليل ، بيروت .
- (٣) عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو المخزومي ، صهر النبي - ﷺ - ، وابن عمته عاتكة ، كان شديداً على
 المسلمين قبل إسلامه ، ثم أسلم رضي الله عنه وحسن إسلامه ، وشهد مع رسول الله - ﷺ - حنيناً والطائف ، فرمي بسهم
 فيها فقتل . انظر ابن حجر ، الإصابة ، ١٠/٤ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٨٦٨/٣ .
- (٤) سورة يوسف : ٩١ .
- (٥) سورة يوسف : ٩٢ .

هداني هاد غير نفسي ودلني على الله من طردت كل مطرد
فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : « أنت طردتني كل مطرد »^(١).

مما سبق يتبين أنه - ﷺ - قد اتخذ من الأسلوب المادي في تأليف القلوب مثل بذل المال ، وإطلاق سراحهم ، والعفو عن المؤاخذة بالجرائم مع استحقاقهم للمعاقبة عليها بالقتل أحياناً ، كان يجعل هذا الأسلوب مفتاحاً لقلوب العباد ، ولذلك فقد كان لهذا أعظم الأثر في الدعوة النبوية وقد وسع الناس - ﷺ - بتجميعه وتأليفه قلوب الخلق على دين الله - تبارك وتعالى .

(٢) التأليف هو التيسير والتبشير وضده التعسير والتنفير :

ثبت عنه - ﷺ - أنه أمر بالتيسير والتبشير ونهى عن التعسير والتنفير ، وهذا هو تأليف القلوب حقيقة ، فإن الذي يتألف القلوب مادياً على الإسلام أو من أجل مصلحة المسلمين إنما عمل بالتيسير والتبشير وترك التعسير والتنفير ، ولربما إذا ترك الإنسان الأخذ بالتيسير نفر الناس عن دين الله وهذا ما يتعارض مع أمره - ﷺ - . فعن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ قال : « يسروا ولا تعسروا ويسروا ولا تنفروا »^(٢) .
وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أنه - ﷺ - لما بعثه ومعاذ بن جبل إلى

(١) أخرجه أبو عبد الله الحاكم ، المستدرک على الصحيحين ، كتاب : المغازي والسرايا ، حديث رقم (٤٣٥٩) ، ٤٦/٣ - ٤٧ ، ط : الأولى ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » .

وفي إسناده أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ، ص ٣ : « ضعيف وسماعه للسيرة صحيح » ت : خليل مأمون شيبا ، ط : الثالثة ١٤١٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، حديث رقم (٦٩) ،

٣٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الأمر بالتيسير وترك التنفير ، حديث رقم (١٧٣٢) ،

٢٨٤/١٢ ، واللفظ للبخاري .

اليمن قال لهما : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا »^(١).

والأحاديث في باب الأمر بالتيشير وترك التعسير كثيرة ، ولا شك أنها تتضمن الأمر بتأليف القلوب عموماً لأنه هو التيسير والتبشير وهو نفسه البعد عن التعسير والتنفير . قال النووي « لو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات ، فإذا قال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب »^(٢).

وقال ابن حجر : « لكن لما كانت النذارة - وهي الإخبار بالشر - في ابتداء التعليم توجب النفرة قوبلت البشارة بالتنفير ، والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء ... لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبيب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانسباط ، وكانت عاقبته غالباً بالازدياد بخلاف ضده »^(٣).

(٣) رغبته - ﷺ - بالمال لعمر بن العاص تأليفاً لقلبه على الجهاد :

إن في إبداء رغبته - ﷺ - لعمر بن العاص - رضي الله عنه - بمال ، يتألف به قلبه على فريضة الجهاد في سبيل الله وهي من أكد العبادات في الإسلام - ما يلمس منه مشروعية التأليف المادي .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حديث رقم (٤٣٤١) ، ٩٠٣ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الأمر بالتيشير وترك التنفير ، حديث رقم (١٧٣٣) ، ١٨٤/١٢ ، واللفظ له .

(٢) النووي ، شرح مسلم ، ٢٨٤/١٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٦٣/١ .

عن عمرو بن العاص^(١) - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله - ﷺ - :
« يا عمرو !! اشدد عليك سلاحك وثيابك ، وائتني » . قال عمرو : ففعلت ؛ فجئته
وهو يتوضأ ، فصعد في البصر وصوّه ، وقال : « يا عمرو !! إني أريد أن أبعثك
وجهاً ، فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب إليك من المال رغبة سالحة » . قال : قلت : يا رسول
الله !! إني لم أسلم رغبة في المال ، وإنما أسلمت رغبة في الجهاد والكينونة
معك . قال : « يا عمرو : نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح »^(٢)

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد ، القرشي ، السهمي ، أبو عبدالله ، أمه النابغة بنت حرملة من بني عَنزَةَ ، أسلم
رضي الله عنه قبل الفتح سنة ثمان ، ولما أسلم رضي الله عنه قريه النبي - ﷺ - وأدناه ، وولاه غزاة ذات السلاسل ، ثم
استعمله على عَمَان ، وكان من أمراء الأجناد في جهاد الشام ، وهو فاتح قَنْسَرِينَ ، وولاه عمرُ رضي الله عنه فلسطين ،
وتولى مصر أيضاً بعدما فتحها إلى أن عزله عثمان رضي الله عنه ، ثم وليها مرة ثانية لمعاوية رضي الله عنه ، يُعَدُّ من
دهاة العرب في الإسلام ، مات سنة ثلاث وأربعين ، وقد عُمِّرَ تسعاً وتسعين سنة وقيل غير ذلك . انظر ، ابن الأثير ، أسد
الغابة ، ٢٤٤/٤ ، وابن حجر ، الإصابة ، ٥٣٧/٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٢٠٣/٤ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، ١٢٦ . وانظر : حسن عباس
قطب ورفاقه ، تتمة تخريج وشرح المسند للشيخ أحمد شاکر ، ٤١٧/٤/٢ .

المطلب الثالث : ما جاء عن السلف في تأليف القلوب :

إن فيما سلف من القول عن مشروعية التأليف في الكتاب والسنة غنية ، ولكن بسبب ما فهمه بعض الفقهاء ، من بعض الآثار المنقولة عن الصحابة أنهم أجمعوا على عدم جواز التأليف بعد رسول الله - ﷺ - ، فإن لدراسة هذا المطلب أهمية كبيرة من هذا الوجه ، وستتم الدراسة من خلال الفروع التالية :

الفرع الأول : ما جاء عن بعض السلف من أقوال تبين أثر التأليف .

الفرع الثاني : بيان حقيقة موقف المنع من التأليف .

الفرع الثالث : نماذج لبيان موقف عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - من التأليف .

الفرع الأول : ما جاء عن بعض السلف في تأليف القلوب :

لما للتأليف بالمال وأعراض الدنيا من أثر بالغ في استمالة القلوب إلى دين الله فقد لفتت هذه القضية أنظار صحابة رسول الله - ﷺ - ورضي الله تعالى عنهم أجمعين . فعن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال : « إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها »^(١) .

وعند التأمل في قوله - رضي الله عنه - نجد أن سبب دخول بعض الناس في الإسلام هو ما يراه من إغداق الرسول - ﷺ - المال ، فهم عندما أسلموا لا يريدون إلا هذا المال ، ولكن الحقيقة أن هذا المال إنما هو مفتاح للقلوب فحسب ، وهذه مسألة عظيمة ، وبعد ما يسلم الرجل

(١) أخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله - ﷺ - شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ، حديث رقم (٢٣١٢) ، ٧٩/١٥ ، وانظر : د. أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ٥٢١/٢ .

يصبح دينه أحب إليه من ماله الذي أخذ ومن جميع دنياه وما عليها .
بل لقد ثبت أن بعض الأعراب ينادي قومه بالإسلام لا من أجل وضوح صورة الإسلام
عنده ولكن لأن رسول الله - ﷺ - يُغدق عليه وعلى أمثاله الأموال . عن أنس
- رضي الله تعالى عنه - أنه ﷺ أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال :
« يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة »^(١) ، وهذا ماجعل أنس بن مالك -
رضي الله عنه - ينبه إلى عظيم أثر التأليف المادي في دخول الناس في دين الله .
وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال : جزع عمرو بن العاص - رضي الله تعالى
عنه - عند الموت جزعاً شديداً فلما رأى ذلك ابنه عبدالله بن عمرو قال : يا أبا عبدالله ما هذا
الجزع وقد كان رسول الله - ﷺ - يدنيك ويستعملك ، قال : أي بني قد كان ذلك وسأخبرك
عن ذلك ، إني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني ولكنني أشهد على رجلين أنه قد
فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية^(٢) وابن أم عبد^(٣) ، فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من

(١) أخرجه الإمام مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله - ﷺ - شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ، حديث رقم (٢٣١٢) ، ٧٩ / ١٥ .

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين ، العنسي ، أبو اليقظان ، من السابقين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه سمية ، عذبوا رضي الله عنهم في سبيل الله ، وهاجروا إلى المدينة ، وشهد مع النبي المشاهد كلها . من أول من أظهر الإسلام ، واستعمله عمر على الكوفة ، قتل في جيش علي في معركة صفين ، سنة سبع وثلاثين ، وله ثلاث وتسعون سنة . انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ٤٧٤ / ٤ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ١٣٤ / ٤ .

(٣) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، أمه أم عبدالله بنت عبد ود بن سواة ، وقد أسلمت وصحبت ، وهي وابنها أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، ولازم النبي - ﷺ - وهو صاحب نعليه وسواكه ووساده ، أول من جهر بالقرآن بمكة ، وهو أحد الأربعة الذين يؤخذ عنهم القرآن ، مات بالمدينة سنة ٣٢ هجرية . انظر ابن حجر ، الإصابة ، ١٩٩ / ٤ .

ذقنه وقال : اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك . وكانت تلك هجيراً^(١) حتى مات .^(٢)

وحيث إن عمرو بن العاص يرى من رسول الله - ﷺ - تألفه للقلوب فقد كان يخشى أن يكون ما يعطاه هو تأليفاً لقلبه . كما قال له - ﷺ - : « وأرغب إليك من المال رغبة صالحة »^(٣) وقد بؤب الإمام البخاري : باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم^(٤) .

وأيضاً : باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس^(٥) . وأيضاً : باب ما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، ثم ساق في هذا الباب قصة تأليفه قلوب أقوام وتركه الأنصار لقوة إيمانهم ، وذلك بعد غزوة حنين^(٦) ،^(٧) .

وأيضاً بؤب الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم : باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ... »^(٨) .

وقال الإمام القرطبي : « والمشركون ثلاثة أصناف : صنف يرجع بإقامة البرهان وصنف

-
- (١) انظر : حاشية الصفحة ٤٥ .
 - (٢) لم أجد الحكم عليه في تنمة تخريج أحمد شاكر ، برقم (١٧٨٥٩) ٤/٢/٤١٩ ، وروى نحوه ابن أبي شيبه ، المصنف ، ١٣١٦/١٤ ، برقم (١٧٨٧٠) ، وكذلك روى نحوه النسائي ، السنن الكبرى ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب عمار بن ياسر ، ٧٤/٥ ، ط : الأولى ١٤١١هـ ، ت : د . عبدالغفار البنداري وزميله .
 - (٣) سبق تخريجه ، ص ٤٩ .
 - (٤) الإمام البخاري ، الجامع المسند الصحيح المعروف بـ « صحيح البخاري » ، كتاب : الجهاد ، ٦١٨ .
 - (٥) المرجع السابق ، كتاب : استتابة المرتدين ، ١٤٦٣ .
 - (٦) المرجع السابق ، كتاب : فرض الخمس ، ٦٦٣ .
 - (٧) حنين : موضع قريب من مكة ، وقيل هو وادٍ قبل الطائف ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وقيل بضعة عشر ميلاً . قال تعالى « ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم » التوبة : ٢٥ . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣/٩٠ ، ط : الأولى ١٤١٧هـ ، دار إحياء التراث ، بيروت . والمسافة بالمقاييس المعاصرة ما بين ٢٠ - ٣٥ كيلو متر . انظر : صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، ٤١٧ ، ط : التاسعة ١٩٩٠ م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
 - (٨) الإمام النووي ، شرح صحيح الإمام مسلم ، كتاب : الإيمان ، ٥٣٩/٢ .

بالقهر ، وصنف بالإحسان ، والإمام الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه مناسباً
لنجاته ، وتخليصه من الكفر «^(١)

وقال الإمام ابن القيم بعد سياق قصة تأليف قلوب بعض الناس بالأموال الكثيرة بعد
غزوة حنين : « وهذا العطاء هو من النفل ، نفل به النبي - ﷺ - به رؤوس القبائل والعشائر
ليتألفهم به وقومهم على الإسلام ، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس ، والرابع بعده
، لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله ، واستجلاب عدوه إليه ، هكذا وقع سواء كما قال
بعض هؤلاء الذين نفلهم : « لقد أعطاني رسول الله - ﷺ - وإنه لأبغض الخلق إليّ ، فما زال
يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ »^(٢) فما ظنك بعطاء قوى الإسلام وأهله ، وأذل الكفر وحزبه
، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم وإذا
رضوا رضوا لرضاهم ، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم ، فله ما أعظم موقع
هذا العطاء ، وما أجده وأنفعه للإسلام وأهله «^(٣)

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧٩ ، ٨ .

(٢) القائل هو صفوان بن أمية . انظر: مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب ما سئل رسول الله - ﷺ - شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة
عطائه ، حديث (٢٣١٣) ، ٧٩/١٥ وانظر : الطبري ، جامع البيان ، ٦ / ١٠ / ١١٢ ، وكذلك انظر: ابن حجر ، الإصابة في تمييز
الصحابه ، ١٨١/٢

(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ٤٨٥/٣ .

الفرع الثاني : بيان حقيقة موقف المنع من التأليف :

روى عبدالرحمن بن محمد المحاربي ، عن حجاج بن دينار ، عن ابن سيرين عن عبيدة ، قال : جاء عيينة بن حصن^(١) والأقرع بن حابس^(٢) إلى أبي بكر ، فقالا : يا خليفة رسول الله ، إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ، ولا منفعة ، فإن رأيت أن تعطيناها . فأقطعهما إياها ، وكتب لهما كتاباً ، وأشهد ، وليس في القوم عمر ، فانطلقا إلى عمر ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما وأشهد ، ثم تفل فيه ، فمجاه فتذمرا وقالوا مقالة سيئة . فقال : « إن رسول الله - ﷺ - كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله أغنى الإسلام ، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لارعى الله عليكما إن رعيتما . وقرأ : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء

(١) عيينة بن حصن ويقال حصين بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية الفزاري ، أبو مالك ، أسلم قبل الفتح وقبل بعده ، وشهد حنيناً ، أسلم فكان من المؤلفات قلوبهم ، ثم ارتد حين ارتد العرب ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ ، ولما هزم طليحة أسر عيينة فبعث به خالد إلى أبي بكر رضي الله عنهما ، فعرض عليه أبو بكر الإسلام فأسلم ، ولم يزل عيينة بن حصن مغموراً عليه في دينه . وقد زوج إحدى بناته لعثمان بن عفان وقد كان فيه جفاء وغلظة الأعراب ، فكان الصحابة يتحملون ما يأتي منه مداراة له . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٢٤٩/٣ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣٣١/٤٢ ، وابن حجر ، فتح الباري ، ٤٥٣/١٠ ، والإصابة ، ٦٣٨/٤ .

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان ، المجاشعي الدارمي التميمي ، سيد من سادات العرب في الجاهلية والإسلام ، وأسلم مع بني دارم من تميم ، وشهد مكة ، وحنيناً ، والطائف ، وكان مع خالد بن الوليد في فتوح العراق ، وشهد وقعة الأنبار وقد كان على مقدمة الجيش ، حتى استشهد بالجوزجان في جيش سيره عبدالله بن عامر - رضي الله عنه - سنة ٥٢٢ هـ . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٠٣/١٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ١٣٠/١ .

فليكفر^(١)»^(٢).

إن هذا النقل عن عمر -رضي الله عنه- جعل بعض السلف يقولون بمنع التأليف، ولأنه قول قوي يسوقه العلماء والمفسرون عند حديثهم عن مصارف الزكاة في أبواب الزكاة أو عند تفسير آية الصدقات فإنه لا بد من بيان هذا الأمر وسيكون ذلك على النحو التالي :

أولاً : من هم القائلون بالمنع ؟ وما دليلهم ؟

ثانياً : بطلان دعوى النسخ^(٣) .

ثالثاً : أسباب منع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - التأليف في هذه الحادثة .

أولاً : من هم القائلون بمنع التأليف ؟ وما دليلهم ؟

نقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن قوم أنهم يرون أن التأليف إنما كان فقط في دهر النبي

- ﷺ -^(٤) .

وروى الإمام الطبري عن عمر بن الخطاب ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري انقطاع سهم

التأليف ، كما ساق رواية أخرى عن عامر والحسن خلاف ذلك^(٥) ، فالنقل عنهما مضطرب .

(١) سورة الكهف : ٢٩ .

(٢) أخرج أصله ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٣٥٦/١٢ ، ط : الثانية ١٣٩٩ هـ ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، وفي إسناده عبدالرحمن المحاربي ، قال عنه ابن حجر العسقلاني : « مدلس » ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٢٦٥ ، ط : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة بدون تاريخ . وكذلك روى نحوه أبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال ، ٢٥٦ ، ، وأيضاً روى نحوه الطبري بنفس الإسناد ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦/١١٣/١٠ . ونقل ابن حجر القصة كاملة « عن البخاري في التاريخ الصغير » انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ٤/٦٤٠ .

(٣) النسخ هو : الإزالة ، وشرعاً : رفع حكم بدليل شرعي متراخ . انظر : محمد بن أحمد الفتوح ، المعروف بابن النجار ، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، ٣/٥٢٥ - ٥٢٦ ، ت : محمد الزحيلي وزميله ، ط : ١٤١٨ هـ ، مكتبة العبيكان بالرياض .

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأموال ، ٥٣٧ .

(٥) الطبري ، جامع البيان ، ٦/١١٣/١٠ .

وقال القرطبي : « وهذا مشهور من مذهب مالك وأصحاب الرأي »^(١).

وقال الشافعي : « ولا يعطى من الصدقة مشرك يتألف على الإسلام » وقال :
« قال بعض أصحابنا لمؤلفة اليوم .. »^(٢). قال الدكتور عمر الأشقر : « وهذا القول هو
المعتمد في مذهب الحنفية » وقال : « ومذهب الشافعي الذي ينص عليه في الأم كمذهب أبي
حنيفة في عدم جواز إعطاء أحد في التأليف على الإسلام »^(٣).

وأما دليلهم فيما ذهبوا إليه فإنهم يقولون بنسخ حكم المؤلفة قلوبهم في آية الصدقات ،
واختلف في الناسخ فقيل : إجماع الصحابة على ذلك بتركهم النكير على عمر وإقرارهم له ،
وقيل الناسخ الآية التي تلاها عمر - رضي الله عنه - « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »*
وقد قيل : إن الحكم معلق بعله وهي ما ذكره عمر أيضاً من أن التأليف لا يكون إلا عند ضعف
المسلمين^(٤).

ثانياً : بطلان دعوى النسخ :

وحيث قد أنزل الله - سبحانه وتعالى - قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم »^(٥) قال أصحاب القول بمنع التأليف : إن هذا المصرف وهو تأليف
القلوب منسوخ بقوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »^(٦) وإجماع الصحابة
على ذلك بدليل موافقتهم لعمر بن الخطاب عندما منع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، كما

(١) الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٨/٨ ، ويقصد بأصحاب الرأي الأحناف . انظر د . عمر الأشقر ، تأليف القلوب

على الإسلام بأموال الصدقات ، ٢٦ .

(٢) الإمام الشافعي ، الأم ، ٧٧/٢ ، ط : الثانية ١٤٠٣ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) د . عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام على أموال الصدقات ، ٢٦ .

(٤) انظر تفصيل المسألة في المرجع السابق ، ص ٢٦ وما بعدها .

(٥) سورة التوبة : ٦٠ .

(٦) ، (*) سورة الكهف : ٢٩ .

رجح ذلك الكاساني^(١).

ويرد على هذه الدعوى بما يلي :

أن الإجماع لا ينسخ النصوص من الكتاب والسنة بأي حال ، ولا يقع النسخ إلا في حياة الرسول - ﷺ - ، والإجماع لا يكون إلا بعده.

قال شيخ الإسلام : « وقد نقل عن طائفة : كعيسى بن أبان وغيره من أهل الكلام والرأي من المعتزلة وأصحاب أبي حنيفة ومالك : أن الإجماع ينسخ به نصوص الكتاب والسنة ، وكنا نتأول كلام هؤلاء على أن مرادهم أن الإجماع يدل على نص ناسخ ، فوجدنا من ذكر عنهم أنهم يجعلون الإجماع نفسه ناسخاً ، فإن كانوا أرادوا ذلك فهذا قول يجيز تبديل المسلمين دينهم بعد نبينهم ، كما تقول النصارى من : أن المسيح سوَّغ لعلمائهم أن يحرموا ما رأوا تحريمه مصلحة ، ويحلوا ما رأوا تحليله مصلحة ، وليس هذا دين المسلمين ولا كان الصحابة يسوغون ذلك لأنفسهم . ومن اعتقد في الصحابة أنهم كانوا يستحلون ذلك فإنه يستتاب كما يستتاب أمثاله ، ولكن يجوز أن يجتهد الحاكم والمفتي فيصيب فيكون له أجران ، ويخطيء فيكون له أجر واحد . وما شرعه النبي - ﷺ - شرعاً معلقاً بسبب ، إنما يكون مشروعاً عند وجود السبب ، كإعطاء المؤلفات قلوبهم ، فإنه ثابت بالكتاب والسنة . وبعض الناس ظن أن هذا نسخ لما روي عن عمر : أنه ذكر أن الله أغنى عن التألف ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وهذا الظن غلط ، ولكن عمر استغنى في زمنه عن إعطاء المؤلفات قلوبهم ، فترك ذلك لعدم الحاجة إليه ، لا لنسخه ، كما لو فرض أنه عدم في بعض الأوقات ابن السبيل والغارم ، ونحو ذلك »^(٢).

(١) الإمام الكاساني ، بدائع الصنائع ، ٩٧/٢ ط : الأولى ١٤١٧ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، وانظر كذلك : عمر الأشقر ،

تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٤٠ - ٤٢ .

(٢) انظر : الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٩٤/٣٣ .

ثم إنه لم تتوافر في هذه المسألة الشروط التي يجب توافرها في النسخ .

« إن النسخ إبطال حكم شرعه الله ، وإنما يملك الإبطال من يملك التشريع ، وليس ذلك إلا لله - عز وجل - عن طريق الرسول الموحى إليه ، ولهذا لا نسخ إلا في عصر الرسالة ونزول الوحي ، وإنما يعرف ذلك بالنص عليه من الشارع نفسه ، أو بتعارض نصين ثابتين تعارضاً تاماً لا استطاع معه الترجيح بينهما بوجه من الوجوه ، وعرف تاريخ كل منهما ؛ فلا نجد بدأ من القول بنسخ المتأخر للمتقدم^(١) . »

قال الموفق ابن قدامة : « ولنا كتاب الله وسنة رسوله ، فإن الله تعالى سمي المؤلف في الأصناف الذين سمي الصدقة لهم ، والنبى - ﷺ - قال : « إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء »^(٢) . وكان يعطي المؤلف كثيراً في أخبار مشهورة ، ولم يزل كذلك حتى مات ، ولا يجوز ترك كتاب الله وسنة رسوله إلا بنسخ ، والنسخ لا يثبت بالاحتمال ، ثم إن النسخ إنما يكون في حياة النبى - ﷺ - لأن النسخ إنما يكون بنص ولا يكون النص بعد موت النبى - ﷺ - وانقراض زمن الوحي ، ثم إن القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن وليس في القرآن نسخ كذلك ، ولا في السنة فكيف يترك الكتاب والسنة بمجرد الآراء والتحكم ، أو بقول صحابي وغيره ، على أنهم

(١) انظر : ابن النجار ، شرح الكوكب المنير ، ٥٢٨/٣ ، ٥٦٣ - ٥٧٠ ، وانظر : د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٦٠٤/٢ - ٦٠٥ ، ط : الحادية والعشرون ١٤١٣ هـ ، دار الرسالة ، بيروت .

(٢) أخرجه أبوداود ، كتاب : الزكاة ، باب : من يعطي من الصدقة وحد الغنى ، حديث رقم (١٦٣٠) ، ٣٨١/٢ ، ط : الثانية ١٤١٣ هـ ، دار الدعوة ، ودار سحنون ، استانبول ، تركيا . وفي إسناده عبدالرحمن بن زياد بن أنعم ، قال عنه الدارقطني في « الضعفاء والمتروكون » ص ٢٧٤ : « ليس بالقوي » . وقد ساق الألباني هذا الحديث في الإرواء ، باب : أهل الزكاة ، حديث رقم (٨٥٩) ، ٣٥٣/٣ ، ثم قال : « وهذا سند ضعيف من أجل عبدالرحمن بن زياد وهو الأفريقي » ثم أورد عن الحافظ ابن حجر ، وعن الحافظ الذهبي ما يؤكد قوله ، وانظر كذلك : السلسلة الضعيفة ، حديث رقم (١٣٢٠) ، ٤٨٨/٣ .

لا يرون قول الصحابي حجة يترك بها قياس ، فكيف يتركون به الكتاب والسنة « ثم نقل عن الزهري قوله : « لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلف على أن ما ذكره من المعنى لاختلاف بينه وبين الكتاب والسنة ، فإن الغنى عنهم لا يوجب رفع حكمهم وإنما يمنع عطيتهم حال الغنى عنهم ، فمتى دعت الحاجة إلى إعطائهم أعطوا »^(١)

وقال القرضاوي : « فهل في مسألتنا شيء من ذلك ؟ هل هناك نص من قرآن أو سنة عارض النص على المؤلف قلوبهم ؟ فضلاً عن نص بنسخه ، إن الإجابة عن ذلك بالنفي الجازم بلا ريب ، فكيف يدعى نسخ حكم نصت عليه آية صريحة من كتاب الله ، وانقضى عصر الرسالة وهو حكم معمول به ؟ »^(٢).

ثم ذكر اختلاف الأحناف في تعيين الناسخ لآية الصدقات ثم قال : « والحق أن كل هذا تمحل لا يجوز نسخ نص قاطع بمثله . فأية الكهف « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »^(٣) مكية بيقين ، فكيف يستند إليها في نسخ جزء من آية مدنية نزلت بعدها بسنين طويلة ؟! وأين التعارض في الآيتين حتى تنسخ إحداهما الأخرى ؟ »^(٤) وقال الدكتور الأشقر : « الزعم بأن عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله - ﷺ - لم يعطوا المؤلف قلوبهم بسبب النسخ دعوى ليس عليها دليل ، ولا يفقه هذا من كلام عمر ولا من كلام غيره من الصحابة »^(٥) ، بل إن فعله رضي الله تعالى عنه يؤكد لنا عكس ما ذهبوا إليه من أنه يمنع التأليف ، وهذا موضع البحث في الفرع التالي بإذن الله تعالى فإذا كان الأمر

(١) الموفق ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ٥٢٦/٢ .

(٢) د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٦٠٤/٢ - ٦٠٥ .

(٣) سورة الكهف : ٢٩ .

(٤) د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٦٠٤/٢ - ٦٠٥ .

(٥) د. الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام ، ٤٦ .

كما سلف وأن الآية محكمة ، فلمَ منعَ عمر التأليف في هذه الحادثة؟
والجواب عن هذا السؤال يزيل اللبس والإشكال الواردين في هذه المسألة .

الفرع الثالث : نماذج لبيان موقف عمر من التأليف :

لقد سلف القول بأن عمر منع من التأليف ، ولكن إنما كان ذلك في حادثة واحدة فقط ،
وكان لهذا المنع أسبابه ومبرراته التي سبق بيانها .

والسؤال الذي يرد : إذا كان ماسبق في حالة خاصة ، فهل كان عمر يتألف القلوب على

الإسلام ؟

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتته امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز^(١) فقالت :
يا أمير المؤمنين، إن أبي هلك ، وسهمه ثابت في السواد ، وإني لم أسلم . فقال لها : يا أم
كرز، إن قومك قد صنعوا ما قد علمت ، قالت : إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فإني لست أسلم
حتى تحملني على ناقة ذلول ، عليها قطيفة حمراء وتملاً كفي ذهباً : قال الراوي : ففعل عمر
ذلك ، فكانت الدنانير نحواً من ثمانين ديناراً^(٢) .

وروى الإمام البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر رأى حلة سيرة^(٣)
تباع، فقال : يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة ، وإذا جاءك الوفود . قال : « إنما
يلبس هذه من لاخلاق له » فأتي النبي - ﷺ - منها بحلل ، فأرسل إلى عمر بحلة ، فقال:
كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال : « إني لم أعطكها لتلبسها ، ولكن تبيعها أو
تكسوها » . فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم^(٤) .

(١) لم أقف على اسمها ولا على ترجمتها فيما بين يدي من كتب التراجم .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، ٦٣ . .

(٣) الحُلل هي برود اليمن ، و « سيرة » أي موشى بخطوط من حرير أو قز . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠ / ٢٩٧ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : صلة الأخ المشرك ، حديث رقم (٥٩٨١) ١٢٨٦ .

وعن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر - رضي الله تعالى عنه - إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة . قال : فسأله فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها ، فقال : عدُّوا له ألفاً فأعطى الرجل ألف درهم ثم حول المال ساعة ثم قال : عدُّوا له ألفاً أخرى . قال له : أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم ، فاستحى الرجل من كثرة ما أعطي فخرج ، فقال عمر : أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم ، رجل ضُربَ ضربةً في سبيل الله خفرت^(١) وجهه^(٢) . وروى ابن سعد قصة إسلام الهرمزان^(٣) ومن معه بعدما فتح الله تستر^(٤) على يدي أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى عنه - ، وما كان من عمر لما أسلموا حيث تألف قلوبهم وفرض لهم ألفين وسمى الهرمزان عرفطة^(٥) .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - إلى السوق ، فلحقت عمر امرأة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجي وترك صبية صغاراً ، والله ما ينضجون كراعاً ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن تأكلهم الضبع^(٦) ، وأنا بنت

(١) خفر الرجل أي غدر به . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٥٥ / ٤ ، والفيومي ، الصباح المنير ، ١٧٥ / ٢ .

(٢) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٣٥٥ / ٣ ، ط : الأولى ١٤٠٩ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) الهرمزان ، من أهل مهرجان قدق في فارس ، ووجهه يزدجرد إلى مدينة تستر ، فتحصن بها ومعه الأموال ، روي أنه حاصرهم أبو موسى الأشعري لمدة سنتين إلى أن فتح الله عليهم ، فأرسل الهرمزان إلى عمر في المدينة ، فأخذ الأمان لنفسه حيلةً ، فترع عمر ملبسه وأمواله وألبسها سراقبة بن مالك ، فأرسلهم إلى الشام ، فرجعوا إلى عمر فأسلموا ، قيل أن عبيدالله بن عمر رضي الله عنه قتله لأنه اتهمه بموافقة أبا لؤلؤة المجوسي على قتل أبيه . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٩٠ / ٥ ، ط : دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ورقم . وانظر كذلك : الحموي ، معجم البلدان ، ٤٤٤ / ٢ .

(٤) تُستَر : بالضم ثم السكون ثم فتح ، أعظم مدينة بخورستان ، «الأهواز» وهي في مكان مرتفع من الأرض ، تبعد عن مدينة سابور ثمانية فراسخ ، أي ١٥ كيلو متر ، فتحها أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - انظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٤٤٣ / ٢ . وانظر الحميري ، الروض المعطار ، ١٤٠ ، وانظر : صبحي الصالح ، النظم الإسلامية ، ٤١٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٩٠ / ٥ ، ط : دار صادر ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .

(٦) تأكلهم الضبع : أي تهلكهم السنة المجدية ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٢٤٦ / ٧ .

خفاف بن إيماء الغفاري^(١) ، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي - ﷺ - . فوقف معها عمر ولم يمض ، ثم قال : مرحباً بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار ، فحمل عليه غرارتين مלאهما طعاماً ، وحمل بينهما نفقة وثياباً ، ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه ، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أكثرت لها ؟ قال عمر : ثكلتك أمك ، والله إنني لأرى أبا هذه وأخاها ، قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه ، ثم أصبحنا نستفيئ سهماننا فيه^(٢) .

لعل فيما مضى من الشواهد ما يكفي لبيان منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تأليف القلوب ، حيث كان يتألف الجماعات والأفراد والمسلم والكافر ، كما كان يتألف أقوياء الإيمان إذا دعت الحاجة إلى ذلك . إذاً فموقفه - رضي الله عنه - من منع إقطاع أبي بكر لعبيثة بن حصن والأقرع بن حابس كان لحالة خاصة ، وقد سلف القول في بيان هذه الأسباب الداعية لمنع عمر التأليف في تلك الحادثة .

إذاً فهذا تأليف القلوب وهذا منهج رسول الله - ﷺ - فيه قد استبان ، وما جاء في كتاب الله - سبحانه وتعالى - عن التأليف قد وضح ، ووضع كذلك منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - في تأليف القلوب ، فهو أسلوب نبوي له آثاره الدعوية الإيجابية الكثيرة .

(١) قال ابن حجر : « لم أقف على اسمها ولا على اسم زوجها ولا على اسم أحد من أولادها » انظر : المرجع السابق ، نفس الموضع . وأما أبوها فهو : خفاف بن إيماء بن رضنه بن خربة الغفاري ، أبوه سيد غفار ، وهو خطيبهم وإمام مسجدهم ، وقد شهد الحديبية وباع بيعة الرضوان ، وهو وأبوه وجده رحضة لهم صحبة ، كانوا ينزلون غَيْقَةَ ، موضع بين مكة والمدينة من بلاد غفار ، وكانوا يرتادون المدينة كثيراً . انظر ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ١٣٨/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، حديث رقم (٤١٦٠ - ٤١٦١) ٨٧٢ .

المبحث الثالث

مكثة التآلف ببه أساللب الدعوة

المطلب الأول

مفهوم أساللب الدعوة وأهميتها

المطلب الثاني

تعداد الأساللب الدعوية

المطلب الثالث

مميزات أسلوب تأليف القلوب

المبحث الثالث

مكانة التأليف بين أساليب الدعوة

إن لأسلوب التأليف المادي للقلوب أهمية كبيرة ، وهذا ما يوضح مكانة التأليف بين الأساليب الدعوية ، ولبيان هذه المكانة لابد من دراسة هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

- المطلب الأول : مفهوم أساليب الدعوة وأهميتها .
- المطلب الثاني : تعداد الأساليب الدعوية .
- المطلب الثالث : مميزات أسلوب تأليف القلوب .

المطلب الأول : مفهوم أساليب الدعوة إلى الله وأهميتها :

الفرع الأول : المفهوم اللغوي :

تطلق كلمة « الأسلوب » في اللغة ويراد بها عدة معانٍ ، أوضحها علماء اللغة في بعض المعاجم اللغوية وغيرها .

وقال ابن منظور : « ويقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب . قال : والأسلوب الطريق ، والوجه ، والمذهب ، يقال : أنتم في أسلوبٍ خيرٍ ، ويجمع أساليب . والأسلوب : الطريق تأخذ فيه »^(١) . وفي المعجم الوسيط : « والأسلوب الطريق . يقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه . وطريقة الكاتب في كتابته والفن . يقال : أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة »^(٢) .

وعند التأمل فيما تقدم من المعاني اللغوية يظهر أن كلمة « الأسلوب » استخدمت في معانٍ حسية ، وفي معانٍ غير حسية « معنوية » .

قال أحمد الشايب : « هذه المعاني التي نقلناها عن ابن منظور^(٣) قسمان : قسم حسبي يمثل الوضع الأسبق للفظ ، كسطر النخيل ، والطريق الممتد أو السلوك » ثم قال : « وقسم معنوي هو الخطوة الثانية في الوضع اللغوي حين تنتقل الكلمات من معانيها الحسية إلى هذه المعاني الأدبية ، وذلك هو الفن من القول أو الوجه والمذهب في بعض الأحيان »^(٤) .

إذاً فالأسلوب هو : الطريق والوجه والمذهب ، بل ويُفهمُ معنىً أعمق وهو : التفنن والتنوع في سلوك الطريق ، معنوياً وحسياً .

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « سلب » ، ٤٧٣/١ ، وانظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة « سلب » ، ١٤٩/١

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مادة « سلب » ، ٤٤٠ .

(٣) يقصد النقل الذي سبق تسجيله عن ابن منظور في معنى الأسلوب .

(٤) أحمد الشايب ، الأسلوب ، ٤١ ، ط : الثامنة ١٩٨٨ م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

الفرع الثاني : المفهوم الاصطلاحي للأسلوب :

نظراً لعمومية المعنى اللغوي للأسلوب فمن الصعب تحديد مصطلح عام يشمل جميع الفنون. وحيث إن دراسة الباحث في فن الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - فسيكون التعريف الاصطلاحي خاصاً بالأسلوب الدعوي .

عرف الدكتور / سيد محمد بن ساداتي الشنقيطي الأسلوب الدعوي بأنه « صيغ التبليغ في دعوة الناس »^(١). وحيث إنه بحسن الأساليب يستطيع الداعية عرض ما يريد من المعاني والأفكار في عبارات وجمل مختارة لتناسب أفكار وأحوال المخاطبين وما يجب لكل مقام من المقال^(٢)، وحيث إن الأساليب هي مجموعة الطرق العملية والقولية التي يستخدمها الداعية أثناء عرضه لتلك الأفكار^(٣)، فإن التعريف المختار للأساليب هو : « مجموعة الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبوا إليه »^(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد مايلي :

١ - أن مجموعة الطرق القولية والعملية من الأساليب الدعوية كثيرة جداً ، ولايستطيع الباحث إحصاء وحصر هذه الأساليب الدعوية ، فإن لكل حالة دعوية أساليبها ولكل وسيلة أساليبها المناسبة ولكل شخص أساليب مناسبة معه .

(١) د. سيد محمد بن ساداتي الشنقيطي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، ٤٨ ، ط : الأولى ١٤١٥ هـ ، دار عالم الكتب ، الرياض .

(٢) انظر : د. أحمد بن محمد أبابطين ، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومستوليتها في الدعوة ، ٥٢٣ ، ط : الثالثة ١٤١٣ هـ ، دار عالم الكتب السعودية ، الرياض .

(٣) انظر : د. عبدالرحمن الخليلي ، الدعوة إلى الله في السجون ، ٣٤٥ ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ ، دار الوطن ، الرياض .

(٤) انظر : خالد الخياط ، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ١٠٤ ، ط : الأولى ١٤١٢ هـ ، دار المجتمع ، السعودية .

٢ - أن الأساليب الدعوية قد تمتزج فيما بينها بحيث يوجد في المثال الواحد أكثر من أسلوب ، كما يتداخل أسلوب القصة مع المثل ولهذا شواهد كثيرة في الكتاب والسنة ، وهذا يزيد الأسلوب قوة ومتانة ، ويعد ميزة حسنة^(١) .

٣ - الأساليب الدعوية القولية والعملية كثيرة جداً ، ولاشك أن الباحث لا يستطيع الإحاطة بما ورد في الكتاب والسنة من أساليب في الدعوة إلى الله فليس المقام مقام بسط لذلك ، ولكنني سأشير فيما بعد بإذن الله تعالى إلى تعريف موجز مع أمثلة بسيطة إلى أمهات الأساليب الدعوية .

وأخيراً أخلص بعد العرض السابق إلى أنه إذا كان الأسلوب هو ما يستخدمه الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بالدعوة فإن من أنفع الأساليب الدعوية العملية أن يتقدم الداعية بين يدي دعوته للمدعو ببعض الأمور المادية ، حيث فطرت القلوب بسرعة تأثرها بالماديات وحبها لمن أسدى إليها الإحسان ، وهذا ماسبق تسميته في بداية الدراسة بـ « تأليف القلوب » . ولا يخفى على الدعاة ما لتأثر القلب وميله نحو الداعية من عظيم النفع والأثر في استجابة المدعو لما يدعى إليه .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »^(٢)

(١) انظر : د. أحمد بن محمد أبابطين ، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة ، ٥٢٢ .

(٢) سبق تخريجه ، صفحة : ٢٦ .

الفرع الثالث : أهمية الأساليب الدعوية :

تتبع أهمية الأساليب في الدعوة إلى الله - تعالى - من خلال النقاط التالية :

١ - إن اختيار أنسب الأساليب وأحسنها وأعمقها تأثيراً من الأمور المندوب إليها في عمل الدعاة ، وذلك لأن المدعويين أصناف مختلفة ، فمنهم المؤمن ضعيف الإيمان ، ومنهم المؤمن قوي الإيمان ، ومنهم غير المؤمنين من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، ومنهم المشركون ، ومنهم الملحدون ، وفي كل صنف هناك حالات تختلف عن غيرها ، وهكذا فإن المدعويين أصناف كثيرة وحالات أكثر ، فالداعية عليه أن يختار أنسب الأساليب الدعوية مع كل صنف^(١).

٢ - وحيث إن الدعوة إلى الله ذات مجالات واسعة ، ووسائلها كثيرة وحصرها صعب ، ولكل وسيلة من وسائل الدعوة ومجال من مجالاتها الأساليب المناسبة والتي قد تنفع مع مدعوٍ ولا تنفع مع غيره ، فعلى الداعية أن يختار أنسب الأساليب للوسائل والمجالات الدعوية على قدر الاستطاعة بعد التعرف على أحواله . «والداعية في كل مجال من مجالات الدعوة والتبليغ .. في نطاق الكتابة والخطابة والتحدث والنقاش .. بحاجة إلى الأسلوب الحسن الذي يصيب الهدف ويبلغ القصد»^(٢).

٣ - إن العصر الحديث يختلف عن غيره من العصور السابقة في أنه عصر غلبت عليه صبغة الحضارة المادية ، وراجت فيه المذاهب الفكرية ، وتغيرت الظروف المحيطة بالناس ،

(١) انظر : د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعويين وكيفية دعوتهم ، ص ٧ وما بعدها ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ ، دار العاصمة، الرياض .

(٢) انظر : فتحي يكن ، مشكلات الدعوة والداعية ، ١١٨ ، ط : الخامسة عشر ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . وانظر كذلك : محمد خير يوسف ، الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ، ٦٩ ، ط : الثانية ١٤١٤ هـ ، دار طويق، السعودية ، الرياض .

والعوامل المؤثرة فيهم تغييراً كبيراً ، أثر في نظرتهم إلى الحياة وفي آرائهم وأفكارهم ومفاهيمهم وخاصة بلاد المسلمين التي تعرضت لغزو فكري ، حاول أن يسيطر على العقول وأن يوجه أبناء المسلمين وجهة ضالة تبعدهم عن التمسك بمبادئ دينهم ، وتجعلهم ينغمسون في الشهوات ، وينحرفون عن صراط الله المستقيم . ويتشككون في ماضيهم وحاضرهم ، وفي قدرتهم على النهوض واللاحق بركب الحضارة الحديثة وما فيها من تقدم .

وهذا كله يجعل مهمة الدعوة إلى الله في هذا العصر شاقة ثقيلة ، تحتاج إلى تخطيط وصبر ، كما تحتاج إلى تخير الأساليب المناسبة حتى تكون الدعوة على بصيرة ، فينجح الدعاء إلى الله في أداء مهمتهم الجليلة ، وتخير هذا الأسلوب المناسب في الدعوة إلى الله تعالى لكي يستطيع الدعاء الوصول إلى قلوب الناس وتفتح عقولهم من أجل مخاطبتها وإقناعها بالقول الصحيح والحجة الواضحة البينة والحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن^(١) .

٤ - « إن أساليب الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - تقوم على النقاط والأساليب التالية:

أ - **تشخيص وتحديد الداء في المدعوين ، ومعرفة الدواء :** فإن طبيب الأبدان الحاذق الحكيم يشخص ويعرف الداء أولاً ثم يصف ويعين العلاج حسب الداء . والداعية إلى الله - تعالى - هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح . والداء عند الناس قد يكون كفوفاً ، وقد يكون معصية ، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء ، فإن دواء الكفر الإيمان

(١) انظر : د. عبدالنعم محمد حسنين ، الدعوة إلى الله على بصيرة ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ط : الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب الإسلامية ، مصر ، لبنان .

- بالله ، وبما جاء عنه - سبحانه وتعالى - وعن رسوله - ﷺ - .
- ودواء المعاصي كبائرها وصغائرها التوبة إلى الله - تعالى - والإقبال عليه ، والإكثار من الطاعات المكفرة للسيئات ، وهكذا فإن لكل داءٍ دواء .
- ب - إزالة الشبهات التي تمنع المدعويين من رؤية الداء والإحساس به ، ولاشك أن الشبهات هي ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعية وحقيقة ما يدعو إليه ، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له ، أو تأخير هذه الاستجابة .
- ج - ترغيب المدعويين وتشويقهم إلى استعمال الدواء ، والاستجابة وقبول الحق ، والثبات عليه ، وترهيبهم من ترك الدواء بكل ما يخوف ويحذر من عدم الاستجابة ، أو عدم الثبات على الحق بعد قبوله .
- د - تعهد المدعويين بالتربية والتعليم والتوجيه ، لتحصل لهم المناعة ضد داءهم القديم . ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة : الاتصال بكتاب الله - تعالى - تلاوةً وتدبراً وفهماً ، والاتصال الدائم بالسنة النبوية ، وسيرة السلف من الصحابة رضي الله عنهم - فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة «^(١)» .
- هـ - تعهد المدعويين بعامة بالاستمرار معهم وعدم اليأس والقنوط من استجابتهم .

(١) سعيد بن علي القحطاني ، مقومات الداعية الناجح ، ٩٨ - ٩٩ ، ط : الأولى ١٤١٥هـ ، المؤلف نفسه . وانظر : عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٤٢٠ - ٤٤٦ ، ط : الرابعة ١٤١١هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة البشائر، الأردن ، عمان . وانظر كذلك : د ، عبدالنعيم حسنين ، الدعوة إلى الله على بصيرة ، ٢٠١ - ٢٣١ .

المطلب الثاني : تعداد أساليب الدعوة إلى الله :

تقدمت الإشارة إلى مفهوم الأساليب وأهميتها، ولأنني أريد أن أبرز مكانة التأليف بين الأساليب الدعوية ، فإنه لا بد من تعداد هذه الأساليب . وحيث يصعب حصرها ، فإنني سأذكر أهمها، ومن ثم أبرز أسلوب التأليف فيما بعد بذكر مميزاته .
عندما التأمّل فيما كتب حول أساليب الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - قديماً وحديثاً ، وجدت فروقات كثيرة فيما كتب ، ولعل هذا من باب اختلاف التنوع ، والسبب في ذلك - والله تعالى أعلم - أن كل باحث أراد أن يعالج بعض الجوانب التي تختلف عن معالجات الكتاب الآخرين ، ولقد جاءت هذه الكتابات كمايلي :

- ١ - بعض الكتاب جعل الأساليب الدعوية أو بعضها هي نفسها الوسائل فلا يفرق بين هذه وتلك ، وذلك باعتبار أن كلاً من الوسيلة والأسلوب طريق في الدعوة إلى الله تعالى^(١) .
- ٢ - وبعض الكتاب قسّم الأساليب الدعوية إلى قولية ، وعملية ، وأضاف بعضهم أساليب إعلامية^(٢) .
- ٣ - وبعض الكتاب قسم الأساليب الدعوية إلى أساليب رئيسة ، وجعلها : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وأساليب مساعدة ، وجعلها : التصوير بضرب المثل والقصة ، والتوكيد بالقسم والتكرار والاستفهام^(٣) .
- ٤ - ومن كتب عن الأساليب من جعل لهذا العصر بعض الأساليب التي يكون نفعها أكثر من

(١) انظر : د. أحمد محمد العدناني ، طرق الدعوة الإسلامية ، ط ١٤٠٩ هـ ، المؤلف نفسه . وانظر كذلك : د. توفيق الواعي ، الدعوة إلى الله - الرسالة الوسيلة الهدف - ، ص ١١٧ ، وما بعدها ، ط : الثانية ١٤١٦ هـ ، دار اليقين ، مصر ، المنصورة .

(٢) انظر : المرجعين السابقين .

(٣) انظر : د. أحمد محمد أبابطين ، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة ، ٥٢١ - ٥٧٢ .

غيرها وذلك على مستوى الدعوة الإسلامية ، نظراً لطبيعة هذا العصر واختلاف لغته^(١) .
٥ - ومن الكتاب من فرق بين الأسلوب والوسيلة ولكنه يسرد الأساليب والوسائل الدعوية
جملة واحدة دون أي تقسيم لها^(٢) .
وهكذا نجد بعض الفروقات بين هؤلاء الكتاب نظراً لاختلاف زاوية المعالجة
عند كل منهم .

والسبب في هذا الاختلاف في الطرح أن الأساليب الدعوية كثيرة جداً ويصعب إحاطتها
جميعها بتقسيم علمي محدد ، وذلك لتنوعها حسب استخدام الداعية لها ، وحسب المكان ،
والزمان . وتتدخل في هذه الأساليب عدة عوامل : داخلية : وأهمها العوامل النفسية مثل
الغضب ، والرضا ، والحب ، والبغض ... وعوامل خارجية : مثل النواحي التربوية ،
والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ... فالأساليب محكومة بأوضاع وحالات معينة .
وحيث إنه يفترض في الداعية الإعداد الجيد ، وتحمل المسؤولية فإنه بعلمه ، وبُعد نظره ،
هو الذي يستطيع استخدام الأسلوب المناسب في المكان المناسب والزمن المناسب مع الشخص
المناسب .

فبالأساليب الدعوية إما أن تكون قولية وإما أن تكون عملية . ولكل منهما طرق
وأساليب ، وقد سبقت الإشارة إلى إمكانية تداخل عدة أساليب في حالة واحدة .
والأساليب القولية متعددة ، ولكن جميع هذه الأساليب مرجعها إلى ثلاثة وهي : أسلوب
الحكمة في القول ، وأسلوب الموعظة الحسنة ، وأسلوب الجدل بالحسنى . وكذلك الأساليب
العملية متعددة ولكن جميع هذه الأساليب مرجعها إلى ثلاثة هي : أسلوب الحكمة العملية ،

(١) انظر : د. حمد بن ناصر العمار ، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، ط : الأولى ١٤١٦ هـ ، دار أشبيليا ، الرياض .

(٢) انظر : محمد خير يوسف ، الدعوة الإسلامية - الوسائل والأساليب .

وأسلوب القدوة الحسنة، وأسلوب استخدام القوة مع المعاندين والمكابرين .
وقد كان هذا التقسيم فهماً من قوله سبحانه : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »^(١) ، وقوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على
بصيرة أنا ومن اتبعني »^(٢) ، وقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
إلا الذين ظلموا منهم »^(٣) .^(٤)

وسيكون الحديث في هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول : الأساليب القولية .

الفرع الثاني : الأساليب العملية .

-
- (١) سورة النحل : ١٢٥ .
(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٣) سورة العنكبوت : ٤٦ .
(٤) انظر : سعيد بن علي القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، المقدمة ، ط : الأولى ١٤١٢ هـ ، المؤلف نفسه ،
وانظر كذلك : مقومات الداعية الناجح ، ٩٩ .

الفرع الأول : الأساليب القولية في الدعوة إلى الله

إن الأساليب القولية في الدعوة إلى الله - تعالى - كثيرة ولكن تجتمع في الأساليب

الثلاثة التالية :

١ - أسلوب الحكمة القولية .

٢ - أسلوب الموعظة الحسنة .

٣ - أسلوب الجدل بالتي هي أحسن .

وسأعرف بكل واحدٍ من هذه الأساليب فيما يلي ، بإذن الله تعالى .

أولاً : أسلوب الحكمة القولية :

المفهوم اللغوي للحكمة :

وقال الراغب الأصفهاني : « حَكَمَ أصله مَنَعَ منعاً لإصلاح . ومنه سميت اللجام حَكَمَةَ الدابة، ف قيل حَكَمْتُهُ ، وحَكَمْتُ الدابة : منعتها بالحِكْمَةَ ... والحِكْمَةُ : إصابة الحق بالعلم والعقل »^(١).

وقال ابن الأثير: « والحكيم فعيل بمعنى فاعل. أو هو الذي يُحَكِّمُ الأشياءَ ويتقنها ، فهو فعيل بمعنى مُفَعِّلٍ . وقيل : الحكيم : ذو الحِكْمَةَ . والحِكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم »^(٢)

وقال الفيروز آبادي : « والحِكْمَةُ - بالكسر - : العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ،

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ١٢٦ .

(٢) ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٤١٩/١ . وابن منظور ، لسان العرب ، ١٤٠/١٢ .

والقرآن ، والإنجيل . وأحكمه : أتقنه فاستحكم ، ومنعه من الفساد... ومنعه مما يريد «^(١)» .
وقال سعيد بن علي القحطاني بعد سياقه للمعنى اللغوي للحكمة ومشتقاتها :
« وما تقدم يتضح ويتبين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع ، فقد استعملت في عدة معانٍ
تتضمن معنى المنع :

فالعدل : يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم .

والحلم : يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب .

والعلم : يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل .

والنبوة ، والقرآن ، والإنجيل : فالنبي إنما بُعث لمنع من بُعث إليهم من عبادة غير الله ،
ومن الوقوع في المعاصي والآثام ، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله
تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر قبيح ... ثم قال :
« ومن فسّر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن المعرفة الصحيحة فيها معنى المنع ، والتحديد ،
والفصل بين الأشياء ، وكذلك الإتقان ، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه »^(٢)
ويتضح - والله أعلم - أن المفهوم اللغوي جاء عاماً لا يخص الحكمة بالقول دون الفعل أو
العكس ، فالحكمة قولية وفعلية . وسيتضح هذا أكثر عند بيان المفهوم الاصطلاحي للحكمة .

المفهوم الاصطلاحي :

يرى الإمام الطبري أن الحكمة هي : « العلم بأحكام الله التي لا يُدركُ علمُها إلا ببيان
الرسول - ﷺ - والمعرفة بها وما دل عليه ذلك من نظائره وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بترتيب الطاهر الزاوي ، ٦٨٥/١ ، وانظر : الجوهري ، الصحاح ، ١٩٠٢/٥ .

(٢) سعيد بن علي القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ٢٤ - ٢٥ .

بمعنى الفصل بين الحق والباطل «^(١) .

وعرفت الحكمة بأنها « مفهوم منبثق عن أصل الشرع وأنها تعني إصابة الحق والالتزام

به «^(٢) .

وقال سعيد القحطاني : « وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو : الإصابة في الأقوال والأفعال ، ووضع كل شيء في موضعه «^(٣) . وللربط بين المفهومين : اللغوي والاصطلاحي فإنه يمكن أن يقال إن تعريف الحكمة هو : « الإصابة في القول والعمل والاعتقاد ، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان «^(٤) .

أهمية أسلوب الحكمة :

تظهر أهمية أسلوب الحكمة وتتجلى مكانته من خلال عدة أمور منها :

١ - أسلوب الحكمة هو أهم أساليب الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - ، لاعتماد جميع الأساليب عليه ، فلا يمكن تحديد الأسلوب الدعوي ومدى مناسبته ، ومادة الدعوة ومدى مناسبتها ، وإمكانية استيعاب المدعو لها ، وجميع الأمور التي تكون سبباً في نجاح الدعوة - إلا بأسلوب الحكمة .

ونظراً لأهمية هذا الأسلوب من هذه الناحية فقد كان الأمر بالدعوة إلى الله مرتبطاً بأسلوب الحكمة أولاً ثم الموعدة الحسنة والجدال . قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن «^(٥) .

(١) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ١ / ١ / ٤٣٦ ، وأيضاً : ٣ / ٣ / ٦٠ - ٦١ .

(٢) رفاعي سرور ، حكمة الدعوة ، ٥ ، ط : الثانية : ١٩٩١ م ، مكتبة الحرمين ، القاهرة .

(٣) سعيد القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ٢٦ - ٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٥) سورة النحل : ١٢٥ .

٢ - كان - ﷺ - يلزم تبليغ دعوة الله بأسلوب حكيم ، ولذا فقد كان له أعظم الأثر في إقبال الناس على دين الله - تبارك وتعالى - ، وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - ملأ قلب رسول الله - ﷺ - بالحكمة .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله - ﷺ - قال : « فُرَجَّ^(١) بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست^(٢) من ذهب ممتليء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي » الحديث^(٣) .

٣ - أخبر الله - سبحانه - أن من أوتي الحكمة فإنما قد حاز كثيراً من الخير . قال الله -

تعالى - : « يؤت الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »^(٤) .

٤ - لقد جعل الله - سبحانه - مما يغبط الناس به بعضهم بعضاً ويتحاسدون عليه الحكمة ،

قال - عليه الصلاة والسلام - : « لاحسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه

على هلكته بالحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها »^(٥)

(١) فَرَجَّ : شَقَّ ، وانفرج الشيء : اتسع ، والفُرْجَةُ : الشقُّ بين الشيتين . انظر : ابراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٦٧٨/٢ .

(٢) الطستُ : إناء كبير مستدير ، المرجع السابق ٥٥٧/٢ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلاة حديث رقم : (٣٤٩) ، ٩٠ ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، ١٤٨/١ .

(٤) سورة البقرة : ٢٦٩ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب : الاغتباط في العلم والحكمة ، حديث رقم (٧٣) ، ٣٣ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، حديث رقم : (٢٦٧) ، ٣٤٥/٦ .

ثانياً : أسلوب الموعظة الحسنة :

مفهوم الموعظة :

قال الأصفهاني : « الوعظ زجر مقترن بتخويف » . « وهو التذكير بالخير فيما يَرقُّ له القلب »^(١) .

وقال ابن منظور: «الوعظ والعِظة والعِظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب»^(٢) .
ويلاحظ في التعريفين السابقين أن أسلوب الموعظة الأصل فيه أنه تذكير ، والتذكير لا يكون في الغالب إلا مع من يتفق مع الداعية على ما يذكره به ، ولكن الغفلة ألتهته عن التذكر . وأيضاً فإن ركني التذكير في هذه التعريفات اللغوية : الثواب والعقاب ، وهذا ما يسمّى في المصطلحات الدعوية الترغيب والترهيب .

إن أساليب الموعظة تكون قولية كما يمكن أن تكون فعلية ، كما لو رأى إنسان شخصاً ميتاً فإنه يرق لهذا المشهد قلبه ويلين ، ومن ثم يتذكر المصير الذي سيصير إليه . ولكن أبرز أساليب الموعظة هما : أسلوبا الترغيب والترهيب ، ولذلك سيكون الكلام منحصرأ في هذين الأسلوبين .

معنى الترغيب والترهيب :

الترغيب هو : كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه .
والترهيب : كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٣) .

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات ، ٥٢٧ . وكذلك : الجرجاني ، التعريفات ، ٣٠٨ . و الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،

٩٠٣ ، وإبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ١٠٤٣/٢ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٦٦/٧ .

(٣) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٤٣٧ .

ولذلك فإن الأصل في هذين الأسلوبين أن يكون استخدامهما مع المؤمنين بغية ثباتهم على الحق وتمسكهم به .

لقد استخدم القرآن الكريم هذين الأسلوبين وبكثرة لما لهما من أهمية كبيرة من حيث الاستجابة إلى الحق والثبات عليه ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترهيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى .

والأصل في الترهيب أن يكون في نيلِ رضى الله - سبحانه وتعالى - والفوزِ برحمته وثوابه وجناته في الآخرة .

وأما الترهيب فيكون بالتخويف من النار ومن غضب الله - سبحانه وتعالى - وعذابه في الآخرة^(١) .

وخروجاً عن الأصل فقد يكون الترهيب ببعض الأمور المادية الدنيوية^(٢) .

ثالثاً : أسلوب الجدَل بالتبهي هي أحسن :

مفهوم الجدال :

قال الراغب : « الجدال:المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ... فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه ، وقيل الأصل في الجدال الصُّراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة »^(٣) .

وقال ابن الأثير : « الجدَل : مقابلة الحجة بالحجة . والمُجادلة : المناظرة والمخاصمة »^(٤) .

(١) انظر عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٤٣٧ ، وانظر كذلك : د . توفيق الواعي ، الدعوة إلى الله ، ١٩٩-٢٠٠ ، ط : الثانية ١٤١٦هـ ، دار اليقين ، مصر ، المنصورة .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٩٠ ، وكذلك : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٤/١١ .

(٤) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢٤٨/١٢ ، وكذلك : ابن منظور ، اللسان ، ١٠٥/١١ .

وقال ابن منظور : « والجَدَلُ : اللَّدْدُ في الخصومة والقدرة عليها ... والاسم : الجَدَلُ وهو شدة الخصومة »^(١).

والجدل في الأصل من الحوار والمناقشة^(٢). قال - تعالى - : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير »^(٣).
قال القرطبي : « وقريء (تحاورك) أي تُرْجِعُك الكلام و (تجادلك) أي تسائلك »^(٤). وقال الدكتور/ زاهر الألمي : « فالجدل هو الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوة المتكلم »^(٥). ومما سبق يتبين أن المجادلة مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين بطابع القوة والغلبة والخصام . والغرض من الجدل : إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال^(٦) ، ولذلك فإنه في الأصل أن لا يستخدم هذا الأسلوب إلا مع غير المؤمنين ، وأما استخدامه مع المسلمين فإن الأصل عدمه إلا إذا اقتضت الحكمة ذلك^(٧).
وقد وردت نصوص كثيرة تحذر من الجدل وتجعله في موقع الذم ، مثل قوله ﷺ :
« ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل . ثم قرأ قوله - تعالى - : (ماضيوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون)^(٨) »^(٩).

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٥/١١ ، وكذلك : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٢٦١ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١٧/٤ - ٢١٨ .

(٣) سورة المجادلة : ١ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦١/١٧ .

(٥) د. زاهر عواض الألمي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ٢٠ .

(٦) محمد أبوزهرة ، تاريخ الجدل ، ٥ ، ط : الثالثة ١٤٠٤ هـ ، المؤلف نفسه .

(٧) خالد الحياط ، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ١٦٧ .

(٨) سورة الزخرف : ٥٨ .

(٩) أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزخرف ، حديث رقم (٣٢٥٣) ، ٣٧٨/٥ ، وقال : حديث

حسن صحيح .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن الجمع بين ما يظهر من تعارض بين مثل هذه النصوص الصريحة ، وبين نصوص أخرى أمرت بالجدل في مثل قوله -تعالى- : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن »^(١) . وقوله -تعالى- : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتتي هي أحسن »^(٢) .

وللإجابة عن ذلك أقول وبالله التوفيق :

أولاً : الجدل جدالان ، جدال محمود : وهو ماكان لإحقاق الحق ودمغ الباطل . وجدال مذموم : وهو ما كان لرد الحق وتأييد الباطل ، أولجرد العناد ، أو للماراة وطلب الجاه والتقدم على الغير .

ثانياً : ماظهر من تعارض بين تلك النصوص ، فإن النصوص التي حذرت من الجدل وذمته تحمل على الجدل المذموم . وأما النصوص التي أمرت به فإنها تحمل على الجدل الم محمود^(٣) ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٣) انظر : د. بكر بن عبدالله أبوزيد ، الردود ، ٤٩ - ٥٤ ، ط : الأولى ١٤١٤هـ ، دار العاصمة ، الرياض . وانظر : أحمد الصويان ، الحوار ، ٩٩ - ١٠١ ، ط : الأولى ١٤١٣هـ ، دار الوطن ، الرياض ، وانظر : د. خالد القاسم ، الحوار مع أهل الكتاب ، ١٧٩-١٨٢ ، ط : الأولى ١٤١٤هـ ، دار المسلم ، الرياض ، وانظر : يحيى محمد زمزمي ، الحوار آدابه وضوابطه ، ٦٠-٧١ ، ط : الأولى ١٤١٤هـ ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، ودار رمادي ، الدمام .

الفرع الثاني : الأساليب العملية في الدعوة إلى الله :

إن الأساليب العملية في الدعوة إلى الله - تعالى - كثيرة ، ولكن يجمع هذه الأساليب كلها ثلاثة هي :

١ - أسلوب الحكمة العملية .

٢ - أسلوب القدوة الحسنة .

٣ - أسلوب القوة .

وسأعرف بكل أسلوب من هذه الأساليب بإذن الله - تعالى - فيما يلي .

أولاً : أسلوب الحكمة العملية :

إن أهم الأساليب الدعوية هو أسلوب الحكمة ، إذ هو الأسلوب الذي يتم من خلاله تحديد أي أنواع الأساليب الدعوية يستخدم بناءً على حال المدعو ونوعه والظروف المحيطة به. وقد سبق الكلام عن معنى الحكمة لغة واصطلاحاً بما يغني عن إعادته هنا. ولاشك أن الحكمة منها ما هو قول^(١) ومنها ما يكون عملياً بأن يوضع كل شيء في موضعه المناسب^(٢) ، حيث يمر على الداعية إلى الله في عمله الدعوي بعض المواقف التي تتطلب منه أن يكون حكيماً في التعامل معها فيضع كل تصرف فيما يناسبه من الأحوال ، فقد تكون الحكمة في بذل المال ، وقد تكون في المنع ، وقد تكون الحكمة في العفو والصفح ، وقد تكون بالمؤاخذة على الذنب وهكذا .

إن موضوع الدراسة « تأليف القلوب » على ما أوضحت في مفهومه فإن استخدامه تطبيق لأسلوب الحكمة العملية في الدعوة إلى الله - تعالى - وسأتحدث عن مميزات أسلوب التأليف في الدعوة إلى الله فيما بعد^(٣) بإذن الله تعالى - .

(١) تقدم التعريف بالحكمة القولية في الفرع الأول من المطلب الثاني .

(٢) سعيد بن علي القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ٣٥ .

(٣) في المطلب الثالث من المبحث الثالث ، ص ٩٠ .

ثانياً : أسلوب القدوة الحسنة :

مفهوم القدوة :

قال الراغب الأصفهاني : « الأسوة ، والإِسوة : كالقُدوة والقِدوة ، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره ، إن حسناً وإن قبيحاً ، وإن ساراً أو ضاراً »^(١).

وقال ابن منظور : « يقال قِدوة وقُدوة لما يقتدى به » ونقل عن ابن سيده : « القِدوة والقُدوة ماتسَنَّتْ به »^(٢) . ثم قال : « والقِدوة والقُدوة : الأسوة . يقال : فلان قُدوة يقتدى به »^(٣) . وقال القرطبي في معنى القدوة : « طلب موافقة الغير في فعله »^(٤) .

يتضح من المعنى اللغوي للقدوة أنها هي الأسوة . وهي من جهة المقتدى به : طلب موافقة الغير له في فعله . ومن جهة المقتدي فهي : الحالة التي يكون عليها الإنسان في اتباع غيره في فعله ، ولاشك أنها في كلا الأمرين تكون سيئة وتكون حسنة ، ولذلك فقد لزم الأمر - عندما يكون الحديث عن القدوة في الدعوة إلى الله - تعالى - أن يقيّد اللفظ ، فيقال : قدوة حسنة .

ولذلك فإنه يمكن أن يقال في مفهوم القدوة الحسنة اصطلاحاً : أن يكون الداعية المسلم قدوة صالحة فيما يدعو إليه فلا يناقض قوله فعله ولا فعله قوله^(٥) .

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٢٨ .

(٢) « سَنَ فلان سُنَّةً : أي وضعها ، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم من بعده ، فهو الذي سُنَّه » . انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٤٥٥/١ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٧١/١٥ ، وكذلك الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٧٠٦ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٨/٧ .

(٥) سعيد القحطاني ، مقومات الداعية الناجح ، ٣٢١ .

أنواع القدوة :

القدوة تنقسم إلى قسمين هما : القدوة الحسنة ، والقدوة السيئة . فأما القدوة الحسنة فهي التي أمر الله - سبحانه وتعالى - بها وأوجبها على الناس لاسيما من يحمل منهم الدعوة إليه . وهي تنقسم إلى قسمين هما :^(١)

١ - قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة عن الخطأ والزلل ، ولا تتمثل هذه القدوة أبداً إلا في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، قال - تعالى - : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة »^(٢) .

فهذه الآية العظيمة تؤكد للداعية جانب الاقتداء برسول الله صلوات الله وسلامه عليهم .
٢ - القدوة الحسنة المقيدة : أي المقيدة بما شرعه الله - عز وجل - لأنها غير معصومة ، وهذه القدوة تتمثل في الصالحين من عباد الله الأتقياء من غير الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال - تعالى - : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »^{(٣) ، (٤)} .

وأما القدوة السيئة فكل من يقتدي به غيره في السوء والشر ، ولقد جاء مثل هذا النوع في كتاب الله عندما أوضح الله - سبحانه - سبب عدم إيمان بعض الأقسام . كما قال - تعالى - : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »^(٤) .

ونظراً لأهمية القدوة وأثرها في الاقتداء والمتابعة فقد حث الرسول - ﷺ - على أن يكون الإنسان المسلم الداعية قدوة لغيره في الخير ، وفي نفس الوقت يحذر من أن يكون سبباً

(١) انظر : د. محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ٢٧٨ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٣) ، (٤) سورة الأنعام : ٩٠ ، وانظر : عبدالعزيز بن ناصر الجليل ، « فبهداهم اقتده » ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ دار طيبة ،

الرياض .

(٤) سورة الزخرف : ٢٣ .

للاقتداء بالشر بمحاكاته ، فأما الأول فأجره عظيم لا يقدره إلا الله ، وأما الآخر فوزره عظيم لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - .

روى الإمام مسلم عن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قصة القوم الذين قدموا على رسول الله ﷺ وهم عراة مجتأبي النمار متقلدي^(١) السيوف ، فلما رأى فاقتهم حثاً - ﷺ - على الصدقة، فتصدق الناس، فقال - ﷺ - : «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢) .

أصول القدوة :

إن أسلوب القدوة الحسنة يعتمد على أصليين مهمين ، هما : حسن الخلق ، وموافقة العمل للقول^(٣) .

فأما الأصل الأول (حسن الخلق) فلأن للأخلاق الفاضلة تأثير في قبول الداعية وإعطائه أهلية مكانة القدوة في نفوس المدعوين . وكما كان لهذه الأخلاق عظيم الأثر في دعوة رسول الله ﷺ - ، حيث أشار الله - سبحانه - إلى ذلك ، ممتناً بهذا على رسوله - ﷺ - ، ومنبهاً إلى وجوب التحلي بما يكون سبباً لنجاح الدعوة . قال - تعالى - : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك »^(٤) وكيف لا يكون لأخلاقه - ﷺ - الأثر العظيم وهو يتمثل كتاب الله - تعالى - في جميع أقواله وأفعاله،

(١) جعلت السيوف في أعناقهم كالقلادة على العنق . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٥١٣/٢ .

(٢) الوزرُ : الإثم . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٦٥٧/٢ .

(٣) أخرجه مسلم ، مع الشرح ، كتاب : الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق قرة ... حديث رقم (١٠١٧) ، ١٠٨/٧ .

(٤) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٤٨٦ .

(٥) سورة آل عمران : ١٥٩ .

فعندما سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلقه - ﷺ - قالت : « كان خلقه القرآن »^(١) .
وأما الأصل الثاني (موافقة العمل للقول) فلأن غالب النفوس مجبولة على عدم
الأخذ بكلام من لا يعمل بعلمه ، ولا يوافق فعله قوله ، فكثيرون هم الذين يبيحون لأنفسهم أن
يرتكبوا المخالفات الشرعية لمجرد أن يروا قدوتهم يرتكبها ، إن على الداعية أن يحذر أشد
الحذر من المخالفة لهذا الأصل من أصول القدوة . وحيث إن أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام
- قدوة لنا ، فقد جاء على لسان شعيب -عليه السلام- التنبيه إلى هذا المزلق الدعوي الكبير
مخاطباً بذلك المدعويين لما في إخبارهم بذلك من أهمية كبيرة ، قال - تعالى - : « وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب »^(٢) .

لقد حذرنا الله - سبحانه وتعالى - من مخالفة أفعالنا أقوالنا فقال - تعالى - :
« بأبيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عن الله أن تقولوا مالا تفعلون »^(٣) .
ونظراً لأهمية القدوة في الدعوة فقد وُيخ الله - سبحانه وتعالى - اليهود لتفريطهم في
هذا الأصل العظيم قال - تعالى - : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون
الكتاب أفلا تعقلون »^(٤) . فأرشد - سبحانه - في هذه الآية إلى أن مخالفة الداعي لما يقول أمر
يخالف العقل كما أنه يخالف الشرع، فكيف يرضى بذلك من له دين أو عقل؟^(٥) .

(١) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٩١/٦ . وقد صححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، برقم (٤٨١١) ،

٨٧٢/٢ .

(٢) سورة هود : ٨٨ .

(٣) سورة الصف : ٢ - ٣ .

(٤) سورة البقرة : ٤٤ .

(٥) سعيد القحطاني ، مقومات الداعية الناجح ، ٣٢٨ .

ثالثاً : أسلوب القوة :

إن الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - تتخذ أساليب مختلفة بحسب اختلاف طبائع البشر المدعويين واختلاف أحوالهم . وقد سبق بيان أهم الأساليب الناجحة في دعوة عموم الناس ، ولكن منهم من يرفضون الحق ولايستجيبون له ، ولايكتفون عند هذا الحد ، بل يتعدون ويظلمون الناس بالصدء عن سبيل الله بأقلامهم وألسنتهم وأنفسهم وكل وسيلة تمكنهم من ذلك ، وأمثال هؤلاء قد لاينفع معهم إلا استخدام أسلوب القوة بحسب اختلاف أحوالهم ، ولهذا فقد شرع الله الجهاد في سبيله ، وجعله أسلوباً من الأساليب العملية في الدعوة إلى دينه ، عند الحاجة إلى ذلك . قال - تعالى - : « ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير »^(١) .

قال القرطبي : « والمشركون ثلاثة أصناف صنف يرجع بإقامة البرهان ، وصنف بالقهر ، وصنف بالإحسان ، والإمام الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف مايراه سبباً لنجاته وتخليصه من الكفر »^(٢) .

مفهوم الجهاد :

أصل الكلمة « الجهاد » من الفعل جَهَدَ ، قال ابن فارس : « الجيم والهاء والذال أصله المشقة ، ثم يحمل عليه مايقاربه ... والجهد الطاقة »^(٣) .

وقال ابن منظور : « الجُهد المشقة ، والجُهد الطاقة ... وجاهد العدو مجاهدة وجاهداً :

(١) سورة التحريم : ٩ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٦/٨ .

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٤٨٦/١ ، ت : عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بدون تاريخ .

قاتله ، وجاهد في سبيل الله ... والجهاد المبالغة واستفراغ الوُسع في الحرب واللسان أو ما أطاق من شيء »^(١) . وقال الراغب الأصفهاني : « والجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو »^(٢) . وأما في الاصطلاح فهو : بذل الوسع بالقتال في سبيل الله - عز وجل - بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك ، أو المبالغة في ذلك ، والله تعالى أعلم^(٣) .

فالجهاد مصطلح شرعي يراد به القتال في سبيل الله - تعالى - لإقامة نظام عادل يلتزم بأحكام الشريعة ويسعى لتحقيق أهداف الإسلام في المعمورة^(٤) .

ولذلك فليس القتال في ذاته أمراً حميداً في الإسلام ، وليست الحرب غرضاً مقصوداً في شرعته ، ولا تصلح إراقة الدماء لأن تكون مطمحاً تسمو إليه النفوس المؤمنة، إنما هي ضرورة تفرضها الظروف الخاصة والأهداف العامة ، وطبائع النفوس المعتدية الضالة المضلة عن سبيل الله^(٥) . ويقرر رسول الله - ﷺ - هذه الحقيقة بقوله : « ولا تتموا لقاء العدو ، فتضربوا رقابهم ، ويضربوا رقابكم ، وأسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف »^(٦) .

-
- (١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة «جهد» ، ١٣٣/٣ - ١٣٥ .
 - (٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ١٠١ .
 - (٣) الإمام الكاساني ، بدائع الصنائع ، ١٤٥/٧ ، وانظر كذلك : د. محمد خير هيكل ، رسالة الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، ٣٥/١ - ٤٩ ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ ، دار البيارق ، لبنان ، بيروت .
 - (٤) انظر : د. أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ٣٣٧ ، ٢ ، ط : السادسة ١٤١٥ هـ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
 - (٥) انظر : د. محمد فوزي فيض الله ، صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، ٣٠ ، ط : الأولى ١٤١٦ هـ ، دار القلم بدمشق ، الدار الشامية - بيروت .
 - (٦) أخرجه البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، حديث رقم (٢٩٦٦) ، ٦٢٤ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ، حديث رقم (٧٤٩) ، ٢٨٩/١٢ .

ويقول الله - سبحانه وتعالى - : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله »^(١) .
وهذا التصور المشار إليه عن القتال والجهاد واضح جلي في سياسة رسول الله - ﷺ - في
غزواته كلها ، وكذلك في وصاياه لقواده الذين يرسلهم على السرايا والبعوث .

لقد شرع الله الجهاد ليتحقق من خلاله هدفان عظيمان هما : رد العدوان والظلم الواقع
على بعض المسلمين ، وإزالة العوائق الحاصلة في وجه الدعوة الإسلامية وتأمين حرية اختيار
الدين للبشر^(٢) ، أي الدعوة إلى الدخول في الإسلام . ويضيف سعيد القحطاني هدفاً ثالثاً وهو
: نصر المظلومين والمغلوبين من الناس^(٣) .

فأما الهدف الأول فإن الله - سبحانه وتعالى - يؤكد بقوله : « فمن اعتدى عليكم ،
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله »^(٤) ، والهدف الثاني وهو تأمين جانب
الدعوة الإسلامية وحرية اختيار الدين ، فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول : « وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين لله »^(٥) ويقول - سبحانه - : « لا إكراه في الدين »^(٦) .

وأما نصر المظلومين وهو الهدف الثالث للجهاد في الإسلام ، فإن الله تبارك وتعالى - يقول :
« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً »^(٧) .

(١) سورة الأنفال : ٦١ .

(٢) انظر : د . محمد خير هيكل ، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، الباب الثالث ، ٦٠٥/١ - ٧٤٣ ، ط : الأولى ١٤١٤
هـ ، دار البيارق ، بيروت . .

(٣) سعيد القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ٥٢٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٩٤ .

(٥) سورة البقرة : ١٩٣ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٧) سورة النساء : ٧٥ .

وقد رتب الله - سبحانه وتعالى - أجراً عظيماً للمجاهد في سبيل الله فإن رسول الله - ﷺ - عندما طلب منه الصحابة أن يخبرهم عن العمل الذي يعدل الجهاد في سبيل الله، أخبر أنهم لا يطيقونه. قالوا: أخبرنا فلعلنا أن نطيعه، قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ قَائِمَاتِ بَيَّاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتَرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ إِلَى أَهْلِهِ»^(١). ولقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه لا يمكن أن يستوي المجاهد مع غيره من الناس، قال - تعالى - : «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»^(٢).

وقد ذكر الإمام ابن القيم أنه لا يمكن للعبد أن يجاهد الكفار، حتى ينتصر في جهاده لنفسه لتأتمر بأمر الله وتنتهي عن نهيه. وإن انتصار الإنسان في هذين الجهادين معلق بانتصاره في جهاده للشيطان^(٣). قال - ﷺ - : «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»^(٤). وقال - تعالى - : «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا»^(٥).

-
- (١) أخرجه ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب: الجهاد، ٢٨٥/٥. وأخرج نحوه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير، حديث رقم (٢٧٨٥)، ٥٨٨، وأخرجه الإمام مسلم بنحوه كذلك، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم (١٨٧٨)، ٢٨/١٣.
- (٢) سورة النساء: ٩٥.
- (٣) الإمام ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦/٣.
- (٤) أخرجه أبو عبد الله الحاكم، المستدرک، كتاب: الإيمان، ٥٤/١.
- (٥) سورة فاطر: ٦.

المطلب الثالث: مميزات أسلوب تأليف القلوب في الدعوة إلى الله تعالى:

إن تأليف القلوب مادياً من أبرز أساليب الحكمة العملية في الدعوة إلى الله - تعالى - وبإجراء مقارنة عامة بين أساليب الدعوة القولية والعملية يمكن للباحث أن يسجل بعض النقاط لإبراز أسلوب التأليف من الناحية النظرية في مثل هذه الدراسة ، وهذه النقاط لا ترتبط ببعضها بإطار معين ، ولذلك فسيكون ذكر كل نقطة منها على حدة، ولعل من أهم هذه المميزات ما يلي :

أولاً : يجتمع في أسلوب التأليف المادي للقلوب عدة أساليب ، فالتأليف المادي في حقيقته ترغيب حسي بالمال ، وهو كذلك جزء من استخدام أسلوب الحكمة العملية في الدعوة إلى الله ، والتأليف استخدام للقوة المالية . كما أن أسلوب التأليف يترجم في الداعية كثيراً من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية ، مثل الكرم والجود ، والتضحية ببذل المال ، والاستهانة بأمر الدنيا وعدم الركون لها ، والحرص على هداية الناس ورجوعهم إلى الله ، وكذلك هو من الرفق واللين .

ثانياً : إن أسلوب تأليف القلوب يركز على ميل الإنسان للمال - بكافة أنواعه وصوره - ووجه لجمعه والسعي للحصول عليه ، وعلى دافع التملك الفطري الذي يحمل الإنسان على حيازة المملوكات صغيرة كانت أم كبيرة^(١) ، قال - تعالى - : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب »^(٢) .

(١) انظر : د. عبدالعزيز النغمشي ، علم النفس الدعوي ، ١٠٧ ، ط : الأولى ١٤١٥ هـ ، دار المسلم ، الرياض .

(٢) سورة آل عمران : ١٤ .

ولذلك فإن أسلوب التأليف له أثره الفعال في الغالب مع المسلم والكافر ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والغني والفقير ، وذوي الهيئات العليا والمكانة الرفيعة في قومهم وعامة الناس .

ثالثاً : إن أسلوب تأليف القلوب يحقق كثيراً من الأهداف الدعوية المهمة والأساسية في الدعوة إلى الله - تعالى - مثل الدخول في الإسلام ، وزيادة الإيمان ، كما يحقق أهدافاً أخرى ، مثل حماية المدعو من الردة . وللتأليف أهمية حيث يحقق بعض المصالح الدعوية التي قد يُعجز عن تحقيقها إلا به ، كما أن التأليف أسلوب لدفع الشر الصادر من المدعو ضد الدعوة الإسلامية . فيتحقق بالتأليف كل هذه المقاصد الشرعية المهمة .

رابعاً : نظراً لتعدد أصناف المدعوين واختلاف أحوالهم وحاجتهم من الدعوة ، كما تختلف طبائع نفوس كثير من الناس فإن الداعية كالطبيب الذي يشخص المرض أولاً ، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض ، فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخاً قوياً ، فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه ، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام^(١) .

خامساً : نظراً لما تمر به الدعوة الإسلامية من أيام محن ومصائب ، وتختلف الأحوال من زمن إلى آخر ، فإن حاجة الدعوة إلى الله - تعالى - تظل ماسة في كثير من الأزمنة ، والأمكنة ، لتأليف قلوب بعض الناس من ذوي الشأن والحظوة ، ولحفز همم بعض الناس من ذوي الكفاءات الخاصة لخدمة الدين خدمة قد لا يستطيع أن يقوم بها غيرهم ، وربما كانت في بعض الأماكن ذات أثر خطير^(٢) .

(١) انظر : سعيد بن علي القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ١٠٩ .

(٢) انظر : محمد عزة دروزة ، القرآن والضمان الاجتماعي ، ١٩ ، ط : المكتبة العصرية ببيروت ، بدون تاريخ . وانظر كذلك :

سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٦٦٩/٣ ، ط : الحادية عشرة ، دار الشروق ، بيروت .

والتأليف بهذا التصور يحقق للدعوة تنوعاً في الأساليب ومواكبة لاختلاف الأحوال وتطوراتها .

سادساً : إن أسلوب تأليف القلوب من الجهاد في سبيل الله بالمال^(١) ، وغالباً يذكر - سبحانه - الجهاد بالنفس مرتبطاً به الجهاد بالمال ، بل لقد قدم على الجهاد بالنفس في بعض الآيات . قال - تعالى - : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون »^(٢) .

سابعاً : لقد فقه الخليفة عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ما لتأليف القلوب من أثر بالغ في استمالة قلوب الناس ، واجتماع كلمتهم ، وتأمين جانبهم من الفتن ، فقال: « والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من أمر الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم خوفاً أن ينخرق عليّ منهم مالا طاقة لي به »^(٣) .

ثامناً : نظراً لما تميز به أسلوب التأليف بالماديات من استمالة القلوب نحو المباديء والأفكار ، فإنها لم تزل كل أمة في القديم والحديث تؤلف القلوب حول أفكارها ومبادئها ، ولأهمية هذه النقطة فيني سوف أستطرد في بيان بعض جهود الكفار على اختلاف مشاربهم لتأليف القلوب على الكفر ، أو لتحقيق أهداف ضد الدعوة الإسلامية . وسأكتفي بأنموذجين للتأليف في العصر النبوي وأنموذجين للتأليف في العصر الحاضر، وفي هذا بيان لأهمية التأليف ، ومدى استغلال هذا الأسلوب من قبل الكفار .

النموذج الأول : التأليف على الكفر في العصر النبوي :

لما مضى رسول الله - ﷺ - بأمر ربه ، يدعو إلى الله - تبارك وتعالى - ويبشر وينذر،

(١) انظر : د. حسين بن محمد آل الشيخ ، مصرف المؤلفة قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة ، ١٥ .

(٢) سورة التوبة : ٢٠ .

(٣) انظر : عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٤٨٤ .

ونجح في تأليف قلوب بعض السابقين إلى الإسلام قامت قريش تحاول منعه من ذلك ، بكل المحاولات التي تستطيعها ، ومن ذلك ماكان من عتبة بن ربيعة - وكان سيداً عاقلاً - حيث قام إلى رسول الله - ﷺ - وعرض عليه ما ألمّ بهم مما جاء به من دعوته لربه ، وسبّ آلهتهم ، وتسفيه أحلامهم ، ثم ساومَهُ وأراد أن يتألف قلب رسول الله - ﷺ - ليطرك ما جاء به من عند الله - سبحانه - وكان مما قاله له : « يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً ملكناك علينا » ثم استطرد في عرض ما عنده ، فلما انتهى قال - ﷺ - : نعم ، فاسمع مني . قال : أفعل . فقراً رسول الله - ﷺ - عليه سورة فصلت ، فألقى عتبة يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ينصت ، فلما بلغ رسول الله - ﷺ - السجدة من السورة ، سجد ، ثم قال له : « قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك »^(١) .

وفي هذا يتضح كيف كان عتبة يتألف قلب رسول الله بالمال الوفير ، والمكانة الرفيعة ، ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل أمام الإيمان القوي من رسول الله - ﷺ - .

النموذج الثاني : التأليف ضد الدعوة الإسلامية في العصر النبوي :

لما اشتد الأمر على المسلمين في مكة أمرهم رسول الله - ﷺ - أن يهاجروا إلى الحبشة ، فهاجر من هاجر إليها ، وقد حصل لهم بذلك الأمن على دينهم وأنفسهم . فكانوا في منعة من قريش ، وما كان هذا إلا عامل إزعاج وقلق لقريش ، فأتمروا بينهم من أجل رد المسلمين إلى مكة ، ولم يجدوا أكثر أثراً من أسلوب تأليف القلوب ، فقد بعثوا عبدالله ابن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وجمعوا لهما هداياً للنجاشي ولبطارقتة ، وقد خصصوا لكل بطريق هديته

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٣٤/١ ، ت : مصطفى السقا وآخران ، ط : الأولى ١٤١٠هـ ، دار الخير ، بيروت .

ليكون عوناً لهما عند النجاشي^(١) من أجل تسليم المسلمين إليهما ، وبالفعل فقد حصل ما أرادا مع البطارقة ، ولكن الله ردهما خائبين بفضل الله - سبحانه وتعالى - ثم مافتح الله به على قلب النجاشي من الإيمان ، والميل للمسلمين ونصرتهم وقد كان ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد^(٢) .
أما التأليف على الكفر في العصر الحاضر ، فالنماذج فيه متعددة جداً ، ولعله أن يسجل في هذا الصدد النموذجين التاليين :

النموذج الأول : نقل الدكتور الأشقر عن أحد المبشرين - ويدعى (ريموند جويس) - قوله : « إن الجمعيات المسيحية التي تعمل في ظروف صعبة وسط مناطق المجاعات ومعسكرات اللاجئين تقدم عطف المسيح وحنانه لأولئك المسلمين التعساء الذين يعيشون في بلدان مثل الصومال وبنجلاديش وباكستان » .

وقال الدكتور الأشقر : « وأخطر أنواع التأليف على الكفر هي تلك الأموال التي تدفعها الدول الكبرى للدول الإسلامية ، أو تدفعها للزعماء والرؤساء والقادة في العالم الإسلامي فيكون من ثمارها إلزام الأمة الإسلامية بالسير وفق مخططات الكفار ، بل ويصل الحال أن يُمَجَّد الكفر في ديار الإسلام ويحارب الإسلام وأهله »^(٣) .

لقد استخدم المنصرون أسلوب التأليف بعد أن فشلت جميع محاولاتهم بشتى الأساليب لتنصير بلاد الخليج والجزيرة العربية ، ولكن بأسلوب التأليف استطاع المنصرون أن يحققوا بعض المكاسب ومن ذلك إضعاف عقيدة الولاء والبراء في نفوس بعض الناس . وقد كتب

(١) هو أضْحَمَةُ النجاشي ملك الحبشة ، أسلم في عهد النبي - ﷺ - وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه ، وتوفي بيلاده قبل فتح مكة ، ولا يعتبر صحابياً لأنه لم ير النبي - ﷺ - ولم يصحبه ، ولما مات صلى عليه الرسول - ﷺ - صلاة الغائب في المدينة ، وأصحمة اسمه ، والنجاشي لقب ملوك الحبشة . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ١١٩/١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٢٦٣/١ .

(٣) انظر : د . عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٦٧ - ٧٠ .

(كونوي زيقلر) كتابا يتحدث فيه عن جهود بعثة التنصير العربية لبلاد الخليج ، ومما جاء في كتابه : «إن تأثير برنامج الإعمار لدى البعثة في فترة ما بعد الحرب - العالمية الثانية - تعدى المرافق الطبية ، ففي هذه الفترة التوسعية أو التعزيزية قامت البعثة بشراء البنايات أو تشييدها لتكون مدارس ومنازل وكنائس كما تم شراء بعض الأراضي »^(١).

النموذج الثاني : جاء في مجلة البيان : « وللتنصير في مالي تواجد كبير وإمكانات ضخمة ، يعملون من خلالها في المجتمع ... ويقدمون المساعدات للسكان ، كالعلاج ، وبناء المدارس الحكومية ، وتوفير اللوازم الدراسية ، وبناء المستوصفات ، وتوزيع الغذاء والملابس ، وبناء المشاريع الزراعية والحيوانية ، وكفالة المنصرين ... وغير ذلك . ويوجد في منطقة (سان) ذات الجوارح على سبيل المثال منصرٌ فرنسي يبلغ من العمر (٨٣) سنة !! استطاع بناء مجمع يضم عيادة طبية ، وروضة للأطفال ، ومعهداً بالإضافة إلى كنيسة كبيرة »^(٢).

لعل فيما سلف من النقاط ما يوضح لنا ميزة أسلوب تأليف القلوب ، وبهذا أكتفي بالحديث عن مكانة تأليف القلوب بين أساليب الدعوة إلى الله .

(١) انظر : كونوي زيقلر ، أصول التنصير في الخليج والجزيرة ، ترجمة مازن مطبقاني ، ٦١ ، ط : الأولى ١٤١٠ هـ ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة .

(٢) مجلة البيان ، العدد ١١٠ ، شوال ١٤١٧ هـ .

المبحث الرابع
أنواع تأليف القلوب

المطلب الأول
التأليف المعنوي للقلوب

المطلب الثاني
التأليف المادي للقلوب

المبحث الرابع أنواع تأليف القلوب

لقد سبقت الإشارة في مفهوم تأليف القلوب أنه ينقسم إلى نوعين اثنين ، تأليف مادي ، وتأليف معنوي ، وهذا التقسيم من حيث النظر إلى ما يقدمه الداعية إلى مدعوه عند قيامه بتأليف قلبه. أما الأثر الحاصل لكلا النوعين من التأليف فإنه أثر معنوي، وهو ميل القلب، إلى الداعية وما يدعو إليه، ومن ثم تحصل الاستجابة والقيام بأمر الله تعالى. ومن منطلق هذا التقسيم فستكون دراسة هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

المطلب الأول : التأليف المعنوي للقلوب .

المطلب الثاني : التأليف المادي للقلوب .

المطلب الأول : التأليف المعنوي للقلوب :

يقصد بالتأليف المعنوي للقلوب : قيام الداعية باستمالة قلب المدعو باستخدام بعض الأساليب المعنوية ، بهدف حصول المقاصد الدعوية من التأليف أو بعضها.

إن الأساليب المعنوية التي تكون سبباً في ميل القلب للداعية - كثيرة ، ومحاولة الباحث الإمام بها أو بعضها يأخذ جهداً ووقتاً ، وليست هي موضع البحث في هذه الدراسة ، ولكن الإمام ببعض الشيء عنها ضروري للداعية من حيث إكمال المادة العلمية في مثل هذه الدراسة ، ولعل الأساليب التي يتوصل من خلالها إلى تحقيق أسلوب التأليف المعنوي - مرجعها إلى : المعاملة الطيبة ، والخلق الحسن ، واحتمال الأذى .

لقد أشاد القرآن الكريم بما لهذا الأسلوب من أثر عظيم في الدعوة إلى الله - تعالى - وكيف أنه بوجوده يكون الأثر العظيم ، وبانتفاء هذا الأسلوب - التأليف المعنوي - يكون الأثر سلبياً على واقع الدعوة . قال - تعالى - : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في

الأمر»^(١). لقد جمع الله القلوب على يديه ﷺ، وشمل الناس كلهم بعطفه وبره ورحمته ، كان يعفو ويصفح ويتجاوز عن المسيئ ، ويعتذر للمخطئ ، وبهذه وتلك ألفت القلوب ، وجمع الله به الشمل ، ولو لم يكن ذلك لم يستقم له الأمر ، ولانفض الناس من حوله^(٢). ولقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا النوع من التأليف فقد كان - ﷺ - يوصي أصحابه ويحثهم على التعامل مع الناس بالخلق الحسن ، الذي هو أساس تأليف القلوب معنوياً ، فمرة يبين منزلة صاحب الخلق الحسن ، ومرة يوصي بذلك ، ومما جاء في هذا الصدد وصيته - ﷺ - لأبي ذر رضي الله عنه روى الترمذي عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله - ﷺ - : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »^(٣).

لقد جاء في السيرة النبوية كثير من شواهد استخدام الرسول - ﷺ - هذا الأسلوب في تأليف قلوب الناس إلى دين الله - تبارك وتعالى - ومما جاء من ذلك على سبيل المثال : إظهار الاهتمام بالمدعو ، وتقديره بمناداته بما يحب من الأسماء ، والاعتراف بما له من فضل ، وكذلك الدعاء له ، وكذلك المباشرة ولين القول والكلام ، والمدح والثناء ... وغيرها . عن عائشة - رضي الله عنها - أنه استأذن على النبي - ﷺ - رجل^(٤) فقال : « ائذنوا له ، فبئس ابن العشيرة - أو بئس أخو العشيرة - فلما دخل الآن له الكلام . فقلت له : يارسول الله ، قلت ما قلت ، ثم ألنت له في القول . فقال : « أي عائشة ، إن شر

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٢) د. سليمان بن حمد العودة ، قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ١٠٧ ، ط : الأولى ١٤١٦ هـ ، دار المسلم ، الرياض .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في معاشرته الناس ، حديث رقم (١٩٨٧) ، ٣٥٥/٤ . قال الألباني : حديث حسن . انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم (٩٧) ، (٨١/١) .

(٤) هو : عيينة بن حصين بن حذيفة الفزاري . وكان يقال له الأحمق المطاع . انظر : الحافظ ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٤٥٣/١٠ .

الناس منزلة عند الله من تركه - أو ودَّعه - الناس اتقاء فحشه»^(١).

يتضح في هذا الحديث صورتان - فأما الأولى فهي كيف كان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب الناس بخلقه الحسن، وإلانة القول والانبساط في المجالسة، وحسن المعاشرة، وأما الصورة الثانية فهي على النقيض تماماً من الصورة الأولى، فقد أوضح الحديث أن من لا يتصف بحسن الأخلاق ودمائتها فإنه عرضة لنفور الناس عنه وتركه. إذاً فالتأليف المعنوي أساس في الدعوة، وقد طبقه الرسول - ﷺ -، وطبقه صحابته كذلك، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: «إنا لنكشُر^(٢) في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم»^(٣). فبعض الناس مكروهون لدرجة الدعاء عليهم باللعة، كالمنافقين مثلاً، ومع ذلك فإن فقه الصحابة - رضوان الله عليهم - لمبدأ تأليف القلوب معنوياً، يجعلهم يبتسمون ويكشرون مباشرة لبعض الناس في وجوههم.

وروى الواقدي قصة إسلام خالد بن الوليد، وخلاصتها: أن خالداً عندما أراد الله به ما أراد من الخير وقذف في قلبه الإيمان، كان ينصرف بعد كل موطن شهده ضد رسول الله - ﷺ - ويفكر، فيرى في نفسه أنه في موضع غير موضعه، وأن محمداً سيظهر، وفي غزوة الحديبية^(٤) بالذات تأكد له أن الرسول - ﷺ - ممنوع، لأنه عندما هم أن يغير بخيله على رسول الله - ﷺ - بعسفان^(٥)، أطلع الله رسوله - ﷺ - على ما في أنفسهم، فصلى بأصحابه صلاة الخوف، ولم يترك له فرصة. وعندما تم الصلح بالحديبية رأى أنه لم يبق

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: المداراة مع الناس، حديث رقم: (٦١٣١)، ١٣١١.

(٢) كَشُر: أبدى عن أسنانه في الضحك، والتبسم والانبساط. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٦٠٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: المداراة مع الناس، حديث رقم (٦١٣١)، ١٣١١.

(٤) الحُدَيْبِيَّة: سميت بذلك ببئر فيها عند الشجرة التي بايع رسول الله - ﷺ - تحتها، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وبعض الحديبية في الحِلِّ، وبعضها في الحرم، وقيل كلها في الحرم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ١٢٦/٣.

(٥) عُسْفَان: بلد بين المدينة ومكة، ويبعد عن مكة تسعة وأربعين ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار، ٤٢٠. وانظر، الحموي، معجم البلدان، ٣٢٧/٦.

شيء ، ففكر في الذهاب إلى النجاشي وهرقل ، وبينما هو يقلب هذا الأمر في ذهنه ، دخل الرسول - ﷺ - في عمرة القضاء ، فتغيب ، ودخل أخوه الوليد في الإسلام في هذه العمرة ، وطلبه فلم يجده «^(١) ، فسأل رسول الله - ﷺ - الوليد عن أخيه خالد ! فكتب الوليد إلى أخيه خالد ، وسأذكر الكتاب لما فيه من سؤال رسول الله - ﷺ - عن خالد ، ومدحه إياه ، وتقديمه بما له من الفضل على غيره ، فقد جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك !! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألتني رسول الله - ﷺ - عنك ، فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به . فقال : مأمثله جهل الإسلام ! ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ولقدمناه على غيره ، فاستدرك يا أخي مافاتك ، فقد فاتتك مواطن صالحة » . وقد اعترف خالد بمدى تأثير كلام رسول الله - ﷺ - فيه ، وسؤاله عنه ، قال : « فلما جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرني مقالة رسول الله - ﷺ - »^(٢) .

وروى ابن سعد أن خالداً لما قدم وأسلم قال له رسول الله - ﷺ - : « قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير »^(٣) .

وهكذا كان - ﷺ - يحرص على تأليف القلوب معنوياً ، وكان لهذا عظيم الأثر في دعوته - ﷺ - .

(١) د. محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٥٣٦ .

(٢) محمد بن عمر الواقدي ، كتاب المغازي ، ٧٤٥/٢ - ٧٤٧ ، ط: الثالثة ١٤٠٤ هـ ، دار عالم الكتب ، بيروت . وانظر كذلك : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٥٢/٤ . وانظر كذلك : د. محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٥٣٥ .

(٣) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٥٢/٤ .

المطلب الثاني : التأليف المادي للقلوب

يقصد بالتأليف المادي قيام الداعية باستمالة قلب المدعو بإعطائه بعض الماديات بهدف حصول المقاصد الدعوية من التأليف أو بعضها^(١) .

وقد أشير في مفهوم التأليف إلى أنه إذا أطلق تأليف القلوب فإنه يقصد به هذا النوع من التأليف ، أما إذا أريد الحديث عن التأليف المعنوي فإنه يقيد بذكر أسلوب من أساليبه فيقال مثلاً : تأليف القلوب بالكلمة الطيبة ، وحسن المعاملة ، وعلو الأخلاق .

ونظراً لأن المال منه ما يكون عينياً ، ومنه ما يكون نقدياً ، فإنه بذلك تتعدد أنواع التأليف المادي وصوره ، وكذلك بالنظر إلى أصل المادة التي يؤلف بها فهي مختلفة . وكذلك فالتأليف المادي أحياناً يكون لأفراد وأحياناً يكون بشكل جماعي فالكيفية مختلفة . ثم إن هذا التأليف قد يؤلف به قلوب الكفار ، وقد يؤلف به قلوب المسلمين .

إذاً فالتأليف المادي للقلوب تتعدد أنواعه بعدة اعتبارات ، ولذلك ستكون دراسة هذا

المطلب من خلال الفروع التالية :

- الفرع الأول : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصل المال المؤلف به .
- الفرع الثاني : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصناف المدعويين .
- الفرع الثالث : تقسيم التأليف المادي باعتبار كيفية التأليف .

(١) سيأتي الكلام عن المقاصد في الفصل الثاني بإذن الله تعالى ، ص ١١٢ .

الفرع الأول : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصل المال المؤلف به .

إن المال الذي يدفعه الداعية لتأليف القلوب يختلف مصدره ، فإما أن يكون من أموال الزكاة ، وإما أن يكون من الأموال الأخرى . وقد جعلت أموال الزكاة قسماً منفرداً عن بقية الأموال - مع أن الأثر واحد بالنسبة للمدعو - بسبب بعض الآراء الفقهية في تأليف قلوب الكفار بالزكاة ، فأحببت أن ألقى الضوء وأوضح الأثر في كل قسم على حدة ، كما يلي :

القسم الأول : تأليف القلوب بأموال الزكاة :

قال الله - تعالى - : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم »^(١) .

وهذه الآية عامة في جواز تأليف القلوب على الإسلام وغيره من المقاصد الدعوية المؤكدة، ولم تفرق الآية بين أن يكون المؤلف مسلماً يراد تقويته على الإسلام ، أو كافراً . ولقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لما جاء في الآية ، فقد أعطى الرسول - ﷺ - تأليفاً للقلوب ، ولم يفرق - ﷺ - في عطائه بين مؤمن وكافر ، ولا بين أن يكون المال الذي يتألف به القلوب من أموال الزكاة أم لا . وإنما كان منهج رسول الله - ﷺ - في التأليف واضحاً وهو التعميم . فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، أن رجلاً سأل النبي - ﷺ - غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال : أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها^(٢) .

ففي هذا الحديث يتضح أنه - ﷺ - يعطي من المال - سواءً الصدقة أو غيرها - كل

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) سبق تخريجه : ص ٥٠ .

من يأتيه ، لأن المصلحة المدركة بالعطاء أعظم . بل لقد روى الإمام أحمد نحواً من هذا الحديث ، وفيه التصريح بالعطاء من الزكاة لكل من يأتيه ، فعن أنس بن مالك ، أن رسول الله - ﷺ - لم يكن يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه ، قال : فأتاه رجل فسأله ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة ، قال : فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً - ﷺ - يعطي عطاءً ما يخشى الفاقة »^(١) .

ولكن هناك من الفقهاء من لا يجيز تأليف القلوب بأموال الزكاة إلا على أضيق حدوده ، قال الإمام الشافعي : « والمؤلفة قلوبهم من دخل في الإسلام ، ولا يعطى من الصدقة مشرك يتألف على الإسلام ، فإن قال قائل : أعطى النبي - ﷺ - عام حنين بعض المشركين من المؤلفة ، فتلك العطايا من الفيء ، ومن مال النبي - ﷺ - خاصة لا من مال الصدقة ، ومباح له أن يعطي من ماله ، وقد حَوَّلَ^(٢) الله - تعالى - المسلمين أموال المشركين ، لا المشركين أموالهم وجعل صدقات المسلمين مردودة فيهم كما سمى ، لا على من خالف دينهم »^(٣) . وقال في موضع آخر : « ولا يعطى أحد من المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، ولا إن كان مسلماً إلا أن ينزل بالمسلمين نازلة لا تكون الطاعة للوالي فيها قائمة ولا لأهل الصدقة المولدين أقوياء على استخراجها إلا بالمؤلفة لها ، وتكون بلاد أهل الصدقات ممتنعة بالبعد أو كثرة الأهل أو منعهم من الأداء أو يكون قوم لا يوثق بثباتهم فيعطون منها الشيء على قدر ما يرى الإمام »^(٤) .

وواضح من قول الإمام الشافعي أنه لا يرى إعطاء أحدٍ على الإسلام، إلا إن كان هناك حاجة تدعو لذلك كضعف من يعطون ، وقد أكد هذا المعنى ، وحدد الحالة التي يجوز فيها

(١) الإمام أحمد ، المسند ، ١٠٨/٣ . (حديث صحيح) انظر : حسن عباس قطب ورفاقه ، تنمة تحقيق وشرح الشيخ أحمد

شاذان ، حديث رقم (١٢٠٩٦) ، ٩٧/٣/٢ .

(٢) حَوَّلَهُ : أعطاه مالا . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ١٨٤/١ .

(٣) الإمام الشافعي ، الأم ، ٧٧/٢ .

(٤) المرجع السابق ، ٨١/٢ .

الإعطاء ، وبين سبب أخذه بهذا الرأي - بقوله : « فأرى أن يعطى من سهم المؤلف قلوبهم في مثل هذا المعنى ، إن نزلت بالمسلمين نازلة - ولن ينزل إن شاء الله تعالى - وذلك أن يكون فيها العدو بموضع شاط^(١) لاتناله الجيوش إلا بمؤنة ، ويكون العدو بإزاء قوم من أهل الصدقات فأعان عليهم أهل الصدقات إما بنية فأرى أن يقوي بسهم سبيل الله من الصدقات . وإما أن يكون لا يقاتلون إلا بأن يعطوا سهم المؤلف ، أو ما يكفيهم منه ، وكذلك إن كان العرب أشرفاً ممتنعين غير ذي نية ، إن أعطوا من صدقاتهم هذين السهمين أو أحدهما ، إذا كانوا إن أعطوا أعانوا على المشركين فيما أعانوا على الصدقة ، وإن لم يعطوا لم يوثق بمعونتهم ، رأيت أن يعطوا بهذا المعنى ، إذا انتاط^(٢) العدو وكانوا أقوى عليه من قوم من أهل الفيء يوجهون إليه تبعد دارهم ، وتثقل مؤنتهم ، ويضعفون عنه ... وذلك أنه لم يبلغني أن عمر ولا عثمان ولا علياً أعطوا أحداً تألفاً على الإسلام وقد أعز الله - وله الحمد - الإسلام عن أن يتألف الرجال عليه »^(٣) .

وقد تقدم في مشروعية التأليف رأي الأحناف في عدم جواز الإعطاء من الصدقة للتأليف على الإسلام ، وهم يرون نسخ سهم المؤلف قلوبهم ، وأوضحت رأيهم ، والرأي الصحيح المخالف لرأيهم في هذه المسألة بما يغني عن إعادته في هذا الموضع .
 وخلاصة القول : أن هناك من الفقهاء من يرى عدم جواز التأليف بأموال الزكاة ، لا الكفار ولا المسلمين . ومنهم من يرون جواز تأليف قلوب المسلمين وغيرهم من الزكاة وغيرها ، على ما جاء في الآية ، وما ثبت عن رسول الله - ﷺ - .

(١) شاط : أي بعيد ، يقال : شطت الدار إذا بعدت . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٣١٣ .

(٢) انتاط : أي بعد ، يقال : « أرض نطيطة : بعيدة . وتنطط الشيء : تباعد » . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤١٥/٧ .

(٣) الإمام الشافعي ، الأم ، ٩٣/٢ .

القسم الثاني : تأليف القلوب بالأموال الأخرى « غير الزكاة » :

يقصد بالأموال الأخرى أي غير الزكاة ، مثل الهبات ، والتبرعات الخيرية ، أو الغنائم والفيء ، وكما تقدم فإنه لاختلاف بين الفقهاء في جواز تأليف القلوب على الإسلام بهذه الأموال ، إذا ثبتت المصلحة في التأليف . وسيأتي شواهد كثيرة تبين ذلك ، كما في النقطة التالية .

الفرع الثاني : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصناف المدعوين :

إن أصناف المدعوين في اصطلاح الدعوة، صنفان : أمة إجابة وهم المؤمنون وأمة الدعوة ، وهم غير المؤمنين . والتأليف المادي باعتبار هذين الصنفين ينقسم إلى قسمين ، هما :

القسم الأول : التأليف المادي لقلوب المسلمين .

القسم الثاني : التأليف المادي لقلوب غير المسلمين .

القسم الأول : التأليف المادي لقلوب المسلمين :

المسلمون هم المعروفون في اصطلاح الدعوة بأمة الاستجابة^(١) . ومقاصد تأليف القلوب في هذا الصنف من المدعوين ، إما أن يكون لتقوية إيمانهم وتثبيتهم على الإسلام ، أو لإيناسهم بما يعطون ، وإما أن يراد من تأليفهم تحصيل بعض المصالح الدعوية المعتبرة ، كجباية الزكاة ممن يليهم من أهلها ، أو القتال والذود عن المسلمين فيمن يليهم ، وهكذا .

روى البخاري قصة شراء النبي - ﷺ - من جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - جملة ، وما فيها من استئلاف رسول الله - ﷺ - لجابر .

وخلصتها أن جابر بن عبدالله^(٢) - رضي الله عنه - كان مع النبي - ﷺ - في عودتهم من غزاة كانوا فيها ، وكان مع جابر جمل ضعيف ، فرآه النبي - ﷺ - فسأله ، فضرب الجمل بسوط^(٣) ، فنشط الجمل ، وصار في مقدمة القوم ، فلما أشرفوا على الوصول إلى المدينة ،

(١) د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ١٩ .

(٢) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم ، الأنصاري ، السلمى ، أبو عبدالله ، ممن شهد العقبة ، شهد مع رسول الله - ﷺ - تسع عشرة غزوة وكان له حلقة علم في المسجد النبوي ، مات جابر بالمدينة سنة ٧٨ هـ وكان عمره ٩٤ سنة ، وهو آخر من مات من الصحابة في المدينة . انظر ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ٥٤٦/١٢ .

(٣) السوط : ما يضرب به من جلد . انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٤٦٣/١ .

قال النبي - ﷺ - لجابر : « أتبيع جملك » . قال جابر : فاستحييت ، ولم يكن لنا ناضح^(١) غيره . فقلت : بل هو لك يا رسول الله ! قال : « بعنيه » . قلت : نعم . قال : « فبعنيه ، قد أخذته بأربعة دنانير ، ولك ظهره إلى المدينة » ، فاشتراه مني بأوقية ذهب ، لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة . فقدم النبي - ﷺ - المدينة قبل جابر ، فلما قدم جابر ، سأله خاله عن البعير ، فأخبره بما صنع ، فلامه ، فجاء إلى المسجد فإذا برسول الله - ﷺ - على بابه ، فأمر جابراً أن يترك الجمل ، ويصلي ركعتين ، فجعل الرسول - ﷺ - يدور على الجمل ويقول : « الجمل جملنا » . فأمر بلالاً أن يزن له أوقية ، قال جابر : فوزن لي بلال ، فأرجح في الميزان ، فانطلق جابر ، فقال رسول الله - ﷺ - : « ادع لي جابراً » فلما رجع قال له : « ما كنت لأخذ جملك ، فهو مالك » . ثم قال : استوفيت الثمن » . قال : نعم . قال : « خذ جملك ، ولك ثمنه » . قال جابر . فأعطاني ثمن الجمل ، والجمل ، وسهمي مع القوم^(٢) .

ففي هذا الحديث يتضح كيف كان - ﷺ - يتألف قلوب أصحابه ، حتى أقوياء الإيمان منهم كما فعل مع جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ذلك أنه لتوه قادم من غزاة ، خرج فيها وهو حديث عهد بعرس ، فلم تردهُ حدثاً عهده بعرسه ، عن الجهاد في سبيل الله ، كما أراد بزواجه أن يعطف على أخوات له فتزوج ثيباً ، فشجعه الرسول - ﷺ - على ذلك بقوله : « فنعم إذاً ... » وما كان من رسول الله - ﷺ - إلا أن تألف قلب جابر ، بنحو ما ذكر في الحديث .

لقد كان عطاؤه - ﷺ - لعامة أصحابه ، وقد كان يحرص على إعطاء من يكون بحاجة إلى الاستئلاف ، روى مسلم عن المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - قال : قسم

(١) الناضح : أي يسقي الماء لهم ولزروعهم ، انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٢ / ٦١٠ .
(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : شراء الدواب والحمير .. . حديث (٢٠٩٧) ، ٤٣٦ .

رسول الله - ﷺ - أقبية ولم يعط مخرمة^(١) شيئاً ، فقال مخرمة : يا بني انطلق بنا إلى رسول الله - ﷺ - ، فانطلقت معه ، قال : ادخل فادعه لي ، قال : فدعوته له ، فخرج إليه وعليه قباء منها ، فقال : « خبات هذا لك »^(٢) .

وللحافظ ابن حجر تعليق على هذا الحديث ، وكذلك حديث عائشة « بس أس أخو العشيرة »^(٣) حيث قال : « وشرح ابن بطال الحديث على أن المذكور كان منافقاً ، وأن النبي - ﷺ - كان مأموراً بالحكم بما ظهر ، لا بما يعلمه في نفس الأمر ، وأطال في تقرير ذلك ، ولم يقل أحد في المبهم في حديث عائشة أنه كان منافقاً لامخرمة بن نوفل ، ولا عيينة بن حصن ، وإنما قيل في مخرمة ما قيل لما كان في خلقه من الشدة فكان لذلك في لسانه بذاءة »^(٤) .

القسم الثاني : التأليف الهادي لقلوب الكفار :

تقدم في تقسيم التأليف باعتبار نوع المال المؤلف به ، أنه - ﷺ - يعطي الكفار من الأموال كلها تأليفاً لقلوبهم على الإسلام ، ومن ذلك ما أعطاه الرسول - ﷺ - لقريش ومن كانوا معه من عامة الناس من غير المسلمين ، بل وترك المسلمين فلم يعطهم شيئاً لإيمانهم .
عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان

(١) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري ، أبو صفوان ، والد المسور ، كان مخرمة من رؤساء قريش ، ومن العارفين بالنسب وأنصاب الحرم ، وتأخر إسلامه إلى الفتح ، وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها ، فهو من المؤلفات لقلوبهم ، وقد مات سنة أربع وخمسين ، وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠ / ٢٧٠ .
والإصابة ، ٤١ / ٦ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : المداراة مع الناس ، حديث رقم (٦١٣٢) ، ١٣١١ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، حديث (١٠٥٨) ، ١٥٤ / ٧ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) المحافظ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٠ / ٥٢٨ .

وغيرهم بذرايرهم ونعمهم ، ومع النبي -ﷺ- يومئذ عشرة آلاف ، ومعهم من الطلقاء^(١) ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، قال : فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما شيئاً . قال : فالتفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . قال : ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، قال وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبدالله ورسوله فانهزم المشركون وأصاب رسول الله -ﷺ- غنائم كثيرة فقسم في المهاجرين ، والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً^(٢) الحديث .

وأما من أموال الزكاة ، فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : « بعث علي - رضي الله عنه - وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله -ﷺ- فقسمها رسول الله -ﷺ- في أربعة نفر^(٣) الحديث .

في هذا الحديث يحتمل أن يكون هذا المال المرسل من الصدقة ، كما يحتمل أن يكون من غير الصدقة ، ولكن قال الدكتور الأشقر وهو يرجح أنها من الصدقة : « والاحتمال الأقوى أنها من الصدقات لأن علياً كان والياً على اليمن^(٤) .

إذاً فقد كان رسول الله -ﷺ- يتألف قلوب الكفار والمسلمين من الصدقات ومن الأموال العامة ، وكل ذلك إدراكاً لما يحصل من النتائج والآثار الإيجابية في الدعوة إلى الله .

(١) الطلقاء : هم الذين أسلموا يوم فتح مكة ، سُمُّ بذلك لَمَنُ النبي -ﷺ- عليهم ، انظر : النووي ، شرح مسلم ، ١٥٩/٧ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفعة لقلوبهم وتصبر من قوي ، حديث رقم (١٠٥٩) ، ١٥٩/٧ .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث (١٠٦٤) ، ١٦٦/٧ . وأخرجه البخاري ،

كتاب : المغازي ، باب : بعث علي وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حديث رقم (٤٣٥١) ، ٩٠٤ .

(٤) د. الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٣٦ .

الفرع الثالث : تقسيم التأليف المادي باعتبار كيفية التأليف :

التأليف باعتبار الكيفية التي تم بها ، إما أن يكون تأليف أفراد ، وإما أن يكون بشكل جماعي .

إذاً فهو بهذا الاعتبار قسمان أيضاً هما : تأليف القلوب جماعياً ، وتأليف قلوب الأفراد .

القسم الأول : التأليف المادي بشكل جماعي .

ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه قريباً ، عندما أعطى - ﷺ - من غنائم هوازن وغطفان من معه من المهاجرين ، والطلقاء ، وقد كانوا جماعات كثيرة .

القسم الثاني : التأليف المادي للأفراد .

ومن ذلك عطاؤه - ﷺ - لمخرمة بن نوفل في الحديث المتقدم قبل قليل .

الفصل الثاني

مقاصد تأليف القلوب

المبحث الأول

تأليف المدعو للدخول في الإسلام

المبحث الثاني

تأليف المدعو لزيادة إيمانه

المبحث الثالث

تأليف المدعو لجماعته من الردة

المبحث الرابع

تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقاءه على الكفر

المبحث الخامس

تأليف المدعو لكف شره مع بقاءه على الكفر

الفصل الثاني

مقاصد تأليف القلوب

زمهيد :

مفهوم مقاصد التأليف :

«الْقَصْدُ : استقامة الطريق . قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا ؛ فهو قاصِدٌ . وقوله تعالى : «وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ ومنها جائر»^(١) . أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ، «ومنها جائر» أي ومنها طريق غير قاصد ... والقَصْدُ : الاعتمادُ والأُمُ . والإقْصَادُ : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه، وأقْصَدَ السهمُ أي أصابَ فقتلَ مكانه»^(٢) .

وقال الفيومي : «قَصَدْتُ الشيءَ وله وإليه (قَصْدًا) من باب ضَرَبَ ، طلبته بعينه... وأما (المَقْصِدُ) فيجمعُ على (مَقَاصِدٍ) . و (قَصَدَ) في الأمرِ (قَصْدًا) توسط وطلب الأسدُّ ولم يتجاوز الحدَّ»^(٣) .

وحيث إن «الهدف» لغةً : «الغَرَضُ توجُّهٌ إليه السهام ونحوها ، والمطلب يوجه إليه القصد»^(٤) . وفي الاصطلاح الدعوي يعرف الهدف : «بالمطلب الذي يوجه إليه الدعاة قصدهم ، أو بالغاية التي يسعون من أجلها»^(٥) .

إذاً فالمقاصد من تأليف القلوب في هذه الدراسة هي : جملة الأهداف الدعوية ، أو الغاية التي يسعى الداعية إلى تحقيقها باستخدامه أسلوب التأليف .

(١) سورة النحل : ٩ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣/٣٥٣-٣٥٦ .

(٣) الفيومي ، المصباح المنير ، ٢/٥٠٥ .

(٤) انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٢/٩٧٧ .

(٥) د. محمد أبو الفتح البياتوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ١٩٨-١٩٠ .

ومن خلال استعراض كلام الأئمة والفقهاء والكتاب^(١) حول النصوص الشرعية في تأليف القلوب يتبين أن الأهداف والغايات التي يمكن أن تتحقق كثيرة ، ولعل هذه المقاصد كلها تجتمع في خمسة ، جعلت لكل مقصدٍ منها مبحثاً مستقلاً في دراسة هذا الفصل .

وقبل بيان هذه المباحث يحسن التنبيه إلى أنني اجتهدت في جمع النصوص الشرعية في كل مقصد على حدة ، ولكن يمكن أن يجتمع في الشاهد الواحد أكثر من مقصد ، وهذا قد يضطر الباحث لتكرار بعض الشواهد في أكثر من موضع من هذه المقاصد .

وأما دراسة هذا الفصل فستتناول المباحث التالية :

المبحث الأول : تأليف المدعو للدخول في الإسلام .

المبحث الثاني : تأليف المدعو لزيادة إيمانه .

المبحث الثالث : تأليف المدعو لحماية من الردة .

المبحث الرابع : تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقاءه على الكفر .

المبحث الخامس : تأليف المدعو لكف شره مع بقاءه على الكفر .

(١) انظر : الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٦/٨ ، الإمام النووي ، المجموع شرح المذهب ، ١٩٧/٦ ، الموفق ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ٦٩٢/٢ ، الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٤٩/٢ ، د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٥٩٤/٢ ، د. الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٥٩-٦٣ ، د. حسين بن محمد آل الشيخ ، مصرف المؤلفة قلوبهم ... ، ٣١-٣٥ .

المبحث الأول
تأليف المدعو للدخول في الإسلام

المطلب الأول
مفهوم الدخول في الإسلام وأهميته

المطلب الثاني
استخدام الرسول ﷺ والصحابة التأليف لقصد
الدخول في الإسلام

المبحث الأول

تأليف المدعو للدخول في الإسلام

لقد أرسل الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمداً - ﷺ - إلى الناس كافة لغاية إدخالهم في الإسلام ، فهذا هو الهدف الأساس والغاية الأولى من مبعثه ودعوته ، ولذلك فقد كان الدخول في الإسلام المقصد الأول والغاية الأساس لأسلوب تأليف القلوب .

وسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم الدخول في الإسلام وأهميته .

المطلب الثاني : استخدام الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - أسلوب التأليف لقصد إدخال الناس في الإسلام .

المطلب الأول

مفهوم الدخول في الإسلام وأهميته

الفرع الأول : مفهوم الدخول في الإسلام

الإسلام والاستسلام لغة : الانقياد^(١) . والإسلام هو : «استسلام العبد لله ، وخضوعه ، وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل ، وهو الدين»^(٢) .

قال الحافظ ابن كثير : «يقول تعالى منكرأ على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد : « قالت الأعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»^(٣) . وقد استفيد من الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة^(٤) ، ويدل عليه « حديث جبريل عليه السلام »^(٥) ودل ذلك على أن ذلك الرجل^(٦) كان مسلماً وليس منافقاً ؛ لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام ، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في الآية ليسوا بمنافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك»^(٧) .

إن دخول المدعو في الإسلام يمثل المرحلة الأولى من مراحل دعوته ، وتأتي المراحل

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٩٣/١٢ .

(٢) الحافظ ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، ٨١/١ ، ط : الأولى ، ١٤١٥ هـ ، ت : طارق بن عوض الله ، دار ابن الجوزي، الدمام ، السعودية .

(٣) سورة الحجرات : ١٤ .

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية ، الإيمان ، ٢٢٥-٢٣٣ ، ط : الرابعة ١٤١٣ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ودمشق .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم (٥٠) ، ٢٦ . وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان . . . ، حديث رقم (١٠٠٩) ، ٢٥٩/١ .

(٦) يقصد الرجل الوارد ذكره في حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - . انظر : ص ١٦٠ من هذه الدراسة .

(٧) الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٢٠/٤ .

المتقدمة لإسلامه بأن يزداد في إيمانه بالتعليم والتربية والعبادة . لقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حال الأعراب في آية الحجرات فقال : « وهذا حال أكثر الداخلين في الإسلام ابتداءً ، بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الإيمان ، فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول - ﷺ - ولم تدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان ، فإن هذا إنما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك، إما بفهم القرآن ... »^(١) . والشواهد دالة على أن من أهم أسباب الدخول في الإسلام تأليف القلوب بالمال ، ولكن كيف يكون بذل المال للمدعو سبباً في دخوله الإسلام ؟

لما كانت النفوس مجبولة على حب المال والسعي الحثيث لتملكه ، كما قال -تعالى- : « وتحبون المال حباً جماً »^(٢) . فإن هذا المال يصبح أداة تأثير قوية على هذه النفس ، ولذلك فإن المرء يحب من يعطيه المال ويتأثر به . وعندما يعطي الداعية المدعو مالاً يتألفه به - عند ظهور المصلحة في ذلك - فإن المدعو في هذه الحالة يدفعه المال الذي فطر على حبه إلى الميل إلى من أعطاه - وهو الداعية - فيتأثر به .

وإذا علم المدعو أن الداعية إنسان مثله فطراً جميعاً على حب المال ، ومع ذلك وجود الداعية بماله للمدعو ، فإنه يتأكد أنه لا يمكن أن يكون هذا إلا الأمر يستحق أن يبذل في سبيله جميع الأموال ، فتزداد قناعته للدخول في الإسلام وترك الكفر .

الفرع الثاني : أهمية التأليف للدخول في الإسلام

لما كان الدخول في الإسلام هو الهدف الأساس للدعوة الإسلامية فقد شرع الله - سبحانه وتعالى - لتحقيق هذا المطلب كثيراً من الوسائل والأساليب ، وعندما يوقف في

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ، الإيمان ، ٢٣٠ .

(٢) سورة الفجر : ٢٠ .

وجه الدعوة عن الانتشار فقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالجهاد والقتال في سبيله من أجل تأمين حرية اعتناق الناس للإسلام والدخول فيه . قال الله - تعالى - : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله»^(١) ، وقال - تعالى - : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»^(٢) .

لقد بين الله - سبحانه وتعالى - أن الدين هو الإسلام فقال - سبحانه - : «إن الدين عند الله الإسلام»^(٣) . وقال - تعالى - : «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»^(٤) . وأخبر الرسول - ﷺ - أنه أمر بقتال الناس حتى يتم دخولهم في الإسلام الذي يعصمون به دماءهم وأموالهم ، قال - ﷺ - : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله»^(٥) .

ولقد أوضح الصحابي الجليل ربي بن عامر - رضي الله عنه - مهمة الدعوة إلى الله والمجاهدين في سبيله ، عندما سئل ما جاء بكم ؟ فقال : «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...»^(٦) .

وهذا مما يدل على أهمية هذا المقصد وأنه أول المقاصد الشرعية في الدعوة ، وما شرع من أجله الجهاد وإراقة الدماء فلأن يبذل في سبيل تحقيقه الأموال أولى وأكد ، كما فعل ذلك رسول الله - ﷺ - .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١٩ .

(٤) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : «فإن تابوا وأقاموا الصلاة ...» ، حديث رقم (٢٥) ، ١٩ . وأخرجه مسلم ،

كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ... ، حديث رقم (٣٦) ، ٣٢٥/١ .

(٦) الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٧/٧ - ٣٨ .

ونظراً لأهمية هذا المقصد في الدعوة إلى الله - تعالى - ، فقد كان - ﷺ - يجعل من التأليف للقلوب أسلوباً أساسياً لتحقيق هدف الدخول في الإسلام ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ما سئل رسول الله - ﷺ - على الإسلام شيئاً إلا أعطاه . قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»^(١) .

ولقد كان الصحابي الجليل أنس بن مالك - رضي الله عنه - يرى كيف تحقق مقصود الرسول - ﷺ - من تأليفه للقلوب ، حيث دخل كثير من الناس في الإسلام بسبب التأليف ، فعبر عن ذلك بقوله :

« إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(٢) . والمعنى كما قال النووي: «فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه ، والمراد أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا لا بقصد صحيح بقلبه ، ثم من بركة النبي - ﷺ - ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ويتمكن من قلبه فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها»^(٣) .

وقد صرح الرسول - ﷺ - بمقصوده من التأليف وهو إرادة إسلام الناس ودخولهم دين الله ، حيث قال - ﷺ - : «... أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم...»^(٥) .

(١) سبق تخريجه ، ص ٥٠ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٥١ .

(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ٨٠/١٥ .

(٤) لعاعة : اللعاعة في الشيء بقية السيرة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣١٩/٨ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١١٢/٢ . «صحيح الإسناد» ، انظر : ابن القيم ، زاد المعاد ، ٤٧٤/٣ ، ت : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط .

المطلب الثاني

استخدام الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم -

التأليف للدخول في الإسلام

الفرع الأول : استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لإدخال الناس في الإسلام :

لقد كان لرسول الله - ﷺ - منهجاً واضحاً في تأليفه لقلوب الناس بقصد إدخالهم في الإسلام ، فقد كان يتألف قلوب الأفراد والجماعات ، فإذا ثبت وتأكد من أثر الأعطية الإيجابي لم ينظر في مقدار الأعطية ؛ لأنه مهما يكن الأمر فالمصلحة من وراء العطاء أعظم ، لقد كان - ﷺ - يعطي ما في يده سواء كان قليلاً أو كثيراً ، وأعطى المال ، والنعم ، والشاء ، وأعطى من الطعام ، وأعطى من الملابس ، بل لقد كان من شدة تأليفه - ﷺ - للقلوب يستلف على نفسه لإصلاح الناس .

وسأبين كيف كان حرصه - ﷺ - على إدخال الناس في دين الله بتأليف قلوبهم ، مادياً من خلال المسلكين التاليين :

المسلك الأول : تأليفه - ﷺ - القلوب جماعياً لإدخالهم في الإسلام .

المسلك الثاني : تأليفه - ﷺ - قلوب الأفراد لإدخالهم في الإسلام .

المسلك الأول : تأليفه - ﷺ - القلوب جماعياً للدخول في الإسلام :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال ناس من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله - ﷺ - ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي - ﷺ - يعطي رجالاً المئة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله - ﷺ - ؛ يعطي قريشاً ، ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ، قال أنس : فحدث رسول الله - ﷺ - بمقاتلتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ، ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي - ﷺ - فقال : « ما

حديث بلغني عنكم ؟ » ، فقال فقهاء الأنصار : أما رؤسائنا يارسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله - ﷺ - يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال النبي - ﷺ - : « فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » . قالوا يارسول الله قد رضينا . فقال لهم النبي - ﷺ - : « ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله - ﷺ - ، فإني على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا (١) .

وفي رواية أنه - ﷺ - : « أصاب يومئذ غنائم كثيرة ، فقسم في المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً » (٢) .

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : « لما أفاء الله على رسوله - ﷺ - يوم حنين ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم » (٣) .

لقد كان النبي - ﷺ - يتألف قلوب الناس جماعات وفرادى لأجل الدخول في الإسلام ، ولما كانت غنائم حنين ، فبسبب كثرتها كان من تأليفه - ﷺ - للناس أن يتألفهم بصورة جماعية ، فالطلقاء الذين ذهبوا معه إلى حنين كان عددهم قرابة ألفي رجل (٤) ، وقد نال كثير منهم المال . وهذا العطاء لهم إضافة إلى ما قام به بعد الفتح من المن (٥) عليهم بأنفسهم (٦) ، وهذا تأليف مادي من جهة إبقائه على حياتهم ولم يقتلهم ، بل عفى عنهم .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٣١) ، ٩٠٠ . وأخرجه مسلم ، كتاب :

الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ... ، حديث رقم (١٠٥٩) ، ١٥٧/٧ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٣٧) ، ٩٠١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الموضع ، حديث رقم (٤٣٣٠) ، ٩٠٠ .

(٤) الإمام النووي ، شرح مسلم ، ١٥٩/٧ - ١٦٠ .

(٥) المن : هو العطاء وإسداء المعروف ، وهو هنا العفو عنهم وعدم قتلهم ، كأنه أعطاهم أنفسهم فلم يؤاخذهم ، انظر :

الفيومي ، المصباح المنير ، ٥٨١/٢ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٥/٤ ، وانظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٤٨/٨ .

المسلك الثاني : تأليفه - ﷺ - قلوب الأفراد لإدخالهم في الإسلام :

رغم أن الرسول - ﷺ - كان بعد حين قد غلب على تأليفه الصبغة الجماعية ، إلا أنه خص منهم أفراداً وميزهم بالعطاء لمقاصد مختلفة ، فقد أعطى أبا سفيان بن حرب^(١) لحماية من الردة ، وأعطى صفوان بن أمية ليدخل في الإسلام ، كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس لخوفه عليهما من الردة ، وأعطى عباس بن مرداس^(٢) لخوفه عليه كذلك ، ثم زاده كفاً لشره ، وموضع الشاهد في هذا السياق تأليفه - ﷺ - لصفوان بن أمية .

عن رافع بن خديج قال : أعطى رسول الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد^(٣) بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
قال : فأتم له رسول الله - ﷺ - مائة^(٤) .

وروى مسلم عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله - ﷺ - غزوة الفتح - فتح مكة -

(١) أبو سفيان ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي ، الأموي ، أمه صفية بنت حزن الهلالية ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف ، وأبلى في حنين بلاءً حسناً ، كان من المؤلفة قلوبهم ، وقبل إسلامه كان رأس المشركين يوم أحد والأحزاب ، مات سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وقيل غير ذلك . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ٣/٣٣٢ .

(٢) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد السلمى ، أبو الهيثم ، أسلم قبل الفتح بيسير ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه ، وقد قدم على رسول الله في ثلاثمائة من قومه فأسلموا جميعاً ، كان شاعراً ، وشجاعاً ، وقد نزل بالبادية ناحية البصرة ، وقيل ابتنى داراً في دمشق . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢/٨٢٠ ، وانظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣/١٦٨ .

(٣) العبيد : اسم فرس العباس ، انظر : النووي ، شرح صحيح مسلم ، ٧/١٦١ .

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام . حديث (١٠٦٠) ، ٧/١٦١ . وأخرجه البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله - عز وجل - : «وأما عاد فأهلكوا ...» حديث رقم (٣٣٤٤) ، ٧٠٣ . واللفظ لمسلم .

ثم خرج رسول الله - ﷺ - بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله - ﷺ - يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة . قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله - ﷺ - ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ^(١) .

إن التأليف المادي يشمل صوراً كثيرة ؛ ومن بين تلك الصور ردُّ الرسول - ﷺ - الأموال على أبي العاص بن الربيع^(٢) ، فكان لهذا التأليف عظيم الأثر في نفسه فكان سبباً في إسلامه .

بعث رسول الله - ﷺ - زيد بن حارثة في السنة السادسة من الهجرة إلى العيص^(٣) يتعرض لعير قريش حيث بلغه أنها أقبلت من الشام ، فتمكنوا من أخذها وما فيها ، وأخذوا فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسروا ناساً منهم أبو العاص بن الربيع ، وقدموا المدينة ، فاستجار أبو العاص بزوجه زينب بنت رسول الله - ﷺ - فأجارته ، وقبل الرسول - ﷺ - إيجارتها ورد عليه ما أخذ منه . وجاء أبو العاص إلى مكة وأدى إلى كل ذي حق حقه ، ثم نطق بالشهادتين ، وقال لهم : أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا تخوفاً أن تظنوا أنني إنما أسلمت لأذهب بأموالكم ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله^(٤) .

(١) سبق تخريجه : ص ٥٣ .

(٢) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى القرشي ، صهر الرسول - ﷺ - ، زوج ابنته زينب قبل الإسلام ، وبعدما أسلم أقره الرسول - ﷺ - على زواجه الأول ، والد أمامة بنت زينب ، أسلم قبل الحديبية ، من أسرى بدر وقد فدته زينب ، قال الرسول - ﷺ - عنه : « حدثني فصدقتي ، ووعدني فوفى لي » الحديث أخرجه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : ذكر أصحاب النبي - ﷺ - منهم أبو العاص بن الربيع ، حديث (٣٧٢٩) ، ٧٨٤ انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣/٣٣٠ .

(٣) العيص : مكان يبعد عن المدينة أربع ليال وهو موضع في بلاد بني سليم به ماء ، يقال له ذبيان العيص على ساحل البحر . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٦/٣٦٦ ، وانظر : د . محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٤٧١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، (٨٧/٢) ولم يسنده ، وقد رجح ابن القيم أن الذي أخذ الأموال أبو بصير وأبو جندل وهما في سيف البحر زمن الهدنة ، من رواية موسى بن عقبة . انظر : ابن القيم ، زاد المعاد ، ٣/٢٨٤ ، وانظر كذلك : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/١٧٨ ، وانظر : محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٤٧١ .

وكان تأليف القلوب يأخذ أحياناً صورة تحمل الدِّين عن المدين ، وهذا ما فعله رسول الله - ﷺ - مع الجارود عندما قدم على رسول الله - ﷺ - ، فلما انتهى إليه ، كلمه ، فعرض عليه رسول الله - ﷺ - الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك دِينِي لِديْنِكَ ، أفترضن لي دِينِي ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . فأسلم الجارود^(١) وأسلم معه أصحابه . فانصرف الجارود وَمَنْ معه بعد أن اعتذر منهم الرسول - ﷺ - عن عدم وجود ما يحملهم به من النعم .

وقد أتى هذا النوع من التأليف ثماره ؛ فلما ارتد قوم الجارود زمن الردة بعد وفاة رسول الله - ﷺ - ، قام فيهم الجارود خطيباً ودعاهم إلى التمسك بدين الله وشهد شهادة الحق على المنبر ، وكفّر من لم يشهد^(٢) .

وكان الرسول - ﷺ - يحرص على تألف قلوب الأفراد لاسيما من يكون لهم أثر في غيرهم ، كما حصل منه - ﷺ - عندما تألف قلب مالك بن عوف^(٣) ، حيث إنه - ﷺ - عندما رد على هوازن السبي بعد رجوعه من حصار الطائف سألهم عن ملكهم مالك بن عوف ، فأخبروه أنه بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله - ﷺ - : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مئة بعير من الإبل . فأخبر مالك ، فخرج

(١) الجارود بن المعلّى ، وقيل العلاء ، أبو غيَّاث ، كان سيد عبد القيس ، قدم على النبي ﷺ سنة عشر في وفد من قومه فسرّ النبي ﷺ بإسلامه كثيراً ، كان الجارود صهر أبي هريرة رضي الله عنهما ، وكان معه بالبحرين لما أرسله عمر ، قتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه . انظر : ابن حجر ، الإصابة ، . ٥٥٣/١٢ .

(٢) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٦٩/٤ ، وأصل حديث وفد عبد القيس ، أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : وفد عبد القيس ، حديث (٤٣٦٨) ، ٩٠٨ ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٨٦-٨٤/٨ .

(٣) مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع النصري ، زعيم هوازن وقد انهزم يوم حنين كافراً ، وكان هو قائد الجيش فلحق بالطائف ثم أسلم بعد حنين بعد أن تألف الرسول ﷺ قلبه ، واستعمله الرسول - ﷺ - على من أسلم من قومه ومن كان في ناحيته وأمره بمعاودة ثقيف ففعل حتى ضيق عليهم ، انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ١٦٩/٤ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٧/٨ . وانظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٣٥٦/٣ .

من الطائف متخفياً بليل لما يخشى أن تحبسه ثقيف ، فلدق برسول الله - ﷺ - فأدركه فأسلم فرد عليه رسول الله - ﷺ - أهله وماله وأعطاه ما وعده ، فجعله الرسول - ﷺ - على من أسلم من قومه (١) .

لعل من أهم صور التأليف المادي المن بالنفس على مستحق القتل إما لكفره أو لإيذائه المسلمين ؛ وقد تقدم كيف من رسول الله - ﷺ - على الطلقاء بأنفسهم وكان هذا بشكل جماعي . أما الأفراد فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه غزا مع النبي - ﷺ - قبل نجد ، فلما قفل رسول الله - ﷺ - قفل معه ، فأدركتهم القائلة (٢) في واد كثير العضاء (٣) ، فنزل رسول الله - ﷺ - ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله - ﷺ - تحت شجرة وعلق بها سيفه ، وغنا نومة ، فإذا رسول الله - ﷺ - يدعونا وإذا عنده أعرابي ، فقال : « إن هذا اخترط علي سيفي ، وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله - ثلاثاً - » ولم يعاقبه وجلس (٤) .

قال ابن حجر : « فمن عليه لشدة رغبة النبي - ﷺ - في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام ، ولم يؤاخذ به بما صنع ، بل عفا عنه » (٥) . ثم ساق بعض روايات الحديث وفيها بيان عظيم أثر تأليف القلوب .

وروى عمران بن الحصين ، وكان في سفر مع النبي - ﷺ - ، فناموا نومة تأخروا فيها عن صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، فلما استيقظوا على حر الشمس سار بهم الرسول

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤/١٠٥-١٠٦ ، وانظر : محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦٠٠ .

(٢) القائلة : وقت النهار عند اشتداد حرارة الشمس ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٧/٤٢٧ .

(٣) العضاء : كل شجر يعظم له شوك ، انظر ابن حجر ، فتح الباري ، ٧/٤٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : من علق سيفه بالشجر عند السفر بالقائلة ، حديث (٢٩١٠) ، ٦١٣ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٧/٤٢٧-٤٢٨ .

- ﷺ - غير بعيد ، ثم نزل الرسول - ﷺ - فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس ، وكان معهم رجل أصابته جنابة فأمره الرسول - ﷺ - بالتيمم لعدم وجود الماء ، ثم ساروا فأصاب الناس العطش فاشتكوا إلى رسول الله - ﷺ - ، فأرسل في طلب الماء علياً وأبا رجاء ، فوجدا امرأة معها ماء ، فسألاها فأخبرتهما عن بعد مكان الماء الشاق وشحه ، فذهبا بها إلى رسول الله - ﷺ - ، فأمر بها فأنزلت ، فأفرغ الماء من المزدتين^(١) ، فاستقى الناس كلهم من الماء ، فأرجع إليها المزدتين ولم تنقصا بل أشد امتلاءً من قبل ، فقال النبي - ﷺ - : « اجمعوا لها » فجمعوا لها طعاماً ، فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها ، ثم قال لها : « تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً ، ولكن الله هو الذي أسقانا » . فلما أتت أهلها ، قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب ، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ، فذكرت لهم ما حصل لها ثم قالت : فو الله إنه لأسحر الناس ما بين هذه وهذه - تعني السماء والأرض - أو إنه لرسول الله حقاً^(٢) .

والشاهد هنا ما أمر به رسول الله - ﷺ - لهذه المرأة من الطعام ، فهو تأليف بشيء من الطعام بصورة فردية .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً تقاضى رسول الله - ﷺ - فأغظ له ، فهم به أصحابه ، فقال : « دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه » قالوا : لا نجد إلا أفضل من سنه . قال : اشتروه فأعطوه إياه ، فإن خيركم أحسنكم

(١) المزايدة : بفتح الميم والزاي قرية كبيرة يزداد فيها جلد من غيرها ، وتسمى السطيحة ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٥٢/١ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : التيمم ، باب : الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ، حديث (٣٤٤) ، ٨٨ . وأخرجه مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : قضاء الصلاة الفاتنة واستحباب تعجيل قضائها ، حديث (٦٨١) ، ١٩٠/٥ .

قضاء»^(١). وفي رواية أنه لما أعطي سناً خيراً من سنه قال : «أوفيتني أوفى الله بك»^(٢).

قال ابن حجر : «يحتمل أن يكون الإغلاظ بالتشديد في المطالبة من غير قدر زائد ، ويحتمل أن يكون بغير ذلك ، ويكون صاحب الدين كافراً ، فقد قيل إنه كان يهودياً»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : بعث النبي - ﷺ - خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال^(٤) ، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي - ﷺ - فقال : «ماذا عندك يا ثمامة» ؟ فقال : عندي خير يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاکر ، وإن كنت تريد المال ، فسئل منه ما شئت ، فترك حتى كان الغد ، ثم قال له : «ما عندك يا ثمامة» ؟ قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاکر ، وإن كنت تريد المال ، فسئل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد ، ثم قال له : «ما عندك يا ثمامة» ، فقال : عندي ما قلت لك . فقال : «أطلقوا ثمامة» ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح

(١) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٩٣/٢ ، وأخرجه البخاري ، كتاب : الاستقراض ، باب : استقراض الإبل ، حديث (٢٣٩٠) ، ٤٩٤ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : المساقات ، باب : من استلف شيئاً ... ، حديث (١٦٠١) ، ٤٠/١١ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الوكالة ، باب : وكالة الشاهد والغائب جائزة ، حديث (٢٣٠٥) ، ٤٧٦ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٥٦/٥ .

(٤) ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة الحنفي تألف الرسول ﷺ قلبه فأسلم وحسن إسلامه ولما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام ، ثبت ثمامة وأخذ يدعو إلى دين الله والثبات عليه ، وقد خرج مع العلاء بن الحضرمي لقتال الحطم لما ارتد ومن معه ، فانهزم المرتدون ، وقد اشترى ثمامة من غنم خميصة الحطم فلما لبسها وراها قوم الحطم عليه ، ظنوه هو الذي قتله فقتل ، وكانت هذه القصة قبل فتح مكة . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٥٩/١ ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٨٧/٨ .

بلدك أحب البلاد إليّ ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله - ﷺ - وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ، قال : لا ، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله - ﷺ - ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي - ﷺ - (١) .

وقد ورد أنه - ﷺ - أمر بإحسان إيساره ، وأمر بجمع الطعام وبعثه إليه ، وأمر بناقته يغدى عليه بها ويراح (٢) .

قال ابن حجر : « وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد ، والمنّ على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي - ﷺ - إليه من العفو والمن بغير مقابل ... وفيه الملائمة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه » (٣) .

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه (٤) قال : جاءت خيل رسول الله - ﷺ - وأنا بعقرب (٥) فأخذوا عمتي وناساً (وفي رواية أختي سفانة) (٦) ، فلما أتوا بهم رسول الله - ﷺ - فصفوا له ، قالت : يارسول الله نأى الوافد ، وانقطع الوالد ، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ، فمن عليّ من الله عليك ، قال : « من وافدك » . قالت : عدي بن حاتم ، قال : الذي فر من الله ورسوله ، قالت : فمن عليّ . قالت : فلما رجع

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : وقد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ، حديث (٤٣٧٢) ، ٩٠٩ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢١٥/٤ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨٨/٨ .

(٤) عدي بن حاتم بن عبد الله ، أبو وهب الطائي ، سيد قومه قبل الإسلام وبعده ، من الصحابة الأجلاء ، أسلم في السنة السابعة ، وقد كان قبل نصرانياً ، مات سنة سبع وستين من الهجرة . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٦٢/٣ .

(٥) بعقرب ، ويقال : عقرباء ، موقع بأرض اليمامة على بعد عشر ليالٍ مشياً من الأحساء ، وهي عند قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه قرب مدينة الجبيل حالياً . انظر : د . محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦١١ ، وانظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٥٠٥/٨ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧١-١٧٣/٤ ، وانظر : ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١٨/٣ .

ورجل إلى جنبه نرى أنه علي ، قال : سليه حملتاً . قال : فسألته ، فأمر لها . قال : فأتتني ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ، ائته راغباً أو راهباً ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته ، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر ، فقال : يا عدي بن حاتم ما أفرك^(١) أن يقال : لا إله إلا الله ، فهل من إله إلا الله ؟ ، ما أفرك أن يقال : الله أكبر ، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل ؟ قال : فأسلمت ، فرأيت وجهه استبشر ، وقال : إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين هم النصارى^(٢) .

الفرع الثاني : تأليف الصحابة - رضي الله عنهم - القلوب للدخول في الإسلام

كما كان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب الناس ليدخلهم في دين الله ، فقد كان صحابته رضوان الله عليهم - كذلك ينهجون منهجه في التأليف . فقد تألف أبو بكر الصديق رضي الله عنه قلب علقمة بن علاثة بإطلاق سراحه وسراح أهله بعد أن هزموا فأسروا ، وتأثر علقمة بذلك فأسلم وحسن إسلامه^(٣) .

وعن عبد الله بن عمر ، قال : رأى عمر حلة سيرا عند باب المسجد ، فقال : يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها يوم الجمعة وللوفود ، قال : «إنما يلبسها من لا خلاق له في الآخرة» ، ثم جاءت حلة فأعطى رسول الله - ﷺ - عمر منها حلة ، وقال : أكسوتنيها وقلت في حلة عطارده ما قلت ؟ فقال : «إني لم أكسكها لتلبسها» ، فكسا عمر أخاً له بمكة مشركاً^(٤) .

(١) فَرِكَ ، فَرَكًا : كره وأبغض . انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٦٨٦/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٧٨/٤ ، وأخرجه الترمذي بنحوه ، السنن ، حديث (٢٩٥٣) ، ٢٠٣-٢٠١/٥ . وأطال ابن كثير في سرد روايات الحديث ، البداية والنهاية ، ٦٦-٦٢/٥ . وفي نهاية القصة إخباره ببعض الأمارات المقبلة التي وقعت ، وقوله - ﷺ - : «أتق النار ولو بشق تمرة» أخرجه نحوه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، حديث (٣٥٩٥) ، ٧٥٧ .

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٨٦/٤ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٦٠ .

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام أن امرأة من بجيلة - يقال لها أم كرز - قالت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : يا أمير المؤمنين : إن أبي هلك ، وسهمه ثابت في السواد ، وإني لم أسلم . فقال لها : يا أم كرز ، إن قومك قد صنعوا ما قد علمت ، قالت : إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فإني لست أسلم حتى تحملني على ناقة ذلول ، عليها قطيفة حمراء ، ومثلاً كفيّ ذهباً . ففعل عمر ذلك ، فكانت الدنانير نحواً من ثمانين ديناراً^(١) .

وعن مجاهد أن ابن عمر - رضي الله عنهما - ذبح شاة ، فقال لقيمة أو لغلّامة : هل أهديت لجارنا اليهودي شيئاً ؟ قال : لا . قال : فأهد له ؛ فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »^(٢) .

(١) سبق تخريجه ، ص ٦٠ .

(٢) أصل الحديث أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الوصاة بالجار ، حديث (٦٠١٤) ، ١٢٩١ ، وأما بداية القصة فأخرجها البيهقي ، معرفة السنن والآثار ، ٢١٤/٦ ، ط : الأولى ١٤١١هـ ، جامعة الدراسات الإسلامية بباكستان ، ودار الوفاء ، ودار الواعي بالقاهرة ، ودار قتيبة بدمشق . وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، ٦٦ .

المبحث الثاني
تأليف المدعو لزيادة إيمانه

المطلب الأول
مفهوم مقصد زيادة الإيمان وأهميته

المطلب الثاني
استخدام الرسول ﷺ وأصحابه التأليف
لزيادة الإيمان

المبحث الثاني

تأليف المدعو لزيادة إيمانه

تأليف المدعو لزيادة إيمانه من أهم مقاصد التأليف التي نص عليها بعض الفقهاء^(١)، وسأتناول دراسة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم مقصد زيادة الإيمان وأهميته .

المطلب الثاني : استخدام الرسول - ﷺ - وأصحابه التأليف لزيادة الإيمان .

(١) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٦/٨ . ابن قدامة ، المغني ، ٦٩٢/٢ . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٤٩/٢ . د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٥٦٩/٢ . د. الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٥٩-٦٣ ، د. حسين آل الشيخ ، مصرف المؤلفات قلوبهم ، ٣١ .

المطلب الأول

مفهوم مقصد زيادة الإيمان ، وأهميته

الفرع الأول : مفهوم زيادة الإيمان

الإيمان في اللغة : مصدر آمن يؤمن إيماناً ، فهو مؤمن والمعنى : التصديق (١).

وفي الاصطلاح : الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان ، واعتقاد القلب ، وعمل الجوارح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية (٢).

والدين درجات : كما جاء ذلك في حديث جبريل ، عندما جاء فسأل رسول الله ﷺ - عن الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان (٣).

فالإنسان الداخل في دين الله - تبارك وتعالى - لا بد من تعاهده بما يزيد إيمانه حتى يترقى في درجات الدين ، وإذا لم يوجد هذا التعاهد فإنه عرضة إلى النكوص والتراجع ، وعلى أقل الأحوال فإنه ربما صار صاحب إيمانٍ ضعيف متردّد ، لا يُؤمّن عليه أن ينحرف إلى غير هدى الله وليس هذا الأمر بلازم ولكنه يخشى من ذلك ، فيتأثر إما بفكر منحرف وإما ببدعة مضلة ، فالحرص على زيادة إيمان المؤمن - سواءً كان قوياً الإيمان أو ضعيفه - مقصد شرعي ، وهدف دعوي أساس .

وقد جاءت النصوص الشرعية تبين أن الإيمان يزيد وينقص ، فلا بد من السعي الجاد لزيادة الإيمان ، وتعاهده أن لا ينقص .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣/١٣ .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية ، الإيمان ، ١٦٢-١٦٣ . وانظر: د. محمد نعيم ياسين ، الإيمان ، ٢٠٣ ، ط : الرابعة ١٤٠٥ هـ ، المؤلف نفسه .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١١٦ .

قال الله - تعالى - : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » (١).

وقال - تعالى - : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٢).

وقال الرسول - ﷺ - : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » (٣).

وقال - ﷺ - : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » (٤) ، وقال - ﷺ - أيضاً : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (٥).

وحيث إن الإيمان عرضة للزيادة والنقصان ، فإن هناك أسباباً تزيد وتحفظه من أن يتطرق إليه النقص ، والأسباب إما أن تكون معنوية ، وإما أن تكون مادية .

ولعل من أهم الأسباب المعنوية لزيادة الإيمان : تعلم العلم الشرعي ، والإكثار من نوافل العبادات والعمل الصالح ، والتفكير وإدامة النظر إلى عظيم صنع الله في خلقه (٦) .

وأما الأسباب المادية فإنها لا تزيد في الإيمان في ذاتها (٧) - كالمعنوية - وإنما زيادة

(١) سورة الأنفال : ٢

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وكون الحياء من الإيمان ، حديث (١٨) ، ٣٦٢/٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٤٧٢/٢ ، قال أحمد شاكر : « إسناده صحيح » شرح المسند ، برقم (٧٣٩٦) ، ١٣٣/١٣ .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، حديث (١٤٠) ، ٣٨٠/٢ .

(٦) للاستزادة ، انظر : د . محمد نعيم ياسين ، الإيمان ، ٢١٠-٢١٤ .

(٧) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٣٣٧/٣ .

الإيمان أثر من آثار هذه الأسباب ، ومن أهمها : عطاء المال وبذله ؛ ذلك أن النفوس قد جبلت على حب المال وحب من يبذله لها ، وهذه المحبة تكون سبباً في قياد الإنسان إلى الإيمان وزيادته .

الفرع الثاني : أهمية التأليف لزيادة الإيمان

كما أن لتأليف القلوب أهمية كبيرة في إدخال الناس إلى دين الله - تبارك وتعالى- فإن له أهمية كبيرة أيضاً في زيادة إيمان المؤمن ، ولعل أبرز ما يمكن أن يسجله الباحث فيما يتعلق بهذا ما يلي :

١ - لقد خلق الله الإنسان وركب في فطرته حب المال وتملكه ، وحب من يكون سبباً في تحصيل المال .

قال الله - تعالى - : «وتحبون المال حباً جماً»^(١) ، يخبر تعالى عن الإنسان ويصفه بأنه يحب المال حباً شديداً . ومن شأن هذا المال الذي هذه صفته أن يكون له عظيم الأثر في قناعات الإنسان وتحركاته ، وقد تقدم أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن من أسباب زيادته بذل المال ، كما أن الجزع على الدنيا قد يكون سبباً لنقص الإيمان .

وقد أدرك الرسول - ﷺ - أثر المال في التغيير ، إما إلى الخير أو إلى الشر ، فاستغل هذا الأمر في توجيه الناس إلى دين الله ، وزيادة إيمانهم .

عن عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله - ﷺ - قوماً ومنع آخرين ، فكأنهم عتبوا عليه ، فقال : إني أعطي قوماً أخاف ظلّهم^(٢) وجزعهم ، وأكل أقواماً إلى ما

(١) سورة الفجر : ٢٠ .

(٢) أصل الظلّ : الميل ، والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين والإيمان ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٦/٢٥٣ .

جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب»^(١) . فقال عمرو : ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حمر النعم^(٢) .

ففي هذا الحديث أوضح الرسول - ﷺ - أن الجزع على الدنيا سبب لنقص الإيمان ، بل ربما إلى الارتداد عن دين الله ، وأنه - ﷺ - إنما يعطيهم المال تقوية لإيمانهم ، ويتجسد في الحديث أيضاً أرقى صور التأليف المعنوي بما قاله لعمرو بن تغلب . ويوم أن وجد بعض الأنصار - رضي الله عنهم - في أنفسهم ، عندما لم يقسم لهم رسول الله - ﷺ - بعد حنين ، وجعل للتأليف نصيباً كبيراً ، أوضح لهم أنه إنما أعطى المال تألفاً للقلوب ، وأن له تأثيراً كبيراً ، قال - ﷺ - : « فإني أعطي رجلاً حديث عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي - ﷺ - إلى رحالكم » ، ثم بعد ذلك أوضح أثر المال ، فقال : « ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله - ﷺ - فإني على الحوض »^(٣) .

٢ - إن كل فردٍ من أفراد الأمة ، ممن آمنوا بالله - سبحانه وتعالى - بحاجة ماسة إلى تعاهد إيمانهم ومتابعتهم ، ولا يمكن أن يتابع الدعوة أياً كان عددهم جميع المدعوين ويتعاهدوهم ، ولكن بذل المال وتمليكه للمدعو يوجد عنده دافعاً ذاتياً نحو الداعية ودعوته وبرامج التعليم التي تنمي الإيمان وتزيده في نفسه .

وواقع الدعوة الإسلامية اليوم من التأخر بمكان ، حيث يوجد أعداد كبيرة من المسلمين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه ، ولا عن القرآن إلا رسمه .

(١) عمرو بن تغلب العبدي من عبد القيس ، وقيل : من النمر بن قاسم الرُبَعي ، سكن البصرة ، وروى عنه الحسن البصري ، وهو من أهل «جوانا» ، وجوانا حصن لعبد القيس في البحرين (الأحساء حالياً) . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١١٦٦/٣ وابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٠١/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفَةَ قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، حديث رقم (٣١٤٥) ، ٦٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٢١ .

٣ - إن أعداء الدعوة الإسلامية - ممن يدعون الأمة الإسلامية إلى التخلف والانحلال عن الشريعة - قد استغلوا أثر المال في صرف التوجه ، فسلطوا على الأمة جهدهم من خلال صور عديدة من التأليف بالمال ، سواءً كانت مباشرة أم غير مباشرة .

ولعل استغلال التأليف في الدعوة إلى الله ، وتنوع صور التأليف المادي قد يشارك في صد هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين .

لقد استطاع دعاة الشر والانحراف عن الطريق المستقيم أن يؤثروا سلباً في إيمان المؤمن ويضعفوه ، وكم يرى في بلاد المسلمين من أبنائهم من قد تأثر بذلك ، فأولئك يستغلون لتحقيق أهدافهم كثيراً من الأساليب المادية ، وعلى سبيل المثال :

التمكين من السفر إلى البلاد الكافرة بأقل الأسعار ، تقديم الحوافز والجوائز من خلال المشاركة بالبرامج السياحية المنحلة ، وغيرها .

ولكي يصلوا إلى هدفهم ، فقد سخروا لذلك الدعاية عبر وسائل الاتصالات الحديثة بكافة أنواعها ، وإن تأليف القلوب مادياً لزيادة الإيمان هو من باب المقابلة بالمثل ، والمجارات بالوسائل والأساليب .

٤ - إن أعمال الدعوة إلى الله - تعالى - تتطلب من الداعية جهوداً جبارة ، وأوقاتاً طويلة ، وتضحيات كبيرة ، تصل إلى بذل كل غالٍ ونفيس ، بل ربما قدم الداعية أمواله ونفسه في سبيل الله ، كل ذلك ومع الاستمرار وطول الزمن بالمرء فقد يكون عرضة للسامة والملل ، فيكون الإقدام على هذه الأعمال فيما بعد من غير رغبة .

وقد تتزاحم تلك الأعمال الدعوية فيكون الداعية إلى الله عرضة للانقطاع والتوقف ، حتى من أقوياء الإيمان ، فاحتاج الأمر إلى أن تعالج هذه المشكلة بأسباب ووسائل كثيرة ، منها المعنوي ومنها الحسي .

ومن بين تلك الأمور التي عالج بها رسول الله - ﷺ - هذه المشكلة المحتملة الترغيب في الأعمال ببذل شيء من المال ، تطيباً للنفوس ، وإيناساً للقلوب .

وكان من حكمة الله - سبحانه وتعالى - في الجهاد أن أباح الله لهذه الأمة خاصة الغنائم ذلك أن النفوس قد جبلت على العجز والضعف ، عجز عن تلك الأعمال وضعف أمام هذا المال فكان من حكمة الله إباحة الغنائم .

قال الله - سبحانه وتعالى - : « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ، واتقوا الله إن الله غفور رحيم » (١) .

قال ابن جرير الطبري : « يقول تعالى للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً بإحلاله لكم طيباً » (٢) .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة » (٣) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا » (٤) ، وعن الإمام أحمد قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لم تحل الغنائم لمن قبلنا ، ذلك أن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا » (٥) .

إذاً فبذل المال وإعطاؤه يزيد من تلك الأعمال ويثبت العامل ، وهذا من شأنه أن يزيد في إيمان العبد ، ويحافظ عليه من أن يعتريه النقص والتردد .

(١) سورة الأنفال : ٦٩ .

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦ / الجزء ١٠ / ٣٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٤٠ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٤٠ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ٤٠ .

المطلب الثاني

استخدام الرسول - ﷺ - وأصحابه التأليف لزيادة الإيمان

الفرع الأول : استخدام الرسول - ﷺ - أسلوب التأليف لزيادة الإيمان :

لقد جاءت النصوص النبوية التي تبين حرص رسول الله - ﷺ - على تأليف القلوب وإيناسها ليتحقق مقصد زيادة الإيمان ، فكان - ﷺ - يتألف قلوب الناس جماعات وأفراداً ، ولذلك فستكون دراسة هذا الفرع من خلال المسلكين التاليين :

المسلك الأول : تأليف قلوب الجماعات لزيادة الإيمان .

المسلك الثاني : تأليف قلوب الأفراد لزيادة الإيمان .

المسلك الأول : تأليف قلوب الجماعات لزيادة الإيمان :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، أن ناساً^(١) من الأنصار سألوا رسول الله - ﷺ - فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره^(٢) عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر^(٣) .

على الداعية أن يتألف القلوب لزيادة إيمانهم ، لا سيما إذا سئل من المال ، كما كان يفعل رسول الله - ﷺ - ، ولكن عليه كذلك أن يستغل هذا الموقف بعد عطائهم بتوجيههم بما يكون فيه زيادة إيمانهم ، وتحقيق عباداتهم .

(١) قال ابن حجر : لم يتعين لي أسماؤهم ، فتح الباري ، ٣/٣٣٦ .

(٢) أدخره : أي فلن أحبس وأخبأه وأمنعكم إياه ، المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الاستعفاف عن المسألة ، حديث رقم (١٤٦٩) ، ٣١١ . وأخرجه مسلم ، كتاب :

الزكاة . باب : فضل التعفف والصبر ، حديث (١٠٥٣) ، ١٥١/٧ .

قال ابن حجر : « وكذلك المال ليست الفائدة في عينه وإنما هي لما يتحصل به من المنافع ، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم ، وفيه أنه ينبغي للإمام أن لا يبين للطالب ما في مسألته من المفسدة إلا بعد قضاء حاجته لتقع موعظته له الموقع ، لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : بلغنا مخرج النبي - ﷺ - ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه ، أنا^(٢) وأخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة^(٣) والآخر أبو رهم^(٤) ، في ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ، فركبنا سفينة ، فآلتنا إلى النجاشي بالحبشة ، ووافقنا جعفر بن أبي طالب^(٥) وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله - ﷺ - بعثنا هاهنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي - ﷺ - حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، أو قال : فأعطانا منها ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً ؛ إلا لمن شهد معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، قسم لهم معهم^(٦).

(١) المحافظ ابن حجر ، فتح الباري ، ٣/٣٣٧.

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري ، أمه ظبية بنت وهب بن عك ، قدم مكة وحالف قوماً من بني عبد شمس ثم عاد إلى قومه ، ثم قدم إلى مكة فألقتهم الريح إلى الحبشة ، استعمله عمر على البصرة ، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام ، شارك أبو موسى مع سعد بن أبي وقاص في فتوحات كثيرة وله مآثر عظيمة وأقوال سديدة . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣/٩٨٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣/٣٦٧ .

(٣) أبو بردة ، عامر بن قيس الأشعري ، أخو أبي موسى الأشعري ، انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣/١٣٧ .

(٤) أبو رهم ، مجدي بن قيس الأشعري أخو أبي موسى الأشعري ، وهو ممن تسرع في الفتن فعلم أبو موسى فنهاه عن ذلك . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤/١٦٥٩ ، وابن حجر ، الإصابة ، ٧/١١٩ .

(٥) جعفر بن أبي طالب وهو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو عبد الله ، كان أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكان يكبره بعشر سنين ، وجعفر من المهاجرين الأولين إلى الحبشة ، وقد فرح النبي ﷺ بقدومه فرحاً شديداً ، وقد غزا غزوة مؤتة فقتل فيها سنة ثمان من الهجرة . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣/٢٤٢ .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين ، حديث رقم (٣١٣٦) ، ٦٦١ .

لقد هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة بأمر رسول الله - ﷺ - لما اشتدت عليهم قريش قبل الهجرة ، وقد لاقوا في هذه الهجرة عناءً وتعباً لبعدهم عن رسول الله - ﷺ - ، وكانوا وهم في تلك الحال أيام افتتاح رسول الله - ﷺ - خيبر ، فتألف رسول الله - ﷺ - قلوبهم وقسم لهم من الغنيمة وهم لم يشاركوا في الغزو ، ذلك أنه أراد جبر قلوبهم وتقوية إيمانهم لما قدموه في سبيل الدعوة من تضحيات جبارة تعرضت فيها نفوسهم للهلاك لولا لطف الله بهم .

ومثل ذلك ما يرويه الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قدم المدينة في رهط من قومه والنبي - ﷺ - بخيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة^(١) على المدينة ، قال: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ « كهيص »^(٢) وفي الثانية « ويل للمطففين »^(٣) قال : فقلت لنفسي ويل لفلان إذا اکتال بالوافي ، وإذا كال كال بالناقص ، قال : فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي - ﷺ - خيبر ، قال : فكلم رسول الله - ﷺ - المسلمين فأشركونا في سهامهم^(٤) .

قال ابن حجر : « ويجمع بين هذا وبين الحصر الذي في حديث أبي موسى ... أن أبا موسى أراد أنه لم يسهم لأحد لم يشهد الوقعة من غير استرضاء أحد من الغانين إلا لأصحاب السفينة ، وأما أبو هريرة وأصحابه فلم يعطهم إلا عن طيب خواطر المسلمين ، والله أعلم »^(٥) .

(١) سُبَاعُ بن عُرْفُطَةَ الغفاري ، استعمله الرسول ﷺ لما خرج إلى خيبر على المدينة ، وأيضاً لما خرج إلى دومة الجندل ، وهو من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣٢٣/٢ .

(٢) سورة مريم : ١ .

(٣) سورة المطففين : ١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٤٥/٢ ، ٣٤٦ .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٨٩/٧ .

المسلك الثاني : تأليف قلوب الأفراد لزيادة الإيمان :

لقد كان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب أصحابه ويؤانسهم ويسرّي عنهم بأشياء كثيرة ، ولعل من أبرز ما كان يتألفهم به ما كان يعطيهم من المال ، أو يقطعهم من الأرض ، أو غير ذلك من الأمور المادية التي تخفف عنهم مشقة العمل ، وتذهب عنهم السّامة والملل ، فتجدد في نفوسهم الحيوية والنشاط ، أكثر من ذي قبل .

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - ، قالت : تزوجني الزبير ، وما له في الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء ، وأخرز غريبه^(١) وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله - ﷺ - ، على رأسي ، وهي مني على ثلثي فرسخ ، فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله - ﷺ - ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ، ثم قال : « إِيْحُ إِيْحُ » ليحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله - ﷺ - أنني قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير ، فقلت : لقيني رسول الله - ﷺ - وعلى رأسي النوى ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني^(٢) .

لقد كانت أسماء - رضي الله عنها - تقوم بخدمة زوجها لما ترى من انشغاله بالجهاد في سبيل الله والدعوة إلى دينه ، ولذلك صبرت وتحملت الأذى والتعب . قال ابن حجر : « ولكن كان السبب الحامل على الصبر على ذلك شغل زوجها وأبيها بالجهاد وغيره

(١) القرب : الدلو . انظر : ابن حجر ، الفتح ، ٣٢٣/٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٤٧/٦ ، وأخرجه البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : الغيرة ، حديث (٥٢٢٤) ، ١١٤٨ . وأخرجه مسلم ، كتاب : السلام ، باب : جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعتيت في الطريق ، حديث (٢١٨٢) ، ٤١٥/١٤ ، واللفظ للإمام أحمد .

فما يأمرهم به النبي - ﷺ - وقيمهم فيه ، وكانوا لا يتفرغون للقيام بأمر البيت بأن يتعاطوا ذلك بأنفسهم ، ولضيق ما بأيديهم على استخدام من يقوم بذلك عنهم ، فانحصر الأمر في نسائهم فكن يكفينهم مؤنة المنزل ومن فيه ليتوفروا هم على ما هم فيه من نصر الإسلام» (١).

وقال النووي : «وفي هذا دليل لجواز إقطاع الإمام ، فأما الأرض المملوكة لبيت المال فلا يملكها أحد إلا بإقطاع الإمام ، ثم تارة يقطع رقبتها (٢) ، ويملكها لإنسان يرى فيه مصلحة فيجوز ، ويملكها كما يملك ما يعطيه من الدراهم والدنانير وغيرها ، إذا رأى فيه مصلحة ، وتارة يقطعه منفعتها ، فيستحق الانتفاع بها مدة الإقطاع» (٣).

لم يكن تأليف الرسول - ﷺ - لقلوب أصحابه - رضي الله عنهم - زيادةً لإيمانهم يقتصر على من كانت حالته المادية ضعيفة - كالزبير عندما وصفت حاله أسماء - رضي الله عنهما - بل كان يعطي المال حتى لأصحابه الذين لا يجدون مشكلة كهذه ، ولكنهم يقومون بأعمال ومهامٍ دعوية عظيمة تأخذ منهم الجهد والوقت والمال تطوعاً منهم لله - تبارك وتعالى - ودعوةً لدينه ، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه من هو أفقر إليه مني ، فقال : «خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف (٤) ولا سائل فخذه ، وما لا فلا تتبعه نفسك» (٥).

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ٣٢٤/٩ .

(٢) الرقبة : العنق وقيل مؤخر أصل العنق ، وهنا كناية عن أصل الأرض لا منفعتها ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٢٧/١ .

(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ٤١٥/١٤ - ٤١٦ .

(٤) المشرف : المطلع إلى الشيء والحريص عليه . انظر : النووي ، شرح مسلم ، ١٤٠/٧ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس ... ، حديث رقم (١٤٧٣) ، ٣١٢ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ... ، حديث رقم (١٠٤٥) ، ١٤٠/٧ ، واللفظ للإمام البخاري .

قال ابن حجر : « وفي الحديث أن للإمام أن يعطي بعض رعيته إذا رأى لذلك وجهاً وإن كان غيره أحوج إليه منه » (١).

لقد كان عطاؤه - ﷺ - لعمر - رضي الله عنه - معتاداً - كما يفهم من قوله : « يعطيني العطاء » - وكان - ﷺ - ينوع في عطائه له وإهدائه ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال : رأى عمر حلة سبراء عند باب المسجد ، فقال : يارسول الله لو اشتريتها فلبستها يوم الجمعة وللوفود ، قال : « إنما يلبسها من لا خلاق له في الآخرة » ثم جاءت حلل فأعطى رسول الله - ﷺ - عمر منها حلة ، وقال : أكسوئنيها ، وقلت في حلة عطارده ما قلت ؟ فقال : « إني لم أكسكها لتلبسها » فكسا عمر أخاً له بمكة مشركاً (٢).

عندما عزم رسول الله - ﷺ - للخروج في غزوة من الغزوات كان جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قد تزوج حديثاً ، فأخذ امرأة ثيباً ولم يأخذ بكراً ، لأنه أرادها أن تقوم على أخواته بالتربية والإشراف والخدمة ، ولا شك أن هذا العمل فيه تضحية عظيمة ، فخروجه للغزو على حداثة عهده بالزواج وأيضاً رغبته عن البكر إلى الثيب ، دعا ذلك رسول الله - ﷺ - أن يلاطفه ويؤانسه ويتألفه .

فعن جابر - رضي الله عنهما - قال : كنت مع النبي - ﷺ - في غزاة (٣) ، فأبطأ بي جملي وأعياء ، فأتى عليّ النبي - ﷺ - ، فقال : « جابر » . فقلت : نعم ، قال : « ما شأنك » ؟ قلت : أبطأ عليّ جملي وأعياء فتخلفت ، فنزل يحجنه (٤) بمحجنه ، ثم قال : « اركب » . فركبت ، فلقد رأيتته أكفّه عن رسول الله - ﷺ - ، قال : « تزوجت » ؟ قلت : نعم . قال : « بكراً أم ثيباً » ؟ قلت : بل ثيباً ، قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك » . قلت : إن لي أخوات ، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن ، وتقوم عليهن ، قال :

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ٣/٣٣٨ .

(٢) سبق تخريجه : ص ٦٠ .

(٣) يقال إنها غزوة ذات الرقاع ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤/٣٢١ .

(٤) يحجنه : يطعنه ، المرجع السابق ، نفس الموضع .

«أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيّس ، الكيّس»^(١) ، ثم قال : «أتبيع جملك» ؟ قلت : نعم ، فاشتره مني بأوقية ، ثم قدم رسول الله - ﷺ - قبلي ، وقدمت بالغداة فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد ، قال : «الآن قدمت» ؟ قلت : نعم ، قال : «فدع جملك ، فادخل فصل ركعتين» ، فدخلت فصليت ، فأمر بلالاً أن يزن له أوقية ، فوزن لي بلال فأرجح في الميزان ، فانطلقت حتى وليت ، فقال : «ادع لي جابراً» . قلت : الآن يرد عليّ الجمل ، ولم يكن شيء أبغض إليّ منه ، قال : «خذ جملك ولك ثمنه»^(٢) .

قال ابن القيم : «تأمل قصة جابر بن عبد الله ، وقد اشترى منه - ﷺ - بعيه ، ثم وقاه الثمن وزاده ، ورد عليه البعير ، وكان أبوه قد قتل مع النبي - ﷺ - في موقعة أحد ، فذكره بهذا الفعل حال أبيه مع الله ، وأخبره أن الله أحياه ، وكلمه كفاحاً وقال : يا عبدي تمن عليّ»^(٣) . فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق ، فقد أعطى السلعة ، وأعطى الثمن ، ووفق لتكميل العقد ، وقبل المبيع على عيبه ، وأعاض عليه أجل الأثمان»^(٤) .

وشبيهه بقصة جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ما كان منه - ﷺ - في تأليفه قلب عبد الله بن عمر^(٥) - رضي الله عنهما - فلما كان جمل ابن عمر يتقدم رسول الله

(١) الكيّس : راحة العقل ، وأكاس الإنسان وأكيس : ولد له أولاد كيّسى ، والكيّس ، يطلق على غشاء يكون فيه الولد داخل البطن يقال له المشيمة . انظر : ابراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٨٠٧/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : شراء الدواب ... ، حديث رقم (٢٠٩٧) ، ٤٣٦ . وأخرجه مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : استحباب تحية المسجد بركعتين ، حديث (٧١٥،٧١٤) ، ٢٣٣/٥-٢٣٥ ، وانظر القصة كاملة : الألباني ، مختصر صحيح البخاري ، ٢٩/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٦١/٣ ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠١٠) ، ٢٣٠/٥ .

(٤) ابن القيم ، زاد المعاد ، ٧٤/٣ .

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن ، أمه زينب بنت مظعون الجمحي ، أسلم مع أبيه وهو صغير ، وكانت هجرته قبل هجرة أبيه ، عرض على النبي ﷺ يوم بدر فلم يجزه وأجازه يوم أحد ، من أهل الورع والعلم والتقوى ، شديد الاتباع لرسول الله ﷺ ، وقعد أيام فتنة علي رضي الله عنه ويقال إنه ندم آخر عمره عن قعوده عن علي ، مات سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل عبد الله بن الزبير . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٩٥٢/٣ .

- ﷺ - وبقيّة القوم في سفرهم زجر عمر بن الخطاب ولده عدة مرات ، فاحتاج ابن عمر إلى تطييب نفسه وتأليفها ، وهذا ما فعله رسول الله - ﷺ - . فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنا مع النبي - ﷺ - في سفر ، فكنت على بكر صعب لعمر ، فكان يغلبني فيتقدم أمام القوم ، فيزجره عمر ويرده ، ثم يتقدم ، فيزجره عمر ويرده ، (وفي رواية : فكان يتقدم النبي - ﷺ - ، فيقول أبوه : يا عبد الله لا يتقدم النبي - ﷺ - أحد) (١) . فقال النبي - ﷺ - لعمر : « بعنيه » . قال : هو لك يارسول الله ، قال رسول الله - ﷺ - : « بعنيه » . فباعه من رسول الله - ﷺ - ، فقال النبي - ﷺ - : « هو لك يا عبد الله بن عمر ، تصنع به ما شئت » (٢) .

لم يكن العطاء مقتصرأ على فئة معينة من الصحابة بل كان يعطي عامتهم ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى النبي - ﷺ - بحلة استبرق ، فقال : يارسول الله لو اشتريت هذه الحلة تلبسها إذا قدم عليك وفود الناس ، فقال : « إنما يلبس هذا من لا خلاق له » ثم أتى النبي - ﷺ - بحلل ثلاث فبعث إلى عمر بحلة ، وإلى علي بحلة ، وإلى أسامة بن زيد (٣) بحلة ، فأتى عمر - رضي الله عنه - بحلته النبي - ﷺ - فقال : يارسول الله بعثت إليّ بهذه وقد سمعتك قلت فيها ما قلت ، قال : « إنما بعثت بها إليك لتبيعها ، أو تشققها لأهلك خمرأ » (٤) (٥) .

لقد كان عطاؤه - ﷺ - لأصحابه كثيراً ولم يكن العطاء مقتصرأ على نوع واحد من الأموال ، فكما كان يعطي الأنعام فإنه - ﷺ - يعطي النقود ، وغيرها من أنواع المال .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : من أهدى له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق ، حديث رقم (٢٦١٠) ، ٥٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، كتاب : البيوع ، باب : إذا اشترى شيئاً فوهب من ساعته ... ، حديث رقم (٢١١٥) ، ٤٣٩ .

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي ، يقال له الحِبُّ بن الحِبِّ ، سكن بعد وفاة النبي ﷺ وادي القرى ثم عاد إلى المدينة ، ومات بالجرف في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٧٧/١ .

(٤) الخمر : السُّرُّ والكُتْم . انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٢٥٥/١ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٩/٢ - ٤٠ ، وإسناده صحيح ، انظر : أحمد شاكر ، شرح المسند ، رقم الحديث (٤٩٧٨) ، ٨٠/٧ .

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله - ﷺ - قال لي : « لو قد جاءنا مال البحرين ، قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » . فلما قبض رسول الله - ﷺ - وجاء مال البحرين ، قال أبو بكر : من كانت له عند رسول الله - ﷺ - عدة فليأتمني ، فأتيته ، فقلت : إن رسول الله - ﷺ - قد كان قال لي : « لو جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » . فقال لي : احثه ، فحثوت حثية ، فقال لي : عدها ، فعددتها فإذا هي خمسمائة ، فأعطاني ألفاً وخمسمائة (١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : أتني النبي - ﷺ - بمال من البحرين ، فقال : « انثروه في المسجد » ، فكان أكثر مالٍ أتني به رسول الله - ﷺ - فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاءه العباس (٢) ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ، إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، قال : « خذ » . فحثا ثوبه ، ثم ذهب يُقلِّه (٣) ، فلم يستطع ، فقال أوامر بعضهم يرفعه عليّ ، قال : لا . قال : فإرفعه أنت عليّ ، قال : « لا » . فنثر ثم احتمله على كاهله ، ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا ، عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله - ﷺ - وثم منها درهم (٤) .

وقد كان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب الصغار رحمة بهم ، وإيناساً لأهلهم ، فلما كانت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنهما - ، قدمت مع أبيها من

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : الجزية والموادعة ، باب : ما أقطع النبي - ﷺ - من البحرين ... ، حديث رقم (٣١٦٤) ، ٦٦٨ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله - ﷺ - شيئاً قط ... ، حديث رقم (٢٣١٤) ٨٠ / ١٥ ، واللفظ للإمام البخاري .

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله ﷺ ، أبو الفضل ، وهو أسنُّ من رسول الله ﷺ بسنتين ، كانت إليه في الجاهلية عمارة المسجد والسقاية ، وكان ممن خرج مع المشركين ليدر فأسر هو وابنه عقيل فحلُّ وثاقه ، أسلم قبل فتح خيبر ولكنه كتم إسلامه إلى فتح مكة وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وتوفى بالمدينة ٣٢ هـ . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٨١٠ / ٢ .

(٣) ذهب يقله : من الإقلال وهو الرفع والحمل ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٥١٧ / ١ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : القسمة وتعليق القنو في المسجد ، حديث رقم (٤٢١) ، ١٠٤ .

الحبشة ، وكانوا جميعاً قد خرجوا فراراً بدينهم ، فتألف رسول الله - ﷺ - أم خالد وأعطاه خميصة وألبسها إياها بيده ، فعن أم خالد بنت خالد أنه : أتى النبي - ﷺ - بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « من ترون أن نكسوا هذه » فسكت القوم ، قال : « ائتوني بأم خالد »^(١) فأتي بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : « أجلي وأخلقي » ، وكان فيها علم أخضر أو أصفر ، فقال : « يا أم خالد ، هذا سناءه » وسناه بالحبشية حسن^(٢) .

بل حتى الموالي والغلمان كان لهم نصيب من تأليفه للقلوب ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : دعا النبي - ﷺ - غلاماً^(٣) حجاماً فحجمه ، وأمر له بصاع أو صاعين ، أو مد أو مدين ، وكلم فيه ، فخفف من ضربته^(٤) .

لقد وسع رسول الله - ﷺ - الناس بتأليفه قلوبهم مادياً ومعنوياً فلنا به أعظم الأسوة والقدوة .

الفرع الثاني : استخدام الصحابة - رضي الله عنهم - التأليف لزيادة الإيمان :

لقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على منهج رسول الله - ﷺ - في الدعوة إلى الله ، وكان من ضمن الأساليب الدعوية التي حرصوا على نهجها أسلوب التأليف المادي للقلوب .

روى البخاري بسنده أن مالك بن أوس قال : بينا أنا جالس في أهلي حين متع

(١) أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية اسمها أمة ، ولدت بالحبشة هي وأخوها سعيد بن خالد ، وقد تزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنهما . انظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٧٩٠/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : الخميصة السوداء ، حديث رقم (٥٨٢٣) ، ١٢٦٠ .

(٣) يقال له : نافع أبو طيبة ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٥٩/٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الإجارة ، باب : من كلم موالى العبد أن يخففوا من خراجهم ، حديث رقم (٢٢٨١) ، ٤٧٠ .

النهار ، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر ، فإذا هو جالس على رمال سرير^(١) ، ليس بينه وبينه فراش ، متكئ علي وسادة من آدم ، فسلمت عليه ، ثم جلست ، فقال : يا مال^(٢) ، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات ، وقد أمرت فيهم برضخ^(٣) ، فاقبضه فاقسمه بينهم ، فقلت يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري ، قال : اقبضه أيها المرء ...» الحديث^(٤).

ولم يكن عطاء الفاروق لزيادة الإيمان محصوراً فيما لو سئل ، ولكنه كان يبتدئ ذلك لا سيما من يكونون في أعمال يعود نفعها على المسلمين .

فعن عبد الله بن السعدي^(٥) - رضي الله عنه - أنه قدم على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً ، فإذا أعطيت العمالة كرهتها ، قال : فقلت : بلى ، فقال عمر : فما تريد إلى ذلك ، قال : قلت : إن لي أفراساً وأعبداً وأنا بخير وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين . فقال عمر : فلا تفعل فإنني قد كنت أردت الذي أردت فكان النبي - ﷺ - يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه أفقر إليه مني ، حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه مني ، قال ، فقال له النبي - ﷺ - : خذه فتموِّله وتصدق به ، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذ ، وما لا فلا تتبعه نفسك^(٦).

(١) يقال : رمَلَ السرير : أي زينته بالجواهر ونحوه . انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٣٧٣/١ .

(٢) (يا مال) هذا اللفظ من باب الترخيم في النداء أي : يا مالك ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٢٠٥/٦ .

(٣) الرُّضخ : هو العطاء القليل . انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٣٥٠/١ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : فرض الخمس ، حديث (٣٠٩٤) ، ٦٥٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : حكم الفئ ، حديث رقم (١٧٥٧) ، ٣١٥/١٢ .

(٥) عبد الله بن السعدي ، واسم السعدي وقدان ، وفد على رسول الله ﷺ مع قومه فخلفوه على متاعهم ، فجاء بعدهم ففضى النبي ﷺ له حاجته ، قيل إنه سكن المدينة أولاً ثم الأردن ، وتوفي سنة سبع وخمسين . انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ٩٨/٤ .

(٦) سبق تخريجه ، ص ١٤٤ . والقصة بكاملها عند الإمام أحمد ، المسند ، ١٧/١ .

المبحث الثالث

تأليف المدعى لحماية من الردة

المطلب الأول

مفهوم مقصد الحماية من الردة وأهميته

المطلب الثاني

استخدام الرسول ﷺ التأليف لحماية المدعى من الردة

المبحث الثالث

تأليف المدعو لحمايته من الردة

لما كان الدخول في الإسلام هو الهدف الأساس للدعوة إلى الله - تعالى - فإن حماية المدعو عن الارتداد عن الإسلام من أهم الأهداف للدعوة الإسلامية كذلك .
وقد أشار الفقهاء والعلماء^(١) إلى الحماية من الردة على أنها من مقاصد تأليف القلوب في الإسلام .

وسأتناول دراسة هذا المبحث في المطالبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم مقصد الحماية من الردة ، وأهميته .

المطلب الثاني : استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لحماية المدعو من الردة .

(١) انظر : الإمام النووي ، شرح مسلم ، ١٥٥/٧ . ابن قدامة ، المغني ، ٦٩٢/٢ . الكاساني ، بدائع الصنائع ، ٦٦/٢ ، النووي ، المجموع ، ١٩٧/٦ . ابن القيم ، زاد المعاد ، ٤٨٤/٣-٤٨٦ . د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٩٤/٢ . الشيخ عبد الله البسام ، توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، ١٠٨/٣ ، ط : الثانية ١٤١٤ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

المطلب الأول

مفهوم مقصد الحماية من الردة وأهميته

الفرع الأول : مفهوم الحماية من الردة

«الردّ : صرف الشيء ورجعه . وارتد عنه : تحول . وفي التنزيل «ومن يرتدد منكم عن دينه»^(١) .

والاسم : الردة ، ومنه الردة عن الإسلام ، أي الرجوع عنه»^(٢) .

إذاً فـ (الردّة) مصدر . والاسم منه (مرتد).

وأصل هذا اللفظ كما يقول ابن فارس : «الراء والذال ... ، هو رجّع الشيء ، تقول : رددت الشيء أردّه ردّاً . وسمي المرتدّ لأنه ردّ نفسه إلى كفره»^(٣) .

قال الراغب الأصفهاني : «والارتداد والردّة : الرجوع في الطريق الذي جاء منه . لكنّ الردّة تختص بالكفر ، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره»^(٤) .

إذاً فالخلاصة : أن (الردّة) مصدر ، وهي لغة : الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر . والاسم من المصدر (المرتد) وهو لغة : الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر^(٥) .

أما في الاصطلاح فقد تواطأ المعنى الشرعي مع المعنى اللغوي في مفهوم (المرتد) ، ومعناه شرعاً : «الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر»^(٦) .

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٧٣، ١٧٢/٣ .

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٣٨٦/٢ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات ، ١٩٢-١٩٣ .

(٥) انظر : د. بكر أبو زيد ، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ، ٤٣٢ ، ط : الثانية ١٤١٥ هـ ، دار العاصمة ، الرياض .

(٦) انظر : ابن قدامة ، المغني ، ٧٤/١٠ .

وأما الردة فهي : «الإتيان بما يخرج به عن الإسلام ، إما نطقاً ، أو اعتقاداً ، أو شكاً ينقل عن الإسلام» (١).

وبعد أن ساق الشيخ بكر أبو زيد تعاريف المذاهب الأربعة في معنى (الردّة) قال : «هي الإتيان بما يوجب الرجوع عن دين الإسلام من قول أو فعل أو اعتقاد أو شك» (٢).

قال تعالى : «إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم» (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال - ﷺ - : «من بدل دينه فاقتلوه» (٤).

نقل ابن حجر عن القاضي عياض وغيره ما يلي : «كان أهل الردة ثلاثة أصناف : صنف عادوا إلى عبادة الأوثان ، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي ، وكان كل منهما ادعى النبوة قبل موت النبي - ﷺ - فصدق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم ، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم ، فقتل الأسود قبل موت النبي - ﷺ - بقليل ، وبقي بعض من آمن به فقاتلهم عمال النبي - ﷺ - في خلافة أبي بكر ، وأما مسيلمة فجهز إليه أبو بكر الجيش وعليهم خالد بن الوليد فقتلوه ، وصنف ثالث استمروا على الإسلام لكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي - ﷺ - ، وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم» (٥).

فأصناف المرتدين بعد وفاة رسول الله - ﷺ - ثلاثة ، هم :

(١) الموفق ابن قدامة ، المغني ، ٢٠/١ .

(٢) د. بكر أبو زيد ، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ، ٤٣٤ .

(٣) سورة محمد : ٢٥ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب : حكم المرتد والمرتدة ، حديث رقم (٦٩٢٢) ، ١٤٦٠ .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ٢٧٦/١٢ .

١ - الذين رجعوا عن الإسلام إلى الكفر بالله - سبحانه وتعالى - .

٢ - الذين رجعوا عن الإسلام إلى اتباع مدعي النبوة .

٣ - الذين رجعوا عن أداء ما عُلِمَ من الدين بالضرورة كالزكاة والصلاة^(١) .

روى البخاري أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال : لما توفى النبي - ﷺ - واستخلف أبو بكر - رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب قال عمر : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله - ﷺ - : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله . قال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق^(٢) .

ونظراً لما يحيط بالمسلمين من أحوال الضعف والحروب والفقير والفرقة وتسلط الأعداء ، فإن صوراً كثيرة من أنواع الردة عن دين الله قد حصلت ، لا سيما في المناطق الفقيرة التي تشهد جهوداً تنصيرية مكثفة^(٣) .

الفروع الثاني : أهمية التأليف للحماية من الردة :

تتبع أهمية تأليف القلوب مادياً لتحقيق مقصد الحماية من الردة من خلال عدة

نقاط ، هي :

(١) انظر : سعيد بن علي القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ٢٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين ، باب : من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ، حديث (٦٩٢٤-٦٩٢٥) ، ١٤٦٦ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس ... ، حديث (٢٠) ، ٣١٤/١ .

(٣) انظر : نشرة الدراسات المختصة بأخبار التنصير في العالم : ٩٦/١ ، الصادرة عن لجنة مسلمي أفريقية بالكويت ، وكذلك نشرة الكوثر ، العدد ١٨ ، ص ١٣ بدون تاريخ ، عن نفس اللجنة .

١ - لقد جعل رسول الله - ﷺ - الحماية من الردة أحد المقاصد الدعوية من تأليفه للقلوب وذكر ذلك صراحة وبينه ، فعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : أعطى رسول الله - ﷺ - رهطاً وأنا جالس فيهم ، فترك رسول الله - ﷺ - منهم رجلاً لم يعطه ، وهو أعجبهم إليّ ، فقلت إلى رسول الله - ﷺ - فساررتي ، فقلت : مالك عن فلان ؟ والله إنني لأراه مؤمناً ! قال : «أو مسلماً» ؟ قال : فسكت قليلاً ، ثم غلبنى ما أعلم فيه ، فقلت : يارسول الله ، مالك عن فلان ؟ فوالله إنني لأراه مؤمناً ! قال : «أو مسلماً» ؟ قال : فسكت قليلاً ، ثم غلبنى ما أعلم فيه ، فقلت : يارسول الله ، مالك عن فلان ؟ والله إنني لأراه مؤمناً ! قال : «أو مسلماً» ؟ فقال : «إني لأعطي الرجل ، وغيره أحب إليّ منه ، خشية أن يكب في النار على وجهه»^(١) ، وهذا هو الشاهد ، أي يخاف أن يرتد فيكون سبباً لدخوله النار .

ذلك أن رسول الله - ﷺ - يعلم أهمية التأليف المادي ، وأنه إن لم يستغل في المقاصد الشرعية ، فقد يحصل العكس ، فتكون الدنيا سبباً في ارتدادهم عن دين الله . ولما عتب أناس عليه لما تركهم خطب خطبة بين فيها أنه يعطي المال لخوفه على أناس من الردة ، عن عمرو بن تغلب أن رسول الله - ﷺ - أتى بمال ، أو سبي ، فقسمه . فأعطى رجلاً وترك رجلاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله ثم أثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد ، فوالله إنني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن تغلب» . قال عمرو : فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله - ﷺ - حمر النعم^(٢) .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : قول الله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً » وكم الغنى ، حديث رقم (١٤٧٨) ، ٣١٣ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ، حديث (١٥٠) ، ٥٣٩/٢ ، واللفظ للبخاري .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٣٦ ، وهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب : الجمعة ، باب : من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد ، حديث رقم (٩٢٣) ، ١٩٩ .

وأخبر - ﷺ - عندما عتب عليه بعض الأنصار بعد قسمة حنين - أن سبب عطائه لقريش والطلاق ، وتركهم هم - حادثة عهد قريش بالكفر ، فهو يخاف عليهم من الردة عن دين الله - تعالى - .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - : « إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم » (١) . وعن أنس أيضاً أنه - ﷺ - قال : « فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم » (٢) .

٢ - قد تمر الدعوة الإسلامية ببعض الظروف الصعبة ، والأحوال السيئة ، فالحروب والشتات ، والفقر المدقع ، والجهل المطبق ، وتسلب الأعداء الشرس ، وسيادة السلطة للقوة في كثير من البلدان ، مما يجعل الممارسة الدعوية كتعليم الناس وتفقيهم في دين الله صعب المنال ، فلا يسمح إلا بدعوة مبتدعة مشوبة بأخلاق من التصوف والانحراف ، وقد لا يوجد من يتفرغ لتعليم الناس في تلك البلاد ، أو يكون هناك عامل اللغة وعدم القدرة على مخاطبة الناس ، وفي المقابل الدعوة إلى النصرانية قائمة على أشدها ، فماذا يكون العمل الدعوي والحالة هذه ؟

إن أمثال من يعيشون في مثل هذه المجتمعات بتلك الظروف ، ليس بينهم وبين الارتداد شيء . ومن هنا تنبع أهمية بل ضرورة التأليف بشيء من المال ، تقديراً لما هم فيه من الحال وإبقاءً على الإسلام في نفوسهم ، حتى يتسنى للدعوة ظرف آخر (٣) .

٣ - في بعض المجتمعات الكافرة عندما يدخل أحد في الإسلام حديثاً ، فإنهم لا يألون جهداً في محاولة الصد عن الإسلام . فتارة يرغبونه بالمال ، وتارة بالتهديد ، ولعل

(١) أخرجه البخاري، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٣٤) ، ٩٠١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢١ .

(٣) د/ الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٦٠ .

من أبرز ما يؤذى به الداخل في الإسلام حديثاً في مثل تلك المجتمعات في القديم والحديث - أن يصادر ماله ، وكل ما يملكه ، وربما أوزي في أهله فأخذت منه زوجته وأخذ أولاده ، ويضيق عليه تضييقاً قل من يصبر عليه إلا بتوفيق الله .

روى ابن هشام أن صهيب بن سنان لما أراد الهجرة ، قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً^(١) حقيراً فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك !! فقال لهم : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني جعلت لكم مالي . قال : فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب !!^(٢) .

قال القرضاوي مؤكداً هذه القضية : « وذلك أن الداخل حديثاً في الإسلام ، قد هجر دينه القديم ، وضحى بماله عند أبويه وأسرته ، وكثيراً ما يحارب من عشيرته ، ويهدد في رزقه ، ولا شك أن هذا الذي باع نفسه وترك دنياه لله - تعالى - جدير بالتشجيع والتثبيت والمعونة»^(٣) .

(١) الصعلوك : الفقير الذي لا مال له . ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٥٥/١٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٩٢/٢ .

(٣) د . القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٥٩٦/٢ .

المطلب الثاني

استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لحماية المدعو من الردة

كما أوضح - ﷺ - أهمية استخدام المال في تثبيت الناس على دين الله ، وحمايتهم من الردة عنه ، فقد كان - ﷺ - أسرع الناس إلى تطبيق ما أمرهم به وأوضح أهميته لهم . وقد جاءت شواهد استتلافه للقلوب على ضربين : فمنها ما تألف به القلوب جماعياً ، ومنها ما تألف به قلوب الأفراد لحمايتهم من الردة ، ولذلك فستكون الدراسة في هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول : استخدامه - ﷺ - التأليف جماعياً لحمايتهم من الردة .

الفرع الثاني : استخدامه - ﷺ - التأليف لحماية الأفراد من الردة .

الفرع الأول : استخدامه التأليف بشكل جماعي للحماية من الردة :

لقد كان التأليف للقلوب سمة بارزة من سمات المنهج النبوي في الدعوة إلى الله ، فكان يتألف قلوب الرجال والأقوام بمناسبة ، ودون مناسبة - لا سيما إذا سئل على شيء من ذلك - .

وقد تقدم قريباً عطاؤه - جماعياً - لأناس سألوه ، وما حصل من سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - في مراجعته بشأن رجل من القوم ، حتى قال - ﷺ - : « إنني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يكب في النار على وجهه »^(١) .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في حديث عمرو بن تغلب المتقدم قريباً ، عندما أعطى رسول

(١) سبق تخريجه ، ص ١٣٦ ، ١٥٥ .

الله - ﷺ - رجلاً وترك آخرين ، فعتب عليه الذين تركهم ، فقام فيهم خطيباً أوضح فيه مقصده من تأليفه لبعض الناس وتركه لبعضهم ، وأنه إنما خاف عليهم من الردة (١) .

وقد كان التأليف في الشاهدين السابقين بصفة عامة ، وأما استغلاله - ﷺ - الفرص واغتنامه بعض الأحوال الخاصة لاستئلاف القلوب خوفاً عليها من الردة ، فالشواهد في ذلك كثيرة . فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذرايرهم ونعمهم ومع النبي - ﷺ - يومئذ عشرة آلاف ومعه الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ نداءً لم يخلط بينهما شيئاً قال : فالتفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار ، فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . قال : ثم التفت عن يساره ، فقال : «يامعشر الأنصار» ، قالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، قال : وهو على بغلة بيضاء فنزل ، فقال : أنا عبد الله ورسوله ، فانهزم المشركون ، وأصاب رسول الله - ﷺ - غنائم كثيرة ، فقسم في المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت الشدة فنحن ندعى وتعطى الغنائم غيرنا ، فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبة ، فقال : «يا معشر الأنصار ما حديث بلغني عنكم ، فسكتوا ، فقال : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، رضينا ، قال : فقال : «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار» (٢) .

لقد كان مع رسول الله - ﷺ - جمع من قريش أسلموا بعد الفتح وهم من يسمون بالطلقاء وكان عددهم قريب الألفي رجل ، ولم يكن قد حسن إسلامهم بعد ، بدليل أنهم وهم في الطريق إلى أرض الغزوة مروا بأناس يعكفون ويتعبدون عند شجرة ، يقال لها :

(١) سبق تخريجه ، ص ١٣٦ ، ١٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٣٧) ، ٩٠١ . وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصير من قوى ... حديث رقم (١٠٥٩) ، ١٥٧/٧ .

«ذات أنواط» ، فقالوا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ^(١) . فأثار الشرك لم تزل عالقة في النفوس .

وأيضاً عندما أعجب المسلمون بعددهم في غزوة حنين . قال تعالى : «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً» ^(٢) . فلما كانت الدائرة بداية الغزوة على المسلمين ، كان أول الفارين هؤلاء الطلقاء لأنه لم يتمكن الإيمان في قلوبهم ، وبدؤوا يقولون: ألا بطل السحر اليوم ، وبعضهم يقول : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ^(٣) ، وهكذا فقد كانوا حدثاء عهد بجاهلية وكفر ، وآثار هزيمتهم من رسول الله - ﷺ - في فتح مكة لم تنته بعد؛ فانتهز رسول الله - ﷺ - هذه الفرصة لاستئلاف قلوبهم بعد حنين بشكل جماعي .

ولم يكن استئلافه للقلوب في هذه الغزوة مخصوصاً بقوم دون آخرين ، فما كاد - ﷺ - ينتهي من استئلاف قلوب قريش والطلقاء والأعراب - حتى جاءه وفد هوازن بإسلامهم ، فتألف قلوبهم بإرجاع السبي إليهم ، لأنهم حدثاء عهد بكفر ومصيبة عظيمة ، فلم يكن - ﷺ - ليجمع عليهم مصيبة الهزيمة والسبي والغنائم ، فطيب نفوسهم وتألفها بإرجاع السبي لهم ، واستئذان الصحابة في ذلك .

عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، أن رسول الله - ﷺ - قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسأله أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله - ﷺ - : «معي من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقته ، فاختروا إحدى الطائفتين : إما السبي ، وإما المال ، وقد كنت استأنيت بكم» . وكان أنظرهم رسول الله - ﷺ - بضع عشرة ليلة

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب : الفتن عن رسول الله - ﷺ - ، باب : ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم ... ، حديث رقم (٢٢٠٨) ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ٤/٤٧٥ ، ط : الثانية ١٤١٣ هـ ، دار سخنون ، ودار الدعوة . وانظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤/٦٦ .

(٢) سورة التوبة : ٢٥ . وانظر البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : قول الله تعالى : «ويوم حنين...» ، ٨٩٦ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤/٦٧ ، وانظر : د. مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٥٨٥ .

حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله - ﷺ - غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : فإننا نختار سبينا ، فقام رسول الله - ﷺ - في المسلمين ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : «أما بعد ، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيئ الله علينا فليفعل» ، فقال الناس : قد طيبنا ذلك يارسول الله ، فقال رسول الله - ﷺ - : «إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» ، فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا (١) .

وإن من أبرز الشواهد التي تؤكد استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لقصد الحماية من الردة للداخل حديثاً في الإسلام - منهجه - ﷺ - في إجازة الوفود (٢) ، ووصيته بذلك .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله - ﷺ - وجعه يوم الخميس ، فقال : «انتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : هجر رسول الله - ﷺ - قال : «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» . وأوصى عند موته بثلاث : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» قال ابن عباس : ونسيت الثالثة (٣) .

ولقد ترجم رسول الله - ﷺ - وصيته في حياته واقعاً عملياً ، فإنه - ﷺ - لما قدم

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : قول الله تعالى : «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم» حديث رقم (٤٣١٨، ٤٣١٩) ، ٨٩٧ .

(٢) الوفد والوفود : هم القادمون ركبناً أو من أرسلوا لأداء مهمة معينة من قبل آخرين ، نيابة عنهم ، انظر: علي رضوان الأسطل ، الوفود في العهد المكي ، ٢١-٢٣ ، ط : الأولى ١٤٠٤هـ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٤٦ .

عليه وفد بني تميم أجازهم وأحسن جوائزهم^(١)، وتألف الجارود في وفد عبد القيس^(٢)، وما كان منه - ﷺ - من عطائه لزيد الخير^(٣) وهو وافد طيء^(٤)، وحمى لوفد الأزدي حمياً كثيراً^(٥)، وما كان منه - ﷺ - مع وفد وائل بن حجر^(٦)، وكذلك وفد الدارين^(٧) ووفد تغلب^(٨)، وكذلك وفد مزينة^(٩).

وهكذا كان - ﷺ - يتألف قلوب الجماعات من الناس والقبائل - لا سيما من يدخل منهم حديثاً في الإسلام - خشية أن يرتدوا على أدبارهم ويبتعدوا عن دين الله تبارك وتعالى .

الفرع الثاني : استخدامه - ﷺ - التأليف لحماية الأفراد من الردة :

كما كان - ﷺ - حريصاً على تأليف قلوب الجماعات من الناس ؛ فقد كان حريصاً على الأفراد كذلك .

-
- (١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٦٢/٤ . وانظر : محمد أبو شهبة ، السيرة النبوية ، ٥٤٤/٢ ، ط: الثانية ١٤١٢ هـ ، دار القلم ، دمشق .
- (٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٦٩/٤ .
- (٣) زيد بن مهلهل بن منهب بن زيد بن عبد رضا بن المختلس ، الطائي ، النبهاني ، يعرف بزيد الخيل ، من المؤلفات قلوبهم ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت وفاته سنة تسع ، سماه الرسول ﷺ زيد الخير ، وأقطعهم أرضين ، وابناه ممن شهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد ، كان شاعراً ، شجاعاً ، كريماً ، أخذته الحمى وهو في طريقه إلى قومه فلما وصلهم مات . انظر: ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣٠١/٢ .
- (٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧١/٤ ، وانظر : محمد أبو شهبة ، السيرة النبوية ، ٥٥٠/٢ .
- (٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧٩/٤ .
- (٦) محمد أبو شهبة ، السيرة النبوية ، ٥٥٢/٢ .
- (٧) المرجع السابق ، ٥٥٤/٢ .
- (٨) المرجع السابق ، ٥٥٤/٢ .
- (٩) محمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦٤٠ .

لم يقتصر - ﷺ - بالعطاء بعد حنين على الطلقاء من قريش فقد عم بالعطاء لبعض رؤساء القبائل كعيينة بن حصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس لخوفه - ﷺ - عليهم من الردة ، فقد أسلموا حديثاً وربما قصد من عطائهم مقاصد أخرى .

عن رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال : أعطى رسول الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال : فاتم له رسول الله - ﷺ - مائة (١) .

إن عيينة والأقرع وعباساً لم يتمكن الإسلام في قلوبهم جيداً ، بدليل تسمية العباس العطاء لهم من الغنيمة نهياً (٢) ، ولم يُسمَّ ذلك بالاسم الشرعي ، وهو «القَسَم» لأن النُّهْب هو : أخذ الشيء قهراً (٣) .

ولما رد المسلمون جميعاً ما عندهم من السبي اقتداء برسول الله - ﷺ - ونزولاً عند رغبته في تأليف قلوب قبيلة هوازن ، أبى عيينة ، والأقرع أن يردا السبي ، إلا بمقابل (٤) .

ولقد امتدح عيينة ثقيفاً لامتناعهم من رسول الله - ﷺ - في الحصن فأنبه أحد

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٢ .

(٢) انظر : حمود بن جابر الحارثي ، دعوة النبي ﷺ للأعراب ... ، ٢٦٤ ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة .

(٣) انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٩٥٦/٢ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٠٤/٤ .

المسلمين على ذلك فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنني أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية اتطئها^(١) ، لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً قوم مناكير^(٢) (٣) .

ولم يكن استئلاف رؤساء القبائل وكبار القوم مقتصراً فقط على أموال الخمس بعد حنين ، بل كان إذا أتاه من عماله على الأمصار مالاً من زكاة وغيره يبعث إليهم كل في ناحيته .

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله - ﷺ - فقسمها رسول الله - ﷺ - بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي ، وعيينة بن بدر الفزاري^(٤) ، وعلقمة بن علاثة العامري^(٥) ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان ، فغضبت قريش فقالوا : أيعطي صناديد نجد ويدعنا . فقال رسول الله - ﷺ - : «إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم...»^(٦) .

وهكذا كان - ﷺ - يتألف قلوب أفراد الناس ، ويهتم بذلك كثيراً ، كما أوضح - ﷺ - لبعض من تكلم وعتب عليه من قريش .

(١) اتطئها : أي أجامعها ، انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ١٠٤١/٢ .

(٢) مناكير : أي ذوو دهاء وفطنة ، المرجع السابق ، ٩٥٢-٩٥١/٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٠١/٤ .

(٤) عيينة بن بدر ، ويقال له : ابن حصن ، ولكنه نسب إلى جد أبيه ، فهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، انظر : الندوي ، شرح مسلم ، ١٦٧/٧ .

(٥) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكندي العامري ، من المؤلفات قلوبهم كان سيداً في قومه ، حليماً عاقلاً . ارتد علقمة بعد عودة النبي ﷺ من الطائف ، فذهب إلى الشام ، فلما توفي رسول الله ﷺ أقبل وعسكر في بني كلاب بن ربيعة ، فأرسل إليه الصديق رضي الله عنه سرية فانهزم ، وأسر أهله ، فأطلقهم أبو بكر ، فأقبل وأسلم وحسن إسلامه استعمله عمر على حوران فمات فيها . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٨٦/٤ .

(٦) أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث (١٠٦٤) ، ١٦٦/٧ .

المبحث الرابع

تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع
بقائه على الكفر

المطلب الأول

مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة ، وأهميته

المطلب الثاني

استخدام الرسول ﷺ وأصحابه التأليف لجلب

المصالح

المبحث الرابع

تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقاءه على الكفر

نص بعض علماء الأمة وفقهائها^(١) على اعتبار «جلب المصلحة العامة» مقصداً من مقاصد التأليف المادي للقلوب ، ولذلك ستكون دراسة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة ، وأهميته .

المطلب الثاني : استخدام الرسول - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - التأليف لجلب المصالح .

(١) انظر : الشافعي ، الأم ، ٩٣،٨٧/٢ ، وكذلك : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٦/٨ ، وابن قدامة ، المغني ، ٦٩٣/٢-٦٩٤ . والنووي ، المجموع شرح المذهب ، ١٩٨/٦ . وابن القيم ، زاد المعاد ، ٥٠٧/٣ . وابن حجر ، فتح الباري ، ٢٥٢/٦ . والقرضاوي ، فقه الزكاة ، ٥٩٤/٢ .

المطلب الأول

مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة وأهميته

الفرع الأول : مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة :

المصلحة والصّلاح ضدّ المفسدة والفساد^(١).

وحيث إن دين الله - سبحانه وتعالى - مبني على جلب المصالح للعباد^(٢) - ولا يمكن أن يتصور في دين الله غير ذلك أبداً - فقد كان من مقاصد التأليف المادي للقلوب جلب المصالح العامة ، وعليه فمفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة : قيام الداعية باستمالة قلب المدعو مادياً ، قاصداً من وراء ذلك تحقيق مصلحة عامة للمسلمين .

أي أن العطاء يكون لشخص أو فئة معينة ، ولكن يراد من ذلك مصلحة تتعدى ذلك الشخص أو تلك الفئة فيكون نفع العطاء المادي للدعوة إلى الله - تعالى - بعامة ، كأن يؤلف قلب شخص كافر له مكانة وحظوة في قومه ، فيعطى من المال ، ويقصد من ذلك حماية المسلمين الذين عنده أو الدفاع عنهم ، أو تمكين الدعوة من نشر دعوتهم .

وينبه هنا إلى أنه لا ينظر لمدى انتفاع ذات الشخص أو الفئة المؤلفة من التأليف على أنه شرط للقيام بعملية التأليف ، وإنما النظر المعتبر إلى مدى تحقق المصلحة العامة الدينية أو الدنيوية .

وقد قصد رسول الله - ﷺ - من استئلافه القلوب بعد حنين بعطائه المال الكثير لللقاء من قريش أهدافاً كثيرة من بينها أنه - ﷺ - راعى المصلحة العامة التي تعود على المسلمين بعطائه ، وأوضح ذلك لأصحابه عندما عتب عليه بعض الأنصار - رضي

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥١٦/٢-٥١٧ . وكذلك : الراغب ، المفردات ، ٢٨٤ .

(٢) انظر : الشيخ عبد الرحمن السعدي ، رسالة في القواعد الفقهية ، ١٤ ، ط : الأولى ١٤١٣ هـ ، دار الوطن ، الرياض .

الله عنهم - فقال : « إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»^(١).

فالمصلحة التي تعود على المسلمين بدخول قريش في دين الله تعالى بعد تألفهم عظيمة ، حيث القوة والمنعة ، ومتابعة الناس عامة لقريش في إيمانها ، واستقرار الإسلام في مكة المكرمة .

الفرع الثاني : أهمية التأليف لجلب مصلحة عامة مع بقائه على الكفر:

حيث إن تأليف القلوب مادياً من أبرز أساليب الدعوة إلى الله - تعالى - ويتحقق من خلاله كثير من المصالح العامة - فيمكن للباحث أن يسجل في أهميته ما يلي :

١ - قال الدكتور الأشقر : « الإنفاق على من يستطيع أن يؤدي مهمات قيمة للإسلام وأهله .

وقد نص الفقهاء على جواز الإعطاء من سهم المؤلف قلوبهم للذين يستطيعون حماية الدولة الإسلامية من الأهم من أهل الكفر ، ومثلهم الذين يستطيعون جمع الزكاة من الأهم من المسلمين الذين يمنعونها .

والدفع إلى هذا الفريق في هذه الصورة لضعف إيمان المسلمين الذين ندفع إليهم ، بحيث إذا لم يعطوا لا يقومون بهذه المهمات»^(٢).

٢ - يوجد في هذا العصر في بعض البلاد التي تحتاج إلى عون ومساعدة - أناس من رؤساء القبائل يمنعون الأعمال الدعوية والإغاثية ، فإذا أعطوا المال صاروا أعواناً

(١) سبق تخريجه ، ص ١٥٨ .

(٢) د. عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٦٢-٦٣ .

وأنصاراً لهؤلاء الدعاة والعاملين^(١).

٣ - يصرف المنصرون بالمسيحية في البلاد المتضررة أموالاً عظيمة لصد الناس عن الإسلام إلى المسيحية ، ويتخذون لذلك أنواعاً من الوسائل والأساليب ، وفي المقابل لا يوجد من الأعمال الإسلامية والدعوية ما يستطيع أن يواجه جهود هؤلاء المبشرين ، فالدعوة بحاجة إلى استجلاب المصالح في مثل هذه البلاد من بعض الأشخاص الذين يكون لهم أثر فيها ، ومن هذه المصالح الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وإزالة الشكوك والشبه المثارة حول هذا الدين ، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا عن طريق التأليف المادي^(٢).

(١) نتيجة توصلت إليها من خلال مقابلاتي لأفراد هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في الصومال .

(٢) انظر : د. حسين محمد آل الشيخ ، مصرف المؤلفات قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة ، ٨٧-١٠٧ .

المطلب الثاني

استخدام الرسول ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم -

التأليف لجلب المصالح العامة مع بقاء الهدعو على الكفر

لقد كان رسول الله - ﷺ - وصحابته - رضي الله عنهم - يعطون العطاء المادي للأفراد والجماعات ليتحقق من وراء ذلك مصلحة عامة للدعوة الإسلامية .

وسيتم دراسة هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول : تأليف الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - قلوب الجماعات لجلب مصلحة عامة .

الفرع الثاني : تأليف الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - قلوب الأفراد لجلب مصلحة عامة .

الفرع الأول : تأليف الرسول - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - القلوب

لجلب مصلحة عامة بشكل جماعي :

لقد كان النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - يتألفون قلوب الجماعات من الناس ، وذلك لتحقيق مصالح عامة تعود للدعوة الإسلامية ، ومن ذلك عطاؤه - ﷺ - للطلقاء من قريش الذين كانوا معه بعد حين^(١) ، فقد كان إسلامهم حديثاً وعددهم كبير جداً ، وثبات مثل هذا العدد الكبير ، فيه قوة للمسلمين ، وإعزاز لدين الله وفيه استقرار للإسلام في مكة بعد رجوع رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام إلى المدينة ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله - ﷺ - ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي - ﷺ - يعطي رجالاً المئة من الإبل ، فقالوا : يغفر

(١) انظر : الإمام النووي ، شرح مسلم ، ٧ / ١٥٨ - ١٥٩ .

الله لرسول الله - ﷺ - يعطي قريشاً ويتركنا ...» (١).

وقد أوضح الرسول - ﷺ - تقديره للمصلحة العامة بعطائهم وترك غيرهم من الأنصار ، فقال - ﷺ - : «إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم» (٢).

فإذا كان تأليف بعض المسلمين قد أظهر المصلحة العامة لهم ، فإن تأليف بعض قلوب الكفار يظهر هذه المصلحة بصورة أوضح ، ولذلك لما كان الناس بعد فتح خيبر مشغولين مع رسول الله - ﷺ - في الدعوة والفتوح وتثبيت أركان الدولة الإسلامية ، ولم يكن عامة الصحابة مع رسول الله - ﷺ - أهل زراعة ، فاستألف رسول الله - ﷺ - اليهود بتحقيق طلبهم فأبقاهم على الأرض يزرعونها ولهم نصف الثمر إلى أن يشاء المسلمون ، فالمصلحة العامة هنا متحققة ، إذ لو قسمت الأرض لانشغل الناس فيها عن بعض أمور الدعوة .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وكان رسول الله - ﷺ - لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها ، وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين ، فسأل اليهود رسول الله - ﷺ - أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر ، فقال رسول الله - ﷺ - «نتركهم على ذلك ما شئنا» فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحا (٣).

ومن المصالح العامة أنه يحصل بتركهم في الأرض أن يلتقوا بالمسلمين وينظروا إلى

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢١، ١٥٩.

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه .. حديث (٣١٥٢) ، ٦٦٥ .

عبادتهم وفي هذا دعوة لهم ، فلو أسلم منهم أناس ، لكان أعظم أثراً ، أما لو أجلوا لم يحصل الالتقاء ولا بث الدعوة ونشرها فيما بينهم .

ومن المصالح العامة أن يتشجع الناس على الجهاد في سبيل الله ، وهذا ما فعله عمر - رضي الله عنه - حين نفل قبيلة بجيلة ربع أرض السواد ، لأنهم كانوا يوم القادسية يمثلون ربع الجيش فكانوا هم جمهرة الفاتحين ، ولما أراد عمر أن يردها منهم بعد ثلاث أو أربع سنين استرضى عنهم جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -^(١).

والمصلحة العامة في مثل فعل عمر هذا أن الناس يتشجعون على الجهاد ، ومواصلة الفتوح .

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، ٦٣-٦٤ .

الفرع الثاني : تأليف الرسول - ﷺ - وأصحابه الأفراد لجلب مصلحة عامة :

لم تقتصر مراعاة المصالح العامة على التأليف بشكل جماعي ، حيث كان - ﷺ - يحرص على تأليف قلوب الأفراد .

كان رسول الله - ﷺ - يعطي رؤساء القبائل الأموال ، لما في ذلك من المصالح العامة ، فإنه بعبائه لهم قد يسلم نظراؤهم ، ويتبعهم على ثباتهم في دين الله أقوامهم ، كما أنهم إذا احتاج إليهم المسلمون في جباية الزكاة أو الدفاع عنهم من جهتهم يكونون عند حاجة المسلمين لذلك .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : «بعث علي - رضي الله عنه - إلى النبي - ﷺ - بذهبية فقسما بين الأربعة : الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي ، وعيينة بن بدر الفزاري ، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان ، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب . فغضبت قريش والأنصار ، قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا ، قال : «إنما أتألفهم»^(١) .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٦٤ .

المبحث الخامس

تأليف المدعو لكف شره مع بقائه على الكفر

المطلب الأول

مفهوم التأليف لكف شر المدعو ، وأهميته

المطلب الثاني

استخدام الرسول ﷺ وأصحابه التأليف لكف شر

المدعو

المبحث الخامس

تأليف المدعو لكف شره مع بقاءه على الكفر

نص بعض العلماء والفقهاء^(١) على اعتبار «كفُّ شر المدعو» مقصداً من مقاصد التأليف المادي للقلوب ، ولذلك فستكون دراسة هذا المبحث من خلال المطالبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم التأليف لكفُّ شر المدعو ، وأهميته .

المطلب الثاني : استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لكف شر المدعو مع بقاءه على الكفر .

(١) انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦ / ١٠٠ / ١١٣ . وانظر : ابن قدامة ، المغني ، ٦٩٣ / ٢ ، وانظر : النووي : المجموع شرح المذهب ، ١٩٧ / ٦ ، وانظر : الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ٢٨ / ٢٩٠ . وانظر : الشوكاني ، نيل الأوطار ، ٤ / ١٦٦ ، وانظر : د. القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٥٩٤ / ٢ ، وانظر : د. آل الشيخ ، مصرف المؤلفة قلوبهم... ، ٢٩ .

المطلب الأول

مفهوم تأليف القلوب لكف شر المدعو ، وأهميته

الفرع الأول : مفهوم التأليف لكف شر المدعو :

الشر : ضد الخير وهو السوء ^(١).

والكف : المنع والرد ^(٢).

فإذا كان يتوقع من المدعو أن يصدر منه شر يقع ضرره على الداعية ، وكان عطاء المال له سبباً لمنع هذا الشر ، فإن للداعية أن يتألف قلبه بشيء من المال يأمن معه الشر .
ويتأكد التأليف المادي لدفع شر المدعو المتوقع منه ، إذا كان الشر قد يسبب ضرراً على الدعوة الإسلامية عامة .

الفرع الثاني : أهمية تأليف القلوب لكف الشر :

مما يبين أهمية التأليف المادي لكف شر المدعويين ما يلي :

١ - أشار القرآن الكريم إلى عظيم أثر التأليف في كف شر بعض المنافقين بحيث إذا أعطوا من الصدقة رضوا ، وسكتوا ، وإذا لم يعطوا منها حصل منهم شر وضرر كبير ، فيتسخطون ؛ إذ لم ينلهم شيء من الصدقة .

قال الله - تعالى - : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » ^(٣) . قال الطبري : « ليس بهم في عيبتهم إياك فيها ،

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/٤٠٠ ، وكذلك انظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات ، ١٦٠ .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٠٣/٩ ، وانظر كذلك : الفيومي ، المصباح المنير ، ٥٣٦ .

(٣) سورة التوبة : ٥٨ .

وطعنهم عليك بسببها الدين ، ولكن الغضب لأنفسهم . وإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك ، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك ، وعابوك» (١) ، وقال القرطبي : «وصف الله قوماً من المنافقين بأنهم عابوا النبي - ﷺ - في تفريق الصدقات وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم» (٢) .

إذاً فالعطاء المادي أثره في دفع الشر ومنعه أثر واضح ، أكده القرآن الكريم وبين أهميته ، وإن كانت الآيات قد ورد فيها سبب نزول خاص ، ولكن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

٢ - روى الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في المراد بالمؤلفة قلوبهم ، قال : «هم قوم كانوا يأتون رسول الله - ﷺ - قد أسلموا ، وكان رسول الله - ﷺ - يرضخ لهم من الصدقات فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً ، قالوا : هذا دين صالح . وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه» (٣) .

لقد أوضح ابن عباس - رضي الله عنهما - ما للعطاء المادي من أهمية كبيرة في صدّ الشرّ ومنعه ، بحيث يوجد من الناس مَنْ إذا أعطوا العطاء ثبتوا على هذا الدين ، وإذا لم يعطوا ، تركوا هذا الدين وعابوه ، فيكون ضررهم وشرهم عاماً .

فإذا كان يتوقع حصول ضرر على الدعوة من بعض المدعويين ، فإن إعطاءهم المال ، لكف شرهم من الحكمة العملية في الدعوة إلى الله ، بحيث لو تركوا ولم يعطوا ، لحصل من التشويش على الناس والصد عن سبيل الله وتحريف شرع الله ما قد يكون أعظم ضرراً

(١) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ٦ / ١٠ / ١٠٨ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٨ / ١٥٤ - ١٥٥ .

(٣) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ٦ / ١٠ / ١١٢ .

وشرأ ، ولربما كان بذل المال لإصلاح ما أفسدوه أكثر بكثير ، مع احتمال عدم التمكن من إصلاح جميع ما أفسد ، وهذا الأثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - دليل على أهمية التأليف لكف الشر .

٣ - لقد فطر الله - سبحانه وتعالى - النفوس على حبّ المال ، وهذه المحبة تختلف نسبتها فيما بين الناس ، لدرجة أن من الناس من يبيع دينه من أجل دنياه ، ولا يقنعه أو يزيل قناعته إلا المال ، فإذا وجد مثل هذه النوعية من الناس فإنه لا يمكن أن تستجيب إلا بالمال ، مهما بذل معه من الأسباب الحسية والمعنوية ، وإذا كان الأمر كذلك فما المانع من بذل المال له ليكف شره عن الإسلام والمسلمين .

المطلب الثاني

استخدام الرسول - ﷺ - التأليف لكف الشر

لقد جاءت شواهد كثيرة من السنة النبوية ، تؤكد استخدام رسول الله - ﷺ - التأليف المادي لتحقيق المقصد الدعوي المهم ، وهو «كف الشر المتوقع من المدعو». فكان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب الجماعات من الناس أحياناً ، وفي أحيانٍ أخرى لا يألوا جهداً في استئلاف قلوب الأفراد لكف شرهم .

ولذلك فستكون دراسة هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول : تأليف الرسول - ﷺ - القلوب جماعياً لكف الشر .

الفرع الثاني : تأليف الرسول - ﷺ - قلوب الأفراد لكف الشر .

الفرع الأول : تأليف الرسول - ﷺ - القلوب جماعياً لكف الشر

إذا كان الإلحاح والإصرار في المسألة يجد فيه الرسول - ﷺ - شيئاً من الأذى ، لأنه صادر من عامة الناس والجهلة الذين يؤذون رسول الله ﷺ فعلاً بسؤالهم ، فتستألف القلوب لكف هذا الشر إذا صدر . حيث أخبر الرسول - ﷺ - عن حال هؤلاء وصرح به لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما راجعه في أمر من هم بمثل هذه الحال .

لقد كان رسول الله - ﷺ - يلاقي أذىً كثيراً من عامة الناس - الكافر منهم وضعاف الإيمان - وذلك عند سؤالهم إياه أن يعطيهم من المال ، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قسم رسول الله - ﷺ - قسماً ، فقلت : والله يارسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم . قال : «إنهم خيروني ، أن يسألوني بالفحش ، أو يبخلوني ،

فلست بباخل» (١).

قال النووي : «معناه أنهم ألحوا في المسألة لضعف إيمانهم وألجأوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش ، أو نسبتي إلى البخل ، ولست بباخل . ولا ينبغي احتمال واحد من الأمرين . ففيه مداراة أهل الجهالة والقسوة ، وتألفهم إذا كان فيهم مصلحة ، وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة» (٢).

ففي هذا الحديث تألف رسول الله - ﷺ - قلوب هؤلاء بالمال ، لكفّ شرهم ؛ فهم إما أن يؤذوا رسول الله - ﷺ - بسؤاله بغلظة وشدة وفحش ، وإما أن يقولوا عنه بخيل إذا لم يعطهم . فأمران كلاهما أذى على رسول الله - ﷺ - ، وكان المخرج من هذا أن استخدم رسول الله - ﷺ - حكمته العملية ، فأعطاهم المال ، حتى لا يسألوه بفحش ولا يقولوا عنه بخيل - وحاشا رسول الله - ﷺ - ذلك .

ولقد جاء في الأثر ما يوضح حال أمثال هؤلاء بشيء من التفصيل ، فيما يحصل منهم من الضرر والأذى .

فقد روى الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في المراد بالمؤلفة قلوبهم ، قال : «وهم قوم كانوا يأتون رسول الله - ﷺ - قد أسلموا ، فكان رسول الله - ﷺ - يرضخ لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيراً قالوا : هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه» (٣).

وحيث إن ما تقدم من النصوص والشواهد جاءت فيما يتوقع أو يحصل من الضرر والأذى من عامة الناس ، أو من ضعاف الإيمان والنفوس والأعراب والجهلة ؛ فقد لا يكون في ذلك حجة قاطعة على جواز التأليف لكف شر المدعو مع بقائه على الكفر . وإزالة ما يتوقع من لبس في هذه المسألة يؤكد أنه لم يكن التأليف المادي خاصاً بهؤلاء ، فقد كان

(١) أخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، حديث رقم (١٠٥٦) ، ١٥٢/٧ .

(٢) النووي ، شرح مسلم ، ١٥٢/٧ .

(٣) أخرجه الرمام الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٠٨/١٠/٦ .

- ﷺ - يستألف قلوب أقوامٍ كثر لدفع ضررهم ، ومنهم المنافقون وغيرهم .

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه بينا هو مع رسول الله - ﷺ - ومعه الناس ، مقبلاً من حنين ، علقت رسول الله - ﷺ - الأعراب يسألونه ، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله - ﷺ - فقال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه^(١) نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدونني بخيلاً ، ولا كذوباً ، ولا جباناً »^(٢) .

إن في عزم رسول الله - ﷺ - بعد ما حصل له الأذى من هؤلاء - دليل على استئلاف قلوبهم جميعاً لكف الشر ، دون أن يفرق بين مسلمٍ أو كافرٍ أو منافق ، وكان من بينهم ولاشك من هم من الكفار والمنافقين ، ففي نفس الغزوة قال قائل من هؤلاء : « والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، وما أريد بها وجه الله »^(٣) .

(١) العضاه : الشجر كثير الشوك ، كالطلع والعوسج والسدر ، انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٢٥٤/٦ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفة قلوبهم ... ، حديث رقم (٣١٤٨) ، ٦٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الموضع ، حديث رقم (٣١٥٠) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث رقم (١٠٦٢) ، ١٦٣/٧ .

الفرع الثاني : تأليف الرسول - ص - قلوب الأفراد لكف الشر :

لقد كان رسول الله - ﷺ - يتألف قلوب الأفراد الذين يتوقع منهم شيء من الأذى من عامة الناس وجهالهم ، وهذا من كريم خلقه - ﷺ - وحرصه على هداية الناس ، وعدم تنفيرهم عن دين الله ، فعن المسور بن مخرمة - رضي الله عنهما - قال : قسم رسول الله - ﷺ - أقبية ، ولم يعط مخرمة منها شيئاً . فقال مخرمة : يا بني انطلق بنا إلى رسول الله - ﷺ - ، فانطلقت معه ، فقال : ادخل فادعه لي ، قال : فدعوته له فخرج إليه وعليه قباء منها ، فقال : «خبأنا هذا لك» ، قال : فنظر إليه : فقال : «رضي مخرمة» (١).

نقل ابن حجر عن ابن بطال : «يستفاد منه استئلاف أهل اللسن ، ومن في معناهم بالعطية والكلام الطيب» (٢). وقال النووي : «هو من باب التألف» (٣).

وفي رواية أن مخرمة بن نوفل «كان في خلقه شيء» (٤). أي شديد الخلق بذيء اللسان (٥).

ولما أعطى رسول الله - ﷺ - بعض كبار القوم بعد حنين وتألف قلوبهم عتب أحدهم على رسول الله - ﷺ - ذلك ، وهو عباس بن مرداس ، وقال أبياتاً في ذلك فأمر الرسول - ﷺ - أن يزداد في عطائه أسوة بغيره ليكف شره وكلامه عنه .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : كيف يقبض العبد والمتاع ، حديث رقم (٢٥٩٩) ، ٥٤٠ . وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة . باب : إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، حديث رقم (١٠٥٨) ، ١٥٤/٧ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠ / ٢٧٠ .

(٣) النووي ، شرح مسلم ، ١٥٤/٧ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : المداراة مع الناس ، حديث رقم (٦١٣٢) ، ١٣١١ .

(٥) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠ / ٥٢٩ .

عن رافع بن خديج ، قال : أعطى رسول الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال :

أجعل نهبي ونهب العبيد^(١) بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
فأتم له رسول الله - ﷺ - مائة^(٢) .

وفي رواية : فقال رسول الله - ﷺ - لعلي بن أبي طالب : « اذهب فاقطع عني لسانه » . فلما ذهب به قال : أتريد أن تقطع لساني ؟ قال : لا ، ولكن أعطيك حتى ترضى ، فأعطاه ، فكان ذلك قطع لسانه^(٣) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : أتى النبي - ﷺ - سائل ، فأمر له بتمرة ، فلم يأخذها ، أو وحش بها ، قال : وأتاه آخر فأمر له بتمرة ، فقال : سبحان الله تمرة من رسول الله - ﷺ - ، فقال للجارية : اذهبي إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهماً التي عندها^(٤) .

ويتضح من هذا الحديث أنه يتألف قلوب الأفراد لكف شهرهم ، فإنه - ﷺ - أعطى السائل الأول ، فلم يأخذ التمرة ، ولكنه سكت ولم يحصل منه أذى ، أما الآخر فإنه لم

(١) العبيد : فرسه . انظر : النووي ، شرح مسلم ، ١٦٢/٧ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٠٨/٤ ، وانظر : الواقدي ، كتاب المغازي ، ٩٤٧/٣ . وانظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ٢٢٩ ، ط : بدون تاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٤) الإمام أحمد ، المسند ، ١٥٥/٣ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١٠٥/٣ ، وقال : « رواه أحمد والبخاري باختصار ، وفيه عمارة بن زاذان وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

يسكت وإنما أذى رسول الله - ﷺ - بقوله ؛ فكأنه يبخل رسول الله - ﷺ - ، فأعطاه الرسول أربعين درهماً ليكف عنه أذى قوله .

وقد كان - ﷺ - يلاقي أذىً عظيماً من الأعراب ، لما هم عليه من الجفوة والغلظة ، ومع ذلك فقد كان - ﷺ - يلاقي كل أذىً باحتمال وسعة صدر ورحابة خلق ، فيحتمل الأذى ويجازي بالعطاء ، وذلك ليكف عن نفسه وعن الدعوة ما قد يصيبه من الأذى والشر ، ولأن لا ينفرهم عن دين الله .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع النبي - ﷺ - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي - ﷺ - قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء (١) .

ولم يكن تأليف الرسول - ﷺ - للقلوب لكف الأذى خاصاً بالأعراب والجهلة وعامة الناس القريبين منه والبعيدين عنه ، بل كان يعطي المال لكف الأذى عن نفسه وعن دعوته عامة من صدر منه أذى حتى من اليهود والكفار .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان لرجل على النبي - ﷺ - جمل سنٍ فجاءه يتقاضاه ، فقال : « أعطوه » فطلبوا سنه (٢) فلم يجدوا إلا سناً فوقها ، فقال : « أعطوه » . فقال : أوفيتني أوفى الله بك ، قال النبي - ﷺ - : « إن خياركم أحسنكم قضاءً » .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفلة قلوبهم من الخمس وغيره ، حديث رقم (٣١٥٠) ، ٦٦٥ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفلة قلوبهم ... ، حديث رقم (١٠٥٧) ، ١٥٣/٧ .

(٢) يقال : سن الفقار ، أي عمره . انظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٤٥٦/١ .

وفي رواية : « أن رجلاً أتى النبي - ﷺ - يتقاضاه ، فأغلظ ، فهم به أصحابه »^(١) .
قال ابن حجر : « يحتمل أن يكون الإغلاظ بالتشديد في المطالبة من غير قدر زائد ،
ويحتمل أن يكون بغير ذلك ، ويكون صاحب الدين كافراً ؛ فقد قيل إنه كان يهودياً . ولا
يعكر عليه^(٢) أنه أوفاه من مال الصدقة ، لاحتمال أن يكون المقترض منه كان أيضاً من
أهل الصدقة ؛ إما من جهة الفقر أو التألف أو غير ذلك »^(٣) .

وقال النووي : « فيه أنه يحتمل من صاحب الدين الكلام المعتاد في المطالبة وهذا
الإغلاظ المذكور محمول على تشدد في المطالبة ، ونحو ذلك من غير كلام فيه قدح أو
غيره مما يقتضي الكفر ، ويحتمل أن القائل الذي له الدين كافراً من اليهود أو غيرهم .
والله أعلم »^(٤) .

وبهذا القدر من الشواهد أكتفي في إيضاح هذا المبحث ، وبنهايته أكون قد أنهيت
الفصل الثاني من هذه الدراسة ، وقد كان جمعاً لشتات جملة من الشواهد النبوية والتي
تكون كل مجموعة منها مقصداً من مقاصد التأليف . وبناءً على هذه الشواهد ستم
مناقشة الضوابط الشرعية لتأليف القلوب وذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة بإذن
الله - تعالى - .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) يقصد الحكم المأخوذ من الحديث وهو جواز تعجيل الزكاة إن كان سبب اقتراض النبي - ﷺ - لحاجة بعض الناس من أهل
الزكاة .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ٥٧/٥ - ٥٨ .

(٤) النووي ، شرح مسلم ، ٤١/١١ - ٤٢ .

الفصل الثالث

ذوابط تأليف القلوب

المبحث الأول
سلامة وسائل التأليف

المبحث الثاني
صواب الغاية من التأليف

المبحث الثالث
رعاية المصالح في التأليف

الفصل الثالث

ضوابط تأليف القلوب

نَهْيِيد :

مفهوم الضوابط :

«ضَبَّطَه ضَبْطاً : حفظه بالحزم حفظاً بليغاً ، وأحكمه وأتقنه . ويقال : ضبط البلاد وغيرها : قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص . وضبط الكتاب ونحوه : أصلح خَلَّه ، أو صَحَّحَه وشكَّله ، ... (الضابط) : عند العلماء : حكم كلي ينطبق على جزئياته . والجمع ضوابط»^(١).

إذا فمّن معاني الضَّبُّط في اللغة «الإلزام ، والحبس ، والحفظ بالحزم والشدة» ، وعليه فإنه يقصد بالضوابط في هذه الدراسة جملة الأحكام والقواعد المبنية على الشواهد الشرعية^(٢) ، والتي تحدد بوضوح أسلوب التأليف ، والتي ينبغي أن يراعيها الداعي إلى الله في دعوته .

أهمية الضوابط : تنبع أهمية دراسة الضوابط الشرعية لأسلوب التأليف من أن استخدام الداعي إلى الله - تعالى - لهذا الأسلوب الدعوي يقصد به التقرب إلى الله - جل وعلا - في دعوته الناس وهدايتهم إلى ربهم ، فهو في عبادة ، ولا بد في كل عبادة من ضوابط شرعية تجب مراعاتها ، وأول هذه الضوابط : إخلاصها لله - تعالى - ، وثانيها : متابعة الرسول - ﷺ - ، ثم تختص كل عبادة بضوابط وأحكام وقواعد خاصة بها . ولما كان التأليف أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله - تعالى - يتقرب الداعية فيه

(١) انظر : الجوهري ، الصحاح ، ١١٣٩/٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٤٠/٧ ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٥٣٣/١ .

(٢) انظر : د . محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ٢٨٥ ، ٢٣٥ .

لربه ، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على مشروعيتها ، وبيان استخدام الرسول - ﷺ - له في دعوته . ولذلك فقد شمل التأليف ما يشمل غيره من الضوابط الشرعية العامة لكثير من الأحكام ، وما سأحدث عنه منها :

١ - سلامة الوسيلة .

٢ - صواب الغاية .

٣ - رعاية المصلحة .

وتختلف أحكام الضوابط التفصيلية لهذه النقاط الثلاث ؛ فمنها ما ينبغي الوقوف عنده على سبيل الوجوب والإلزام ، ومنها ما يكون دون ذلك ، وسيتبين هذا عند ذكر كل نقطة على حدة .

وستكون دراسة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : سلامة وسائل التأليف .

المبحث الثاني : صواب الغاية من التأليف .

المبحث الثالث : رعاية المصالح في التأليف .

المبحث الأول
سلامة وسائل التأليف

المطلب الأول
مفهوم سلامة وسائل التأليف وأهميتها

المطلب الثاني
ضوابط وسائل تأليف القلوب

المبحث الأول

سلامة وسائل التأليف

للسائل أهمية كبيرة ، حيث إنه لا يمكن الوصول إلى الأشياء إلا بها ، ومن ذلك التأليف ، فإنه لا يمكن القيام به إلا بوسائل توصل إليه ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الضوابط المرجعية لوسائل تأليف القلوب في الدعوة إلى الله - تعالى - ، وسأتناول دراسة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم سلامة وسائل التأليف وأهميتها .

المطلب الثاني : ضوابط وسائل تأليف القلوب .

المطلب الأول

مفهوم سلامة وسائل التأليف وأهميتها

أولاً : مفهوم سلامة الوسيلة :

الوسائل : جمعٌ ، مفردُها وسيلة ، وهي لغة : « ما يتقرب به إلى الشيء »^(١).

والوسيلة : الوُصلة ، « القرية التي ينبغي أن يطلب بها »^(٢).

ويقصد بسلامة الوسائل : سلامتها من الناحية الشرعية . أي عدم وجود ما يخرج الوسائل عن دائرة المشروعية إلى دائرة الحرمة أو ما يوصل إليها ، فلا بد أن تكون الوسائل للتأليف - كغيرها من الوسائل الدعوية - منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - منضبطة بأحكام الإسلام^(٣).

ثانياً : أهمية ضوابط وسائل التأليف :

تتبع أهمية ضوابط وسائل التأليف من خلال ما يلي :

- ١ - أن للوسائل في الإسلام حكم الغايات .
- ٢ - أن أي تجاهل لحكم الإسلام في الوسائل من قبل الداعية ، يعد هذا منه انحرافاً عن مسارها الصحيح ، وخروجاً بها عن مصادرها^(٤).
- ٣ - لا بد للمرء في سبيل تحقيق الأهداف والغايات من استخدام الوسيلة التي تعينه على ذلك ، فإن الله - عز وجل - قد ربط الأسباب بالمسببات ، وأمر بالأخذ بالوسائل

(١) الفيومي ، المصباح المنير ، ٦٦٠/٢ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٦/٥ . وانظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ١٠٣٢/٢ .

(٣) د . محمد البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

المؤدية إلى الغايات ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة»^(١).

ولكي يتحقق للداعية غايته من وراء التأليف فلا بد من اتخاذ وسائل مناسبة لذلك .

٤ - نظراً لتعدد المقاصد الدعوية من التأليف ، وكثرة المجالات الدعوية ، وتوسع حاجة المدعو ، وبسبب غموض مبدأ الأوليات في حياة بعض الدعاة ، فقد أثر هذا الأمر سلباً في جانب ضوابط الوسائل الشرعية للتأليف ، فكان من الأهمية بمكان إبراز الضوابط المتعلقة بوسائل التأليف .

(١) سورة المائدة : ٣٥ .

المطلب الثاني

ضوابط وسائل تأليف القلوب

لقد جاءت ضوابط وسائل التأليف على ثلاثة أقسام ، منها ما يتعلق بالداعية ، ومنها ما يتعلق بالمدعو ، ومنها ما يتعلق بمادة التأليف ، وحيث إن بعض الفقهاء قد ذكروا - عند حديثهم عن شروط التأليف - بعض الضوابط المتعلقة بوسائل وطريقة تطبيقه وهي محل نظر عند البعض الآخر ، فسأذكرها من الضوابط ، ثم أناقشها من حيث الصحة والرد .

أولاً : ما يتعلق بالداعية :

الداعية هو الذي يقوم بتأليف قلب المدعو ، بهدف تحقيق بعض المقاصد الدعوية . قال الإمام الشوكاني : «يجوز لرب المال مع عدم الإمام أن يتألف من يخشى منه الضرر على نفسه أو ماله أو على غيره من المسلمين . ولا وجه لتخصيص الإمام بذلك ، فإن المؤلف مصرف من مصارف الزكاة ، ونوع من الأنواع التي جعلها الله لهم فكما يجوز لرب المال أن يضعها في مصرف من المصارف غير المؤلفه يجوز له أيضاً أن يضعها في المؤلفه وهذا ظاهر واضح وأما إذا كان الإمام موجوداً فأمر الصرف إليه»^(١)

ولكن يرى القرضاوي أنه لا يجوز أن يقوم بالتأليف إلا إمام المسلمين - الدولة الإسلامية - إلا إذا أهملت الحكومات الإسلامية هذا الأمر ، فإن الجمعيات الإسلامية هي التي تقوم مقام الحكومات في هذا الشأن . وأما عند عدم وجود الحكومة ، والجمعيات الخيرية فإنه لا يجوز أن يقوم الداعية بنفسه بذلك ، إلا إذا لم يجد أهلاً للزكاة ممن تشملهم مصارف الزكاة الثمانية غير التأليف ، فإنه يجوز له القيام بالتأليف بنفسه^(٢) .

(١) الشوكاني ، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، ٥٨/٢ . ط : الأولى ١٤٠٥ هـ ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

(٢) انظر : د . القرضاوي ، فقه الزكاة ، ٦٠٨/٢ .

ويرى الأشقر شمولية الأمر لمن يقوم بالتأليف إذ يقول : « ومن نظر إلى حال المسلمين الضعيفة اليوم ، وقدر المصلحة المتحققة - بإذن الله - من قيام الداعية بنفسه بالتأليف وقيام الدولة وكذلك الجمعيات الإسلامية بذلك ، فلا يجد بدأً من الميل إلى هذا الرأي »^(١).

ثانياً : ما يتعلق بالمدعو :

١ - أن يكون المؤلف قلبه شخصاً فقيراً :

نظراً لأن أغلب كلام الفقهاء عن التأليف جاء عند ذكر مصارف الزكاة فقد يوحى ذلك باشتراط أن يكون المؤلف قلبه شخصاً فقيراً . وهذا ما جعل ابن جرير الطبري يرد هذا الشرط بقوله : « جعل الله الصدقة لمعنيين : أحدهما ، سد خلة المسلمين ، والأخرى معونة الإسلام وتقويته ، فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يعطى الغني والفقير ، لأنه لا يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونة للدين ، وذلك كما يعطى الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنياً كان أو فقيراً ، للغزو ، لا لسد خلته ، وكذلك المؤلف قلوبهم يعطون ذلك ، وإن كانوا أغنياء »^(٢).

وقد ساق ابن جرير عن معقل بن عبد الله قال : سألت الزهري عن قوله : « المؤلف قلوبهم »^(٣) . فقال : من أسلم من يهودي أو نصراني . قلت : وإن كان غنياً ؟ قال : وإن كان غنياً^(٤) ، فلا يشترط الفقر في تأليف المدعو ، سواء كان التأليف من مال الزكاة أو من أموال أخرى ، لأن هذا التأليف فيه مصلحة عامة للمسلمين^(٥).

(١) د. الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، ٥٧ .

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦ / ١٠ / ١١٣ .

(٣) سورة التوبة : ٦٠ .

(٤) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٦ / ١٠ / ١١٣ .

(٥) د. الأشقر . تأليف القلوب على الإسلام ، ٥٣ . وللإستزادة يراجع : الشيخ ابن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ،

٢ - أن لا يكون المراد تأليفه محارباً :

لو كانت الدولة الإسلامية في حالة حرب مع الكفار ، وقام هؤلاء الكفار بالقتال ، وانتهاك الحرمات ، وسلب الأموال ، وإخراج الناس من ديارهم ، فلا يجوز - والحالة هذه- أن يعطى محارب من هؤلاء المال تأليفاً لقلبه ، لأن الله - تعالى - يقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »^(١) .

قال الأشقر: «وهذا شرط صحيح... وعلى ذلك فيجوز تأليف قلوب أهل الذمة ، كما يجوز تأليف قلوب أهل الهدنة الذين لم يقوموا بالأعمال التي نصت عليها الآية»^(٢) .

ثالثاً : ما يتعلق بمادة التأليف :

هناك عدة ضوابط تتعلق بالمال الذي يتألف به الداعية المدعويين ، وسأناقش هذه الضوابط فيما يلي :

١ - أن لا يؤلف الكفار بمال الزكاة :

هذا الضابط يشترطه الشافعية ، والمالكية^(٣) ، فلا يجوز دفع مال الزكاة لكافر تأليفاً لقلبه على الإسلام .

والصحيح - والله أعلم - أنه يجوز استئلاف قلوب الكفار بأموال الزكاة وغيرها ، وقد سبق أنه - ﷺ - أعطى رجلاً غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه يقول لهم : أسلموا فإن

(١) سورة الممتحنة ، ٨-٩ .

(٢) د. عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام .. ، ٥٢-٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة^(١).

وعند الإمام أحمد أنه أمر لرجلٍ بشاءٍ من شاء الصدقة ، فرجع إلى قومه بمثل ذلك^(٢).

٢ - أن لا يؤلف بحرام ، أو ما يكون وسيلة للحرام :

وهذا الضابط بيّن ظاهر ، فما ثبت تحريمه بنص من كتاب الله أو سنة رسوله - ﷺ - أو أجمع عليه علماء الأمة ؛ فلا يجوز تقديمه للمدعو تالياً لقلبه .

وأما ما لم يثبت تحريمه في الشرع فهو داخل في دائرة المباح ، والوسائل من هذا النوع على نوعين :

أ - الوسيلة المختلف في حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم .

ب - الوسيلة المشوية التي اختلط فيها الحلال والحرام .

فأما النوع الأول : فيجوز تأليف القلوب بها إذا دعت الحاجة والضرورة لذلك وتبينت مصلحة راجحة . والأولى التورع عن عدم استخدامها في الأمور العادية .

وأما النوع الثاني : فالأولى البعد عن استخدامها ، لكي يستبرى الداعية لدينه ودعوته ، فمهما يكن أمر الوسيلة من هذا النوع فإنه يبقى فيها شبهة^(٣).

ومثال هذا الضابط : أن لا يؤلف بمال مغصوب ، فإنه - ﷺ - استأذن الصحابة في رد سبي هوازن^(٤).

(١) سبق تخريجه ، ص ٤٨ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٠٤ .

(٣) للمزيد من التفصيل حول الموضوع ، يراجع : د. البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ٢٩٠-٢٩٦ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ١٦٤ .

٣ - أن تكون نوعية مادة التآليف على حسب أحوال المدعوين :

إن اختلاف نوعية مادة التآليف على حسب عدة اعتبارات ، وهي :

أ - حالة المدعو .

ب - حاجة المدعو الدعوية .

ج - توفر مادة التآليف .

فأحياناً يكون التآليف بالمال نقداً ، وأحياناً عينياً ، كالملابس ، والأنعام ، بل ربما كان باليمن على الشخص والعفو عنه عند استحقاقه العقوبة ، وهكذا .

فإذا كان المدعو في الأسر ناسب أن يمن عليه تأليفاً لقلبه كما حصل مع ثمامة بن

أثال^(١) .

وإن كان المدعو ضعيفاً من الناحية المادية ناسب أن يتم استئلافه ببذل المال .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٩ .

المبحث الثاني

صواب الغاية من التأليف

المطلب الأول

مفهوم صواب الغاية من التأليف وأهميتها

المطلب الثاني

ضوابط صواب الغاية من التأليف

المبحث الثاني

صواب الغاية من التأليف

لمعرفة الغايات أهمية كبيرة لأن مدار الأحكام الشرعية عليها ؛ فلا بد أن تكون الغايات والأهداف صائبة ، صحيحة ، بموافقتها لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ولذلك فستكون الدراسة في هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم صواب الغاية من التأليف ، وأهميتها .

المطلب الثاني : ضوابط صواب الغاية من التأليف .

المطلب الأول

مفهوم صواب الغاية من التأليف ، وأهميتها

أولاً : مفهوم صواب الغاية من التأليف

الصواب ضد الخطأ^(١) . والصواب السداد والحق^(٢) .

«والصواب يقال على وجهين ، أحدهما : باعتبار الشيء في نفسه فيقال : هذا صواب ، إذا كان في نفسه محموداً ومرضياً بحسب مقتضى العقل والشرع»^(٣) .

ونهاية كل أمر : غايته . وغاية كل أمرٍ : الفائدة المقصودة منه^(٤) .

إذاً فمقصود «صواب الغاية من التأليف» الفائدة الصحيحة التي تتحقق باستخدامه ، وتكون موافقة لما جاء في شرع الله - سبحانه وتعالى - .

وحيث إن تعريف الهدف في الاصطلاح الدعوي هو : «المطلب الذي يوجه إليه الدعاة قصدهم ، أو الغاية التي يسعون من أجلها»^(٥) ، فإن أهداف التأليف هي غاياته ومقاصده التي يسعى الدعاة إلي تحقيقها باستخدامه .

لقد سبق دراسة المقاصد الدعوية من التأليف^(٦) ، وأشير إلى أن أهداف التأليف كثيرة جداً ولا يمكن للباحث أن يحيط بها ، ولكن تقدمت الإشارة إلى خمسة مقاصد دعوية ، ترجع جميع المقاصد الدعوية إليها في التأليف ، وهي :

(١) الفيومي ، المصباح المنير ، ٣٥٠/١ .

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٥٢٧/١ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٢٨٧ .

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٦٦٩/٢ .

(٥) د . محمد أبو الفتوح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، ١٩٨ .

(٦) انظر : الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ١١٢ .

١ - تأليف المدعو للدخول في الإسلام .

٢ - تأليف المدعو لزيادة إيمانه .

٣ - تأليف المدعو لحماية من الردة .

٤ - تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقاءه على الكفر .

٥ - تأليف المدعو لكف شره مع بقاءه على الكفر .

ثانياً : أهمية ضوابط صواب الغاية من التأليف

أما أهمية دراسة ضوابط صواب الغاية ، فيمكن تسجيل النقاط التالية في هذا
الصدد :

١ - إن مدار أحكام الشريعة الإسلامية على الغاية ، فإذا كانت الغاية صائبة
موافقة للكتاب والسنة ، كانت هذه الأهداف مشروعة مندوباً إليها .

٢ - إن وضوح الأهداف وسلامتها ، مما يعين الداعية على اختيار الوسائل المناسبة ،
والطرق المتاحة والتي لا تتعارض وهذه الأهداف .

٣ - إن وضوح الأهداف ، ومعرفة ضوابطها ، يوفر للداعية عدم المضي والاستغراق
فيما لا فائدة من ورائه .

٤ - قد يغفل بعض الدعاة أثناء قيامهم بالدعوة باستخدام الأساليب الدعوية ،
فيحصل الخلط وتتداخل الأهداف والمقاصد ، بشكل قد يهدر على الدعوة كثيراً من
الجهود .

المطلب الثاني

ضوابط صواب الغاية من التأليف

نظراً لأنه سبق دراسة مقاصد التأليف وغاياته بفصل مستقل^(١). فإن كثيراً مما سبق يغني عن الإعادة والتكرار .

ولكن تم تسجيل بعض الضوابط اليسيرة لصواب الغاية ، وهي :

١ - أن يغلب على الظن تحقق المقاصد الدعوية :

لا يكفي للقيام بالتأليف قصد هدف وغاية شرعية ؛ فإنه لا بد من أن يغلب على ظن الداعية تحقق المقاصد والأهداف .

ولذلك فكثيراً ما يعبر الفقهاء عن هذا بقولهم : يرجى إسلامه ، أو كف شره ... قال الشيخ محمد بن عثيمين : «وعلم من قوله^(٢) : «يرجى إسلامه» أن من لا يرجى إسلامه من الكفار فإنه لا يعطى أملاً في إسلامه ؛ بل لا بد أن تكون هناك قرائن^(٣) توجب لنا رجاء إسلامه ... والرجاء لا يكون إلا على أساس ؛ لأن الراجي للشيء بلا أساس إنما هو متخيل في نفسه»^(٤).

إن القيام بالتأليف لقصد الإسلام ، أو كف الشر ، أو الدفع عن المسلمين ، دون أن يكون هناك ظن قائم يرجى معه تحقق الأهداف - سبب مؤكد لحصول أضرار ضد الدعوة

(١) انظر : الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ١١١ وما بعدها .

(٢) يقصد صاحب كتاب «زاد المستقنع» ، الشيخ موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ، المتوفى سنة (٩٦٨هـ) ، انظر : الشيخ محمد ابن عثيمين ، الشرح المتمع على زاد المستقنع ، ١/ب . «المقدمة للمحققين وهما : د. سليمان أبا الخيل ، د. خالد الشيقع» .

(٣) مثل أن يعرف أنه يميل إلى المسلمين ، أو أنه يطلب كتباً أو ما أشبه ذلك ، انظر : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الشرح المتمع على زاد المستقنع ، ٢٢٦/٦ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الموضع .

الإسلامية ، كتضييع المال في غير محله ، أو زيادة الشر على المسلمين ، أو الاستخفاف بهم ، واستخدام المال للدعاية للكفر ، وغير ذلك من المفاسد .

ولما كان يغلب على ظن رسول الله - ﷺ - أن مسيلمة الكذاب^(١) لن يستفيد من التأليف لم يعطه الرسول - ﷺ - أدنى شيء من الدنيا ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله - ﷺ - فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته . وقدمها - أي المدينة - في بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله - ﷺ - ، ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله - ﷺ - قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عني ، ثم انصرف عنه^(٢) .

ومن الفقهاء من يرى أنه يجب رد المال المتألف به إذا لم يتحقق القصد من التأليف ، قال الشوكاني : «لأن الغرض من التأليف لم يحصل فلم يكن ذلك المؤلف مؤلفاً فلا نصيب له في الزكاة»^(٣) .

ومع أن كلام الشوكاني خاص فيما إذا كان المال من الزكاة ، إلا أنه يشعر بما سبق إيراده من أنه لا بد أن يغلب على الظن أن يتحقق المقصد الدعوي من التأليف .

(١) مسيلمة بن ثمامة بن حبيب بن الحارث من بني حنيفة ، كان ذا مكانة عند قومه فقد كان يقال له : رحمان اليمامة ، ادعى النبوة السنة العاشرة ، فقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٦١٧/٦ ، ٨٩/٨ - ٩٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ، حديث رقم (٧٣٧٣) ، ٩١٠ .

(٣) الشوكاني ، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، ٥٨/٢ .

٢ - الحذر من أن يؤثر على الداعية في قصده الهوى :

الهوى : اتباع النفس ما تميل إليه وتهواه ، دون ضابط شرعي لذلك ، ولما كان بذل المال وقعه على النفس ثقيل ، فقد يتحكم في صرف المال هوى النفس لشخص أو لآخر دون أن يشعر الداعية بذلك ، ولو فرض وجود شخصين كلاهما مستحق للتأليف ، والمال لا يكفيهما ، فقد يدخل الهوى في تقديم شخص على آخر .

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الضابط في العطاء بالنسبة لإمام المسلمين ، حيث قال : « ولا يجوز للإمام أن يعطي أحداً ما لا يستحقه لهوى نفسه : من قرابة بينهما ، أو مودة ، ونحو ذلك ... ، لكن يجوز - بل يجب - الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه ، وإن كان هو لا يحل له أخذ ذلك ، كما أباح الله تعالى في القرآن العطاء للمؤلفة قلوبهم من الصدقات ... »^(١).

ولأن اتباع الهوى خطره عظيم ، فقد نهانا الله - سبحانه - عن ذلك بقوله : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا »^(٢). ويقوله - تعالى - : « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »^{(٣)،(٤)}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ... فإن العبد الرسول هو الذي لا يفعل إلا ما أمر به ، ففعله كله عبادة لله ، فهو عبد محض منفذ أمر مرسله ، كما ثبت عنه في صحيح البخاري أنه قال : « إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً ، وإنما أنا القاسم أضع حيث

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٢٨٨/٢٨ .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) سورة ص : ٢٦ .

(٤) انظر : عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٣٠٢-٣٠٣ .

أمرت»^(١). وهو لم يرد بقوله : « لا أعطي أحداً ولا أمنع » أفراد الله بذلك قدراً وكوناً ، فإن جميع المخلوقين يشاركونه في هذا ، فلا يعطي أحداً ولا يمنع إلا بقضاء الله وقدره ؛ وإنما أراد أفراد الله بذلك شرعاً ودينياً . أي لا أعطي إلا من أمرت بإعطائه ، ولا أمنع إلا من أمرت بمنعه ، فأنا مطيع لله في إعطائي ومنعي ، فهو يقسم الصدقة والفيء والغنائم كما يقسم الموارث بين أهلها ؛ لأن الله أمره بهذه القسمة»^(٢). ومن قصد بالعطاء ما قصده الرسول - ﷺ - فهو مجتهد بمتابعة رسول الله - ﷺ - في عطائه الذي أمر به ، فلا ينبغي أن يداخل امرؤ الهوى في عطائه ، لأن هذا فيه خطر عظيم .

٣ - أن يقدم المقصد الذي تكون مصلحة الدين فيه أنفع :

عند تعارض المقاصد الدعوية ، هل يعطي الداعية من أجل الدخول في الإسلام ، أو يعطي من أجل زيادة الإيمان ، أو يعطي لجلب مصلحة عامة ؟ ولم يمكن التأليف لجميعها ، فإنه يقدم المقصد الأنفع ، فالأنفع لدين الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإن العطاء إنما هو بحسب مصلحة دين الله . فكلما كان لله أطوع ولدين الله أنفع كان العطاء فيه أولى . وعطاء محتاج إليه في إقامة الدين وقمع أعدائه وإظهاره وإعلانه أعظم من عطاء من لا يكون كذلك ، وإن كان الثاني أحوج»^(٣).

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « ما أعطيكم ولا أمنعكم ، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت . أخرجه البخاري ، كتاب : فرض الخمس ، باب : قول الله تعالى : « فأن لله خمسة » ، حديث رقم (٣١١٧) ، ٦٥٧ .

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٢٧٩/١٠ - ٢٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ٥٨٠/٢٨ - ٥٨١ .

المبحث الثالث رعاية المصالح في التأليف

المطلب الأول

مفهوم رعاية المصلحة في التأليف وأهميتها

المطلب الثاني

ضوابط رعاية المصلحة في التأليف

المبحث الثالث

رعاية المصالح في التأليف

شرع الله - سبحانه وتعالى - دين الإسلام مراعاة لمصالح الناس الدينية والدينية .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ،
وتعطيل المفسد وتقليلها بحسب الإمكان »^(١) .

ومن هنا تأتي أهمية دراسة رعاية المصلحة في التأليف ، وستكون الدراسة مقسمة
إلى مطلبين ، هما :

المطلب الأول : مفهوم مراعاة المصلحة في التأليف وأهميتها .

المطلب الثاني : ضوابط مراعاة المصلحة في التأليف .

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، ١/١٤٧ ، ط : بدون رقم وتاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وللمزيد
في الموضوع ، انظر : الشاطبي ، الموافقات ، ٢/٦ ، ط : بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، وأيضاً : عبد الكريم زيدان ،
أصول الدعوة ، ٥٨-٦١ ، ٣٠١-٣٠٢ .

المطلب الأول

مفهوم ، وأهمية مراعاة المصلحة في التأليف

أولاً : مفهوم رعاية المصلحة :

تقدم أن المصلحة والصلاح ضد المفسدة والفساد . وأن من مقاصد التأليف جلب مصلحة عامة وأنها : قيام الداعية باستمالة قلب المدعو لتحقيق مصلحة عامة مفيدة^(١) . ويقصد بمراعاة المصلحة في التأليف : أن يراعي الداعية المصالح المتحققة من تأليفه ، سواءً كانت مصالح عامة ، أو خاصة كالدخول في الإسلام ، وزيادة الإيمان .

قال عبد الكريم زيدان : «عرف بالاستقراء والتأمل أن مصالح العباد تتعلق بأمور ضرورية أو حاجية أو تحسينية ، فالأولى هي التي لا قيام لحياة الناس بدونها ، وإذا فاتت حل الفساد وعمت الفوضى ، واختل نظام الحياة ، وهذه الضروريات هي : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

أما الحاجيات فهي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشتهم ، وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ، ولكن يصيب الناس ضيق وحر .

وأما التحسينيات ، فهي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق ، وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن النهج القويم السليم الذي تقضي به الفطر السليمة والعادات الكريمة .

وأحكام الشريعة كلها تحقق وتحفظ مصالح الناس المتعلقة بالضروريات والحاجيات والتحسينيات^(٢) .

(١) انظر : الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ٥٩-٦٠ .

ثانياً : أهمية رعاية المصالح :

وأما أهمية مراعاة المصلحة ودراسة ضوابطها الشرعية فإنها تظهر من عدة نقاط ،

هي :

١ - إن تقدير وجود المصلحة من عدمها ، أمر دقيق تختلف فيه وجهات النظر من داعية لآخر ، على حسب القضايا ، والأحوال التي تتطلب استخدام أسلوب التأليف ، ولذلك فإنه من الصعب جداً تحديد ضوابط معينة تدخل تحتها جميع الأحوال والقضايا ، ولكن سأشير فيما بعد - بإذن الله - إلى بعض الضوابط المتعلقة بالداعية والمدعو ، وإلى ضوابط عامة في الدعوة ؛ لا بد من مراعاتها عند تقدير المصالح من التأليف .

٢ - بسبب غموض هذه الضوابط عند البعض ، فإن فريقاً من الناس فتح باب التأليف على مصراعيه ، دون شرط أو قيد يضبط تأليف القلوب ولربما أخل هؤلاء ببعض الأحكام والأولويات الدعوية ، وفريق آخر من الناس أقفل الباب وخطأ الفريق الأول ، وخسر كثيراً من المصالح ، وفوت على الدعوة بعض الفرص . ولو وضع لهذين الفريقين ضوابط رعاية المصالح في التأليف ، لسلم - بإذن الله تعالى - كل منهما مما قد خسره في دعوته ، واطمأن كل داعية لما يقوم به .

٣ - ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن العطاء إذا كان من أموال الفيء ، فإن العلماء قد نصوا على وجوب تقديم أهل المصلحة والمنفعة للمسلمين ، وأما الصدقات فإنها تعطى للحاجة الخاصة ، كما تعطى لأهل المنفعة والمصلحة أيضاً .

ثم قال : «... الوجه الرابع : أن يقال : العطاء إذا كان لمنفعة المسلمين لم ينظر إلى الآخذ هل هو صالح النية أو فاسدها . ولو أن الإمام أعطى ذوي الحاجات العاجزين عن القتال ، وترك إعطاء المقاتلة حتى يصلحوا نياتهم لأهل الإسلام ، لاستولى الكفار على بلاد المسلمين ؛ فإن تعليق العطايا في القلوب متعذر»^(١) .

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٥٧٦/٢٨ - ٥٧٩ .

٤ - التأليف كغيره من أساليب الدعوة إلى الله - تعالى - لا بد أن يراعى في جميعها المصلحة بضوابطها الشرعية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا الهجر يختلف باختلاف المهاجرين في قوتهم وضعفهم وقتلهم وكثرتهم ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله . فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر . والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ، ولهذا كان النبي - ﷺ - يتألف قوماً ويهجر آخرين . كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفرة قلوبهم ، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشايرهم ، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم . وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنون سواهم كثير ، فكان في هجرهم عز الدين ، وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح»^(١).

٥ - إن اعتراض الأنصار وعتبهم على رسول الله - ﷺ - ، لما أعطى المهاجرين والطلقاء بعد حين^(٢) لم يكن لشيء ، إلا لأنهم خفيت عليهم المصلحة التي أراد رسول الله - ﷺ - أن يراعيها في تأليفه .

ونظراً لأهمية بيان ذلك فقد أخبرهم الرسول - ﷺ - عن السبب في استئلافهم وعن تقديره لمصلحة عامة راجحة .

قال الحافظ ابن حجر : «واقترضت حكمته أيضاً أن غنائم الكفار لما حصلت ، ثم

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٢٠٦/٢٨ - ٢٠٧ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢١ .

قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال ، فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته ، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها . ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصوراً عليهم ، بخلاف قسمته على المؤلفة ، لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم ، فلما كان العطاء سبباً لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب من دخل فيه قبل ، تبعهم من دونهم في الدخول . فكان في ذلك عظيم المصلحة ، ... ، ثم كان من تمام التأليف رد من سبى منهم إليهم ، فانشرح صدورهم للإسلام فدخلوا طائعين راغبين ، وجبر ذلك قلوب أهل الكفر بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان بجوارهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قبض لهم من الدخول في الإسلام ، ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها . وأما قصة الأنصار ، وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤسائهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم ، ولما شرح لهم رسول الله - ﷺ - ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مدعين»^(١) .

٦ - عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : كان عمر - رضي الله عنه - يحلف على إيمان ثلاث ، يقول : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا بأحق به من أحد ، والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب ؛ إلا عبداً مملوكاً ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله - تعالى - وقسمنا من رسول الله - ﷺ - ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه»^(٢) .

(١) الحافظ ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٩/٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٤٢/١ . وقال أحمد شاكر : «إسناده صحيح» . انظر : شرح المسند ، ٢٨١/١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ... الرجل وبلاؤه ، وهو الذي يجتهد في قتال الأعداء ، والرجل وغناؤه ، وهو الذي يغني المسلمين في مصالحهم ، فهذا كلام عمر الذي يذكر فيه بأن لكل مسلم حقاً . يذكر فيه تقديم أهل الحاجات . ولا يختلف اثنان من المسلمين أنه لا يجوز أن يعطى الأغنياء الذين لا منفعة لهم ويحرم الفقراء »^(١).

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٥٨٢/٢٨ - ٥٨٥.

المطلب الثاني

ضوابط رعاية المصلحة في التأليف

إن تقدير وجود مصلحة من عدمها في التأليف أمر صعب ، بسبب اختلاف وجهات النظر في الاجتهاد بذلك ، وسعة الأحوال والقضايا وعدم محدوديتها ، وتعدد نوعية المدعويين واختلاف طبائعهم ، وتعدد مقاصد التأليف وأهدافه .
ولذلك فقد جاءت الضوابط الشرعية لرعاية المصلحة كثيرة ، وستتم دراستها حسب النقطتين التاليتين :

أولاً : الضوابط المتعلقة بالداعية في رعاية المصلحة .

ثانياً : الضوابط العامة لرعاية المصلحة في التأليف .

أولاً : الضوابط المتعلقة بالداعية في رعاية المصلحة :

هناك عدة ضوابط لرعاية المصلحة في التأليف ، وهذه الضوابط تتعلق بالداعية نفسه ، فعليه أن يراعي هذه الضوابط ويتنبه لها أثناء استخدامه أسلوب التأليف ، وهي كما يلي :

١ - أن يغلب على ظنه وجود مصلحة ، مع رجحان تحققها

لم يكن - ﷺ - يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه ^(١) ، وقد تضافرت نصوص من السنة والسيره النبوية تؤكد منهج رسول الله - ﷺ - في هذا الصدد ^(٢) ، ولكن حين لا

(١) سبق تخريجه : ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) انظر : الفصل الثاني من هذه الدراسة : ص ١١٢ وما بعدها .

يكون هناك مصلحة راجحة فإن الأمر يختلف تقديره ، وهذا ما جعل رسول الله - ﷺ - يمنع حتى قطعة جريدة^(١) من نخل كانت في يده ، لأنه لا فائدة من العطاء ، كما حصل مع مسيلمة الكذاب^(٢) .

ومما يؤكد هذا الضابط أنه - ﷺ - تألف قلوب اليهود بعد خيبر فأبقاهم على الأرض ، ولهم نصف الثمر ، ولكن لما رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لم يعد هناك نفع مما استألفهم به رسول الله - ﷺ - أجلاهم عن الأرض بعد أن أخبر الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك ، ولم يخالفه أحد ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا ، قال : فعُدي عليّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت^(٣) يداي من مرفقي ، فلما أصبحت استُصرخ عليّ صاحبائي فأتياني ، فسألاني : من صنع هذا بك ؟ قلت : لا أدري . قال : فأصلحنا من يدي ثم قدموا بي على عمر ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله - ﷺ - كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يده كما بلغكم ، مع عدوانهم على الأنصار قبله ، لا نشك أنهم أصحابهم ، ليس لنا هناك عدوٌ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فأتى يهود ، فأخرجهم^(٤) .

وعلق الشيخ محمد بن عثيمين على « زاد المستقنع » فقال : « وعلم من قوله « يرجي إسلامه » أن من لا يرجي إسلامه من الكفار فإنه لا يعطى أملاً في إسلامه ، بل لا بد أن

(١) الجريد : سَعَف النخل ، الواحدة للجريدة ، ولا تسمى بذلك إلا إذا جُرِّد عنها خوصها . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٩٦/١ .

(٢) سبق تخريجه : ص ٢٠٤ .

(٣) الفَدَع : عَوَج في المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها ، انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٦٧٧/٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ١٥/١ قال أحمد شاكر : « إسناده صحيح » ، انظر ، شرح المسند ، ٩٠/١ . وأخرج البخاري معاملة اليهود في خيبر ، كتاب : فرض الخمس ، باب : ما كان النبي - ﷺ - يعطي المؤلفَةَ قلوبهم ... ، حديث رقم (٣١٥٢) ، ٦٦٥ .

تكون هناك قرائن توجب لنا رجاء إسلامه ... والرجاء لا يكون إلا على أساس ؛ لأن
الراجي للشيء بلا أساس ، إنما هو متحيل في نفسه» (١) .

وعند استقراء كلام الفقهاء حول التأليف ، فإنه يلاحظ أنهم ينصون على أنه لا بد
من رجاء تحقق المصلحة والمقصود ، فلا يكفي أن يكون مجرد قصد أو هدف ، بل لا بد من
غلبة الظن أن يتحقق القصد ، والله أعلم .

وقال القحطاني : فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخاً قوياً ،
فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه للاحتفاظ بالبقاء على الهداية للإسلام ، وقد شرع الله
للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة ، وقد كان رسول الله - ﷺ - يسلك هذا المسلك ، فيؤثر
حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال ، إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ (٢) .

قال - ﷺ - : « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه ، خشية أن يكبه الله في
النار على وجهه» (٣) .

٢ - الحذر من تجاوز الحدود الشرعية في التأليف :

تنبع أهمية هذا الضابط من أن أغلب الناس من الآباء قد يتجاوز المحرمات عند
تأليف قلوب بعض الأبناء دون بعض مع عدم وجود الداعي إلى ذلك .

إن العدل في الهبة بين الأبناء واجب ؛ فيجب عند التأليف أن لا يتجاوز ما حرم من
المجور في القسمة بين الأولاد ، فالرسول - ﷺ - أنكر على بشير - رضي الله عنه -

(١) الشيخ ابن عثيمين ، الشرح المتع على زاد المستقنع ، ٢٢٦/٦ .

(٢) محمد سعيد القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ١٠٩ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٥٥ .

عندما أراد أن يقسم النعمان لابنه ، دون بقية إخوانه ، فقال - ﷺ - : « أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ » . قال : لا . قال : « فلا تشهدني إذاً ، فإنني لا أشهد على جور » (١) .

فكل تأليف تجاوز به الداعية حدود الشرع وجب عليه أن ينظر في أمره وأن لا يمضي هذا التأليف (٢) .

٣ - أن يدخل التأليف في سلم الأولويات عند الداعية :

يحسن بالداعية أن يُعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية ، ولذلك فإنه يجب عليه أن يراعي الأولوية فيما يتعلق بأمر الدعوة ، ومنها تأليف القلوب .

إن مبدأ مراعاة الأولويات الدعوية ، أوضحه الرسول - ﷺ - ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - ﷺ - قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها ، قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » (٣) .

ولقد علم رسول الله - ﷺ - معاذ بن جبل الأولويات الدعوية التي يجب أن يراعيها في دعوته عندما أرسله إلى اليمن ، فقال - ﷺ - : « إنك تأتي قومًا أهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ... » (٤) .

والداعية عليه أن يراعي الأولوية الدعوية في استخدامه لهذا الأسلوب ، والأولوية

(١) أخرجه مسلم ، كتاب : الهبات ، باب : كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، حديث رقم (١٦٢٣) ، ٧٢/١١ .

(٢) انظر : خالد الصقعي ، مسائل في الهبة والهدية ، ٢٧ ، ط : الأولى ١٤١٧ هـ ، دار المسلم ، الرياض .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٣٤ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : وجوب الزكاة ، حديث رقم (١٣٩٥) ، ٢٩٤ . وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ،

باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، حديث رقم (١٩) ، ٣١٠/١ .

في التأليف تراعى من خلال ما يلي :

أ - الأولوية بين التأليف وبقية مصارف الزكاة الأخرى .

ب - الأولوية بين المصالح والمقاصد الدعوية المتحققة من التأليف .

ج - الأولوية بين الإنفاق للتأليف ، أو أمور الدعوة الأخرى التي تتطلب النفقة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وأما المصارف : فالواجب ، أن يبدأ في القسمة بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين العامة ، كعطاء من يحصل للمسلمين به منفعة عامة»^(١).

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : «والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ... فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته»^(٢).

وقد ذكر بعض الفقهاء والعلماء^(٣) في تعريف المؤلفات قلوبهم أنهم السادة المطاعون في عشائرهم ، والسبب في ذلك - والله أعلم - أن هذا الأمر مندرج تحت هذا الضابط ، فما يحصل من المصالح في تأليف السادة المطاعين أنفع للمسلمين من تأليف غيرهم ، فكانوا أولى بالاهتمام ، وحظوا بنصيب وافر من عطاء رسول الله - ﷺ - .

قال الشيخ ابن عثيمين : «ولأن الواحد من عامة المسلمين لا يضر المسلمين عدم إيمانه أو ضعف إيمانه ، ولا يضر المسلمين شره ، ... ، بخلاف الكبراء والوجهاء ، فإنه قد

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٢٨٦/٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

(٣) للوقوف على بعض التعاريف ، انظر : الفصل الأول من هذه الدراسة ص ٢٣ - ٢٩ ، وكذلك : د. عمر الأشقر تأليف

القلوب على الإسلام ، ١١-١٣ ، ٥٤ .

يتعذر ذلك في حقهم ، فيعطون من الزكاة لتأليف قلوبهم»^(١).

وقال الدكتور عمر الأشقر : «ولا يجوز أن يفقه من كلامنا أن الإنفاق في هذا المجال - تأليف القلوب - مطلق غير محدود ولا مقيد ، فإن تأليف القلوب على الإسلام يمكن أن يستغرق أموال الزكاة كلها ، ولذا يجب أن يدخل الإنفاق على المؤلف في سلم الأولويات ، بحيث يواءم بين هذا المصرف وغيره من المصارف ... ثم إن الإنفاق على المؤلف قلوبهم ليس قصراً على مال الزكاة لا يتعداه ، بل إن الملاحظ من خلال النصوص أن القسط الأكبر الذي دفع للمؤلفة في عهد الرسول - ﷺ - من غير أموال الزكاة ، ... وعلى كل فيجب الموازنة في الإنفاق بين الجهات المختلفة التي تحتاج إلى المال ...»^(٢).

٤ - عدم الإسراف والزيادة في كمية مادة التأليف عن قدر الحاجة :

ويقصد بذلك أن يعطي الداعية المدعو ما يتحقق به استمالته لا يزيد على ذلك ؛ لأن الزيادة فيها مساوية كثيرة منها : عدم تغطية جوانب دعوية أخرى تحتاج إلى المال ، وتعويد المؤلف على الزيادة مما قد يحدث له فساد نية وضعف إيمان بسبب تطلعه واستشرافه لذلك .

والرسول - ﷺ - أعطى رجلاً غنماً بين جبلين^(٣) ، وأعطى صفوان وبعض زعماء قريش مائة من الإبل^(٤) ، كما أعطى غيرهم أقل من ذلك ، بل أعطى الحجام طعاماً ، وطلب أن يخفف من غلته^(٥) .

(١) الشيخ ابن عثيمين ، الشرح المتع على زاد المستقنع ، ٢٢٧/٦ .

(٢) د . عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام ... ، ٦٥-٦٦ .

(٣) سبق تخريجه : ص ٥٠-٥١ .

(٤) سبق تخريجه : ص ٥٢ ، ١٢١-١٢٣ .

(٥) سبق تخريجه : ص ١٤٨ .

وكان - ﷺ - يعطي المال ، فإذا لم يتحقق المقصود من العطاء ، وهو تأليفه ، زاده إلى أن يتحقق ، مثل ما حصل مع أبي سفيان وعباس بن مرداس^(١) ، ومع الرجل الذي أعطاه تمرة ، فقال : سبحان الله تمرة من رسول الله ، فزاده - ﷺ - أربعين درهماً^(٢) .

فينبغي أن يكون التأليف على قدر الحاجة ، وأن يكون باعتدال دون إسراف ، قال الشيخ محمد بن عثيمين : « فيعطي من الزكاة ما يتحقق تأليفه به ، فإذا مال إلى الإسلام مثلاً ، وعرفنا منه قوة الإيمان ، أو كف شره إذا كان من السادة المطاعين في عشائهم ، فإننا لا نعطيه لأن ما علق بوصف يثبت بثبوت ، ويزول بزواله »^(٣) .

ثانياً : الضوابط العامة لرعاية المصلحة في التأليف :

هناك عدة ضوابط لرعاية المصلحة في التأليف ، وهذه الضوابط تتعلق بعموم أركان الدعوة ، ما عدا الداعية ، وعليه مراعاة هذه الضوابط العامة عند استخدامه أسلوب التأليف ، وهي كما يلي :

١ - أن يستغل التأليف في توجيه المدعو وتعليمه :

على الداعية أن يوظف عملية التأليف في توجيه المدعو إلى الخير وتعليمه ما يناسبه حال تلك العظيمة ، ذلك أن المدعو سيكون سريع التأثر بما يقوله الداعية ، لأن الإنسان بحكم ما جبل عليه محب لمن يحسن إليه ، مطيع له في الغالب ، فتفويت فرصة كهذه قد يخسر الداعية فيها الكثير من الوقت والجهد لتعليمه فيما بعد .

(١) سبق تخريجه : ص ١٢٢، ١٨٣ .

(٢) سبق تخريجه : ص ١٨٣ .

(٣) الشيخ ابن عثيمين ، الشرح المتع على زاد المستقنع ، ٢٢٨/٦ .

لقد علم رسول الله - ﷺ - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ما جهله من حكمة العطاء له ، فقال : « خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ ، وما لا تتبعه نفسك »^(١) .

وهذا العطاء الذي أعطيه عمر إنما كان نظير ما قدمه عمر من جهد وعمل دعوي ، فقد كان عاملاً لرسول الله - ﷺ - ، وقد تولى أعمالاً كثيرة قام بها - رضي الله عنه - خير قيام .

ونفس هذا الموقف حصل لعمر مع عامله ابن السعدي ، فأخبره عمر ، وعلمه ، وأوضح له ما استشكل عليه من الأخذ وأعطاه^(٢) .

ولما ألحَّ حكيم بن حزام - رضي الله عنه - على رسول الله - ﷺ - في العطاء ، وأكثر من ذلك ، علمه الرسول - ﷺ - ما يناسبه في تلك الحال ، فقال له : « يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى »^(٣) .

ولما من رسول الله - ﷺ - على أخت عدي بن حاتم - رضي الله عنهما - ، وأخبرت أباها بذلك ، فلما قدم على رسول الله - ﷺ - أسلم عدي ، وقد كان نصرانياً ، قال له رسول الله - ﷺ - : « إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى »^(٤) .

ولما أسر ثمامة - رضي الله عنه - أحسن رسول الله - ﷺ - إيساره ، وأمر له بطعام وشراب ، وأخذ - مع هذا التأليف - يلاطفه الحديث ويدعوه إلى دين الله ، فكانت

(١) سبق تخريجه : ص ١٤٣ .

(٢) سبق تخريجه : ص ١٤٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : الاستعفاف في المسألة ، حديث رقم (١٤٧٢) ، ٣١١ ، وزخرجه مسلم ،

كتاب : الزكاة ، باب : بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، حديث (١٠٣٥) ، ١٣٢/٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، المسند ، ٣٧٨/٤ - ٣٧٩ .

استجابته المباشرة رضي الله عنه (١).

ولم يكن هذا الاستغلال العظيم منه - ﷺ - فقط في تأليف قلوب الأفراد ، فإن أناساً من الأنصار لما سألوا بإلحاح ، أعطاهم حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم : « ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر » (٢).

فإذا كان الأمر كذلك ، فإن على الدعاة أن يستغلوا التأليف في تعليم الناس وتوجيههم ودعوتهم إلى الخير .

٢ - أن لا يكون التأليف سبباً في انشغال المدعو عن واجبات دعوية :

من الحكمة لدى الداعية أن يراعي المصلحة الدعوية ، فإذا كان إعطاؤه المال للمدعو ، سيشغله عن واجبات دعوية أخرى تحتاجه فيها الدعوة ، فعليه أن لا يتألفه ، أو أن يؤجل العطاء ، أو أن يتألفه بما لا يكون مشغلة عن تلك الواجبات .

٣ - أن لا يتألف الأفراد بما يخل بالمصلحة العامة :

عندما يريد الداعية أن يتألف قلوب بعض الناس ، فعليه أن يتأكد من أن هذا العطاء لا يؤثر على المصلحة العامة للناس ، لأن مصلحتهم مقدمة على مصلحة الفرد أو حتى الجماعات الصغيرة ، وهذه من فقه الأولويات لدى الداعية .

إن هذا الضابط هو ما دفع عمر إلى استرداد أرض العراق من قبيلة بجيلة ، وقد

(١) سبق تخريجه : ص ١٢٨ .

(٢) سبق تخريجه : ص ١٣٩ .

كان تألفهم بها عندما افتتحوها لكثرتهم في الجيش^(١).

إن منهج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في العطاء والإقطاع يؤكد ضرورة مراعاة الداعية لهذا الضابط في التأليف . ومن ذلك ما يلي :

١ - رفضه - رضي الله عنه - أن يختم الكتاب الذي أقطع فيه أبو بكر لطلحة بن عبيد الله - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -^(٢).

٢ - لما طلب منه رجل من أهل البصرة أن يقطعه أرضاً لا تضر بأحد من المسلمين ، كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : «إن كانت كما يقول فأقطعها إياه»^(٣).

ومما يدل على أهمية هذا الضابط أن رجلاً يقال له سليط من الأنصار - رضي الله عنهم أجمعين - أقطعه رسول الله - ﷺ - أرضاً ، فكان يخرج إليها ، فيقيم بها أياماً ، ثم إذا رجع قيل له : لقد نزل من بعدك من القرآن كذا وكذا ، وقضى رسول الله - ﷺ - في كذا وكذا ، فانطلق إلى رسول الله - ﷺ - فقال : يا رسول الله ، إن هذه الأرض التي اقطعتنيها ، قد شغلتنني عنك ، فاقبلها مني ، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك ، فقبلها منه الرسول - ﷺ - ، فأقطعها الزبير - رضي الله عنه -^(٤).

فإذا كان التأليف بشيء يشغل المدعو عن واجبات الدعوة كالتعلم ، والتربية ، والجهاد والمصالح العامة ، فإن على الداعية - والحالة هذه - أن يغير مادة التأليف بما لا يشغل المدعو عن تلك الأمور المهمة^(٥).

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأموال ، ٣٦ ، وانظر : د. حسين آل الشيخ ، مصرف المؤلف قلوبهم ... ، ٧٩ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأموال ، ٢٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ٢٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ٢٥٣ .

(٥) انظر : د. حسين آل الشيخ ، مصرف المؤلف قلوبهم ... ، ٧٩ - ٨٠ .

٤ - عدم التفضيل في التأليف الجماعي بدرجة تفسد بين المدعويين :

على الداعية أن يراعي عند استخدامه التأليف لجماعة من الناس أن لا يفاضل بينهم، حتى لا يحدث هناك تنافس وتحاسد يدفع إلى مفسدة أخرى ، هي فساد ذات بينهم بسبب التأليف أو أن يظن بالداعية سوءاً ، ولكن إن رأى الداعية ضرورة ذلك مع إدراك المدعويين لهذا الفرق وأسبابه ، فلا بأس بذلك ، شريطة الاستعداد لعلاج النتائج المحتملة .

لما قسم رسول الله - ﷺ - بين الطلقاء بعد حنين وأعطى أناساً أكثر ، مئز وفاضل بينهم في القسمة ، لوجود ما يبرر ذلك ، لأن من فضلوا إنما هم من صناديد قريش وأكابر الناس ، فكان الأمر طبعياً جداً ، ولكن لما أن كانت المفاضلة بين الأقران من زعماء القبائل حصل أن تكلم أحدهم ، وقارن نفسه بأقرانه مما أحدث في قلبه عتياً ، ولكن بحكمة الداعية المعلم ، باشر الرسول - ﷺ - تسويته بأقرانه حتى لا يتطور العتب في نفسه^(١) .
فعن رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال : أعطى رسول الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك ، فقال عباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

فما كان بدر ولا حابس يقوفان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال : فآتم له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مائة^(٢) .

ولذلك فإن على الداعية أن يراعي هذا الضابط ، لاسيما في المجالات التربوية

(١) انظر : حمود بن جابر الحارثي ، دعوة النبي - ﷺ - للأعراب ، ٢٦٤ ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة .

(٢) سبق تخريجه : ص ١٢٢ .

كحلق القرآن ، أو المدارس ، فلا يميز في العطاء إلا بمبرر ، كتفوقه في التحصيل وتأدبه في السلوك والخلق^(١) .

٥ - عدم التأليف في مواضع الشدة والحزم :

إن تأليف القلوب يعتبر من استخدام أسلوب الدين والرفق بالمدعو ، ولكن هناك حالات تتطلب من الداعية أن يظهر الشدة والحزم في دعوته وأن يبتعد عن اللين ، ومن هذه الحالات عناد المدعو أو استخفافه بالدعوة .

فعلى الداعية عندما يكون في حالة كهذه أو مشابهة أن لا يتألف القلوب بما يتعارض مع الموقف المطلوب من الداعية بل عليه أن يظهر الشدة في الأمر إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك^(٢) .

٦ - الاعتدال في استخدام الأسلوب :

كما أن على الداعية أن يتوسط في مقدار ما يعطي للمدعو ، لكي لا تحصل آثار سيئة ، فإن على الداعية أن يعتدل ويتوسط في استخدام نفس الأسلوب في دعوته ، فلا يستخدم التأليف إلا إذا ثبت عند الداعية الجدوى من الاستخدام .

إن رسول الله - ﷺ - لما جاءه وفد هوازن تائبين مسلمين ، أراد أن يتألفهم ، ولكنه في نفس الوقت لم يرد إليهم إلا السبي^(٣) . ثم إن السيرة العملية لرسول الله - ﷺ - في دعوته أنه لم يتألف إلا في حال يكون التأليف هو الأنفع والأمثل في الدعوة . ولا يفهم من هذا القول أنني أقصد عدم الإكثار من الدفع للتأليف ، ولكن المقصود أن يكون بما يثبت فيه بالفعل تحقيق المصلحة ، وإن كثر ، فهذا هو الاعتدال المقصود .

(١) انظر : د. علي بن إبراهيم الزهراني ، مهارات التدريس في الحلقات القرآنية ، ٨٤-٨٥ ، ط: الأولى ١٤١٨ هـ ، دار ابن عفان ، الخبر ، السعودية .

(٢) انظر : د. فضل إلهي ، من صفات الداعية : الرفق واللين ، ٣٩-٤٩ ، ط: الثانية ١٤١٢ هـ ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان

(٣) سبق تخريجه : ص ١٦١ .

وأخيراً ، فإن على الداعية أن يراعي هذه الضوابط كلها عند تقديره للمصلحة ورعايتها ، وكذلك ضوابط صواب غاية التأليف ، وضوابط سلامة الوسيلة ، حتى يكون لتأليفه آثار إيجابية للدعوة الإسلامية ، ويسلم - بإذن الله - من الآثار السلبية ، والتي تحصل عندما يتألف الداعية دون نظر لهذه الضوابط ، أو أن ينظر إلى بعضها دون بعض. والآثار الإيجابية للتأليف كثيرة ، منها ما هو مباشر ، ومنها غير المباشر ، وهذا ما سيكون موضع الدراسة والبحث في الفصل الرابع ، بإذن الله تعالى .

الفصل الرابع آثار تأليف القلوب

المبحث الأول
آثار التأليف المباشرة

المبحث الثاني
آثار التأليف غير المباشرة

الفصل الرابع

آثار تأليف القلوب

إن لمعرفة الآثار الدعوية لتأليف القلوب أهمية كبيرة ، وقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يبين تلك الأهمية ، وقد قسمت هذا الفصل إلى تمهيد ومبحثين :

التمهيد : مفهوم آثار تأليف القلوب وأهميتها .

المبحث الأول : آثار تأليف القلوب المباشرة .

المبحث الثاني : آثار تأليف القلوب غير المباشرة .

المطلب الأول مفهوم آثار تأليف القلوب

نمهيّد :

المفهوم اللغوي :

قال ابن منظور : «الأثر بقية الشيء ، والجمع آثار ... والأثر بالتحريك : ما بقي من رسم (١) الشيء» (٢).

والأثر : العلامة ، وهو النتيجة الحاصلة من الشيء ، أو حصول ما يدل على وجود الشيء (٣).

إذاً فآثار تأليف القلوب ما يحصل بسبب استخدام أسلوب تأليف القلوب من نتائج دعوية .

المفهوم الاصطلاحي :

يقصد الداعية باستخدامه أسلوب تأليف القلوب استمالة قلب المدعو لتحصيل المقاصد الدعوية التالية : «الدخول في الإسلام ، زيادة الإيمان ، الحماية من الردة ، جلب المصلحة العامة ، كف الشر» فإذا تحقق للداعية ما يقصده ، فقد حصل أثر التأليف .

ومن خلال المدلول اللغوي فإن المقصد لا يسمّى أثراً إلا بعد تحققه ، ولكن قد يحصل بسبب استخدام أسلوب التأليف نتائج إيجابية غير تلك المقاصد الدعوية فهي من آثار التأليف .

غير أن ما ينتج من الآثار بشكل مباشر يمكن أن يسمّى أثراً مباشرة كالمقاصد

(١) «الرسم» هو : الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت . انظر : د. إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٣٤٥/١ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/٤ ، وانظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٥٣/١ .

(٣) انظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات ، ٩ ، وانظر : إبراهيم مصطفى ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ٥/١ .

الدعوية ، وأما ما ينتج من الآثار بشكل غير مباشر ، فهذه تسمى آثار غير مباشرة .
ويحسن التنبيه إلى أنه لا يلزم من استخدام أسلوب تأليف القلوب حصول الآثار الدعوية ،
فربما يستخدم الداعية أسلوب تأليف القلوب لاستمالة قلب المدعو ولا يتحقق أي أثر، بل
ربما حصلت آثار عكسية لا يريدها الداعية^(١). وهذا لا يخل بدعوته ، ولا يقدر في
استخدامه لهذا الأسلوب ، وذلك إذا ما كان الداعية مراعيًا لضوابط التأليف .

(١) كما حصل مع أناس لما آوهم النبي - ﷺ - وكانوا مرضى فأمر - ﷺ - لهم بلقاح أي ناقة من إبل الصدقة وكان قد أمرهم أن يخرجوا إليها ، لكي يشربوا من أبقائها وألبانها إلى أن شفوا ، فالنتيجة الحاصلة أنهم قتلوا الراعي وارتدوا عن الإسلام وسرقوا إبل النبي - ﷺ - ، والحديث أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها ، حديث رقم (٢٣٣) ، ٦٦ ، وأخرجه مسلم ، كتاب القسامة ، باب حكم المحارين والمرتدين ، حديث رقم (١٦٧١) ، ١٦٥/١١ .

المطلب الثاني

أهمية دراسة آثار تأليف القلوب

أشار القرآن الكريم إلى عظيم أثر تأليف القلوب ، فقال تعالى : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم »^(١) .

إن الأمر بالمدافعة بالتي هي أحسن متضمن للتأليف بنوعيه - المادي والمعنوي - إذ الأمر بالمدافعة بالأحسن يقتضي الترقى في درجات التأليف إلى الأكثر والأجدي نفعاً ، ولو ثبت أن التأليف حسياً أنفع وأجدي لكان مأموراً به .

وقد أخبر - سبحانه وتعالى - عن الأثر العظيم للتأليف ؛ وذلك بتحويل العداوة إلى محبة وأخوة « فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

قال الإمام القرطبي : « أي قريب صديق » ثم نقل عن مقاتل أنه قال : نزلت في أبي سفيان بن حرب : « كان مؤذياً للنبي - ﷺ - فصار له ولياً بعد أن كان عدواً بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي - ﷺ - ، ثم أسلم فصار ولياً في الإسلام حميماً في القرابة »^(٢) .

قال الحافظ ابن كثير : « أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قاداته تلك الحسنة إليه إلي مصافاتك ومحبتك والحنو عليك ، حتى يصير كأنه وليٌ لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك »^(٣) .

وقال الشيخ صديق حسن خان : « هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن ، والمعنى أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق ، والبعيد عنك كالقريب

(١) سورة فصلت : ٣٤ .

(٢) الإمام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٤٦/١٥ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٠٤/٤ .

منك»^(١).

وقد أخبر - سبحانه وتعالى - أن التأليف بالمال له أثر في رضا المدعو وكف شره ، وعدم التأليف له أثر معاكس حيث إن المدعو ربما أصابه السخط والغضب ، كما قال -تعالى - : «ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون»^(٢).

قال الشيخ صديق حسن خان : «ومعنى الآية : ومن المنافقين من يعيبك «في الصدقات» أي الزكوات أو الغنائم وتفريقها وقسمتها «فإن أعطوا منها» أي من الصدقات بقدر ما يريدون «رضوا» بما وقع من رسول الله - ﷺ - ولم يعيبوه ، وذلك لأنه لا مقصد لهم إلا حطام الدنيا وليسوا من الدين في شيء...»^(٣).

ولأهمية معرفة أثر التأليف بالمال ، فقد أوضح الصحابي الجليل أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه - هذا الأمر فقال : «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(٤).

ولشدة أثر التأليف في نفس صفوان بن أمية - رضي الله عنه - فقد أوضح لنا أهمية ذلك فقال : «والله لقد أعطاني رسول الله - ﷺ - ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»^(٥).

إن معرفة أثر التأليف له أهمية كبيرة حيث إن معرفة الداعية لذلك مما يشجعه ويدعوه لبذل مزيد من الجهد في تحقيق أكبر قدر ممكن من الآثار الطيبة باستخدامه أسلوب التأليف في دعوته .

(١) الشيخ صديق حسن خان ، فتح البيان ، ٣٣٤/٨ .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الشيخ صديق حسن خان ، فتح البيان ، ١٤٦/٤ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٥٠ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ٥٣ .

وقد وجد لتأليف القلوب في العصر النبوي آثار دعوية كثيرة مباشرة ، وغير مباشرة ، ويحسن بالداعية أن يتعرف عليها لما فيها من الفوائد والدروس الكثيرة التي تنير له طريق دعوته إلى الله -تعالى- . ولذلك فستكون الدراسة في هذا الفصل كما في المبحثين التاليين :

المبحث الأول : آثار التأليف المباشرة .

المبحث الثاني : آثار التأليف غير المباشرة .

المبحث الأول آثار التأليف المباشرة

المطلب الأول

آثار التأليف المباشرة في العصر النبوي

المطلب الثاني

آثار التأليف المباشرة في العصر الحاضر

المبحث الأول

آثار التأليف المباشرة

إن الآثار المباشرة لأسلوب تأليف القلوب في الدعوة إلى الله - تعالى - هي ما يتحقق من المقاصد الدعوية للتأليف ، حيث يقصد الداعية باستخدامه أسلوب التأليف - دخول المدعو في الإسلام ، أو زيادة إيمانه ، أو حمايته من الردة ، أو جلب مصلحة عامة ، أو كف شره .

وقد جاءت النصوص الشرعية شاهدة بحصول بعض هذه المقاصد الدعوية ، وسأقوم برصد بعض هذه الآثار محاولاً الاستفادة منها فيما يتعلق بالواقع الدعوي المعاصر ، ولذا فستكون الدراسة في هذا المبحث كما في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : آثار التأليف المباشرة في العصر النبوي .

المطلب الثاني : آثار التأليف المباشرة في العصر الحاضر .

المطلب الأول

آثار التأليف المباشرة في العصر النبوي

لقد كان لأسلوب تأليف القلوب في دعوة النبي - ﷺ - عظيم الأثر في تحقيق الآثار الدعوية المباشرة والتي هي المقاصد من التأليف ، وسأقتصر في كل أثر على بعض الشواهد .

أ - الدخول في الإسلام :

لقد كان دخول الناس في دين الله ، من أبرز الآثار المباشرة لأسلوب التأليف ، فقد أثر على الأفراد والجماعات من الناس فكان سبباً في هجرهم الكفر والشرك والدخول في دين الله - تعالى - .

ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أن النبي - ﷺ - من على قريش بعد الفتح ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »^(١) . وذهب مع النبي - ﷺ - لحنين من هؤلاء الطلقاء ألفا رجل ، وكثير منهم قد دخل الإسلام ، وأيضاً تألف النبي - ﷺ - قلوب الأفراد للدخول في الإسلام ، ومن هؤلاء أبو سفيان وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن ، وعباس بن مرداس ، والأقرع بن حابس^(٢) .

وكذلك تأليف النبي - ﷺ - لأبي العاص بن الربيع زوج ابنته - رضي الله عنهما - ، حيث أثر هذا التأليف في نفسه فدخل في الإسلام ، ثم ذهب إلى مكة ، فلما سلم لأهل مكة بضاعتهم ، قال : أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤/٤٣ . وأيضاً : د. مهدي رزق الله ، السيرة النبوية ، ٥٦٩ ، وقد ذكر أن إسناده فيه جهالة .

(٢) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤/٦٦٥ وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٨/٨ .

تخوفاً أن تظنوا أنني إنما أسلمت لأذهب بأموالكم ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله» (١).

وأيضاً كان سبب إسلام مالك بن عوف النصري ، ملك هوازن ، أن رسول الله - ﷺ - أمر أن يخبروه بأنه إن أتاه مسلماً رد عليه أهله وماله ، وزيادة مئة بغير ، فأخبر مالك فخرج مباشرة إلى رسول الله - ﷺ - فأسلم (٢).

وأيضاً كان إسلام ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - بسبب تأليف الرسول - ﷺ - قلبه ، وقد تألفه بإحسان أساره ، والأمر له بأحسن الطعام والشراب ، وأن يغدى عليه بناقته كل يوم ، وأخيراً من عليه بنفسه فأطلق سراحه ، فكان الأثر المباشر لذلك التأليف، حيث خرج من المسجد فاغتسل ثم رجع ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره الرسول - ﷺ - وأمره أن يعتمر (٣).

وكذلك كان سبب إسلام سفانة بنت حاتم الطائي ، حيث أطلق سراحها لمكانة أبيها وتأليفاً لقلبها ، ثم حملها عند سفرها ، وقد كان هذا سبباً لإسلامها مباشرة (٤).

فإذا كان أثر التأليف المباشر كما سبق مع أناس لهم مكانتهم في قومهم ، فإن تأثير

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٣.

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢٥.

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٢٨.

(٤) سبق تخريجه ، ص ١٢٩.

التأليف المباشر مع عامة الناس والأعراب سيكون أقوى ، كما كان مع الأعرابي الذي باغت رسول الله - ﷺ - وهو نائم ، فأراد قتله فمنعه الله - سبحانه - ثم من عليه رسول الله - ﷺ - بنفسه فلم يعاقبه ، فكان هذا سبباً في إسلامه ^(١) .

٢ - زيادة الإيمان :

كان الرسول - ﷺ - يتألف قلوب قومٍ ضعيفٍ إيمانهم ، أو لحدائثة عهدهم ، فمن ذلك تأليفه لقلوب قبيلة هوازن لما أسلموا وتابوا إلى الله رد عليهم رسول الله - ﷺ - سبيهم وأولادهم ، فكان سبباً مباشراً لزيادة إيمانهم وتمسكهم بالإسلام ، ولذلك لما أمرهم أن يخبروا أميرهم مالك بن عوف ويدعونه للإسلام ، قاموا بذلك مباشرة ^(٢) .

ويظهر هذا الأثر المباشر جلياً في تخصيص بعض الأعراب بشيء من العطاء ، أو الزيادة فيه على غيرهم ، كما كان ذلك بعد حنين ، مع عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وعباس بن مرداس ، وقد كانوا أسلموا من قبل ، لكن هذا العطاء كان السبب المباشر في ثباتهم وزيادة إيمانهم ^(٣) . وكان حكيم بن حزام قد أسلم بعد الفتح ، ولكنه لما استزاد رسول الله - ﷺ - من العطاء زاده ، فحصل الأثر المباشر وهو زيادة إيمانه ورسوخ قدمه في الإسلام ، فكان بعد ذلك من أشرف الصحابة ^(٤) - رضي الله عنهم أجمعين - .

(١) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٢٨/٧ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢٥ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٢٢ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٢٢٠ .

٣ - حماية المدعو من الردة :

لقد كان من الآثار المباشرة التي تحققت حماية بعض الناس من الردة عن الدين بعد الدخول فيه ، ولعل من ذلك ما حصل من ثبات الطلقاء بعد المنّ عليهم في فتح مكة ، فعلى الرغم من مصابهم وحادثة عهدهم بالإسلام فقد ثبتوا ولم يتراجعوا ، وحيث إن الطلقاء كانوا قريباً من ألفي رجل ، فيحتمل أن يكون من بينهم من أظهر الإسلام خوفاً أو طمعاً ، فكان العطاء الذي أعطوه بعد حنين عاملاً مباشراً في ثباتهم وعدم ردتهم^(١) .

وقد تقدم ما يثبت حادثة عهدهم وعدم تمكن الإسلام من قلوبهم ، بل قريهم من الشرك والكفر بالله ، ومع ذلك ثبتوا على الإسلام بسبب التأليف^(٢) .

وكذلك أمر قبيلة هوازن كان المقصد زيادة إيمانهم وحمايتهم من الردة لأنهم جاؤوا تائبين مسلمين ، وقد طمعوا من رسول الله - ﷺ - أن يرد عليهم السبي والأموال ، فلم يظفروا منه إلا بالسبي ، فكان الخوف عليهم من الردة وارداً لحادثة عهدهم بالإسلام ولقربهم من مصاب كبير ، ولذلك تألفهم بطلب رد السبي إليهم ، فكان هذا سبباً في ثباتهم وعدم ردتهم^(٣) .

وقد خص - ﷺ - بزيادة في العطاء بعد حنين لأشخاص خاف عليهم من الردة ، فأثر هذا الأمر أثراً مباشراً وتحقق ثباتهم على الإسلام ، ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعباس بن مرداس - رضي الله عنهم أجمعين^(٤) .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢١ .

(٢) انظر بعض الشواهد لذلك ، ص ١٦٠ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٦١ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ١٢٢ .

وكرر - ﷺ - العطاء مرة أخرى لعيينه بن حصن ، والأقرع بن حابس ، ثم أعطى
علقمة بن علاثة وزيد الخير الطائي ^(١) ، وقد أثر هذا العطاء تأثيراً مباشراً في ثباتهم
وعدم ردتهم عن الإسلام .

٤ - جلب المصالح العامة :

من المصالح العامة التي تحققت مباشرة بسبب التأليف ما ذكره ابن عباس - رضي
الله عنهما - في المراد بالمؤلفة قلوبهم ، قال : « وهم قوم كانوا يأتون رسول الله - ﷺ -
يرضخ لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيراً قالوا : هذا
دين صالح ، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه » ^(٢) .

ويحتمل أن يكون عطاؤه - ﷺ - لصناديد نجد من أمثال عيينة ، والأقرع ،
وعلقمة ، وزيد الخير ، لجلب المصالح العامة للدعوة الإسلامية ، وإذا كان كذلك فقد حصل
الأثر المباشر من التأليف ، فأسلم بإسلامهم أقوامهم ، وجلبوا للمسلمين الزكاة ، وكفوا عن
المسلمين في المدينة شراً كثيراً كان يتوقع من قبائل العرب المحيطة برسول الله - ﷺ - ،
وأيضاً العطاء للطلاق أبرز الأثر المباشر من التأليف في جلب المصلحة العامة ، وهي
القتال مع المسلمين في حنين ، فشكّلوا مع المسلمين قوة مهابة ، بل فيه مصلحة عامة من
ناحية أخرى وهي رسوخ الإسلام وإعزاز جانبه في مكة بعد عودة رسول الله - ﷺ - إلى
المدينة .

وأما المصلحة العامة المباشرة في تأليف اليهود مادياً بتحقيق طلبهم البقاء على

(١) سبق تخريجه ، ص ١٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٥٧ .

الأرض واستزراعها بنصف الثمر ، حيث كان المسلمون مشغولين بالفتوحات ورد كيد الأعداء من كل جانب ، فكفهوم طلب المعيشة وحصلت المصلحة العامة الأهم في ذلك الوقت ، وهي التفرغ للدعوة والقتال مع رسول الله - ﷺ - (١) .

٥ - كف شر الهدعو :

لم يكن من وسيلة لكف أذى الأعراب الذين يسألون رسول الله بفحش - إلا تأليف قلوبهم بالمال ، وقد آتى هذا التأليف أثره المباشر في كف هذا الشر والأذى (٢) .

فأوضح ابن عباس - رضي الله عنهما - أن التأليف له أثر مباشر في كف الشر والأذى عن الدعوة والداعية ، ففي الأثر عنه : « فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيراً ، قالوا : هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه » (٣) .

وتحقق الأثر المباشر للتأليف في كف شر وأذى مخرمة بن نوفل - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - ، حيث كان مخرمة من أهل اللسن في الكلام وفي خلقه شيء من الشدة (٤) .

كما تحقق ذلك الأثر مع عباس بن مرداس عندما طلب الزيادة على ما أعطيه بعد حين أسوة بعيينة والأقرع بن حابس ، فقال في ذلك شعراً ربما تناقلته أسماع الناس فحصل بذلك الأذى لرسول الله - ﷺ - (٥) .

وتألف النبي - ﷺ - قلب أعرابي آذاه في قوله وفعله ، حيث لم يتأدب مع رسول - ﷺ - في حديثه وجذب الرسول - ﷺ - جذبة أثرت حاشية الرداء في عاتقه - ﷺ - ، فأمر له الرسول بعطاء (٦) . فينكف شر هذا وأمثاله مباشرة عن أن يتكرر الأذى منهم مرة أخرى .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٧١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٨١ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٧٧ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ١٨٢ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ١٨٣ . (٦) سبق تخريجه ، ص ١٨٤ .

وقد أمر الرسول - ﷺ - لمن أتى يتقاضاه في جمل اقترضه منه ، فأمر له بجمل سنه أفضل من سن جملة ، فحصل الأثر المباشر لهذا التأليف ، فقال : «أوفيتني أوفى الله بك»^(١). وأعرابي آخر تألفه الرسول - ﷺ - فأطلق سراحه بعد ما مكن الله منه رسوله - ﷺ - حيث تعهد أن لا يكون مع قوم يقاتلون رسول الله - ﷺ - أبداً^(٢).

إن فيما سلف من القول رصد لجملة من الآثار المباشرة التي تحققت بسبب استخدام الرسول - ﷺ - أسلوب تأليف القلوب المادي ، فهل يا ترى يمكن أن تتحقق مثل هذه الآثار فيستفاد منها في هذا العصر ؟

والإجابة على هذا التساؤل ستكون موضع الدراسة في المطلب التالي .

(٤) سبق تخريجه ، ص ١٢٧ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ١٢٥ . انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٤٢٨/٧ .

المطلب الثاني

آثار التأليف المباشرة في العصر الحاضر

فيما مرّ من الشواهد العملية في قصص السيرة النبوية لمقاصد التأليف يلحظ أن تأليف القلوب يأخذ - في الغالب - طابع إعطاء المال - عينياً أو نقدياً - للمدعو مباشرة فيستفيد منه ، ويحصل الأثر المباشر للتأليف ، أما في العصر الحاضر فإن التأليف يأخذ - في الغالب - طابعاً آخر ، حيث يصرف المال في حاجة المدعو ، عبر وسائل متعددة ، عن طريق المؤسسات الخيرية ، واللجان الدعوية ، والهيئات الإغاثية ، وإن وجد العطاء للمدعو بشكل مباشر ، ولكن ذلك بحدود ضيقة جداً .

ولعل أهم المؤسسات الرسمية والخيرية الإسلامية المستفيدة من أسلوب التأليف ما يلي : وزارة الشؤون الإسلامية ، ممثلة بمراكز توعية الجاليات ، ومراكز الدعوة والإرشاد ، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، والمؤسسات والجمعيات الخيرية كهيئات الإغاثة المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية .

وقد حققت هذه المؤسسات الدعوية والإغاثية في هذا العصر آثاراً مباشرة بسبب استخدام أسلوب التأليف ، كما تحققت في العصر النبوي ، وفيما يلي سأتطرق إلى الآثار المباشرة لأسلوب التأليف ، وذكر نماذج لبعض المؤسسات التي حققت نتائج في هذا الجانب .

١ - دخول الناس في الإسلام :

إن من أبرز الآثار المباشرة لأسلوب التأليف في العصر الحاضر - دخول الناس في الإسلام . ففي مراكز توعية الجاليات حصلت نتائج مشكورة في هذا المجال ، حيث أسلم خلق كثير من الجاليات غير المسلمة ممن قدموا للعمل في مناطق تلك المراكز الدعوية .

(١) من خلال المقابلة الشخصية مع مدير مركز توعية الجاليات بالدمام .

وقد دأبت مراكز توعية الجاليات في المملكة العربية السعودية على برامج عملية يتحقق من خلالها أسلوب التأليف ، وعلى سبيل المثال :

فإنه يقام في بعض مراكز التوعية في يوم الجمعة من كل أسبوع وجبة عشاء على نفقة المركز ، يدعى إليها عمال الشركات ، فتكون محطة التقاء بين الدعاة والمدعوين . وسبب اختيار يوم الجمعة لموافقته العطلة الرسمية لهؤلاء العمال ، كما يقام في رمضان بشكل يومي وجبة إفطار في مراكز التوعية ، وتقام أيضاً على نفقات المراكز رحلات للحج والعمرة ، وقد يصرف لبعض العمال ممن يعانون مشاكل خاصة بعض المبالغ النقدية بصفة خاصة (١) .

وقد جاءت تلك البرامج الدعوية في مراكز التوعية مراعاة للأحوال المادية الضعيفة لعمال الشركات ، وأما هيئات الإغاثة في البلاد الإسلامية ، فإنها قد حققت أثراً مباشراً بسبب التأليف ، فقد أسلم على أيديهم خلق كثير ، وبالجملة فتلك البرامج الدعوية التي يتحقق من خلالها أسلوب تأليف القلوب والتي تقوم بها مراكز توعية الجاليات ، كذلك تقوم هيئات الإغاثة العالمية في مثلها في البلاد التي لها فيها نشاط إغاثي أو دعوي .

كما تزيد هيئات الإغاثة بعض البرامج مستغلة بعض المواسم الدورية وعلى سبيل المثال :

إقامة مشاريع الإفادة من لحوم الأضاحي ، ومشاريع كسوة ، أو بطانية الشتاء .. فتصرف هذه المواد أو تقام تلك المشاريع ليستفيد منها المسلمون المتضررون بالحروب أو الكوارث الطبيعية ، وربما استفاد منها قوم لم يسلموا فكانت سبباً في إسلامهم ، أو يرون المسلمين يستفيدون من هذه المشاريع ، فيسلمون ابتغاء أن ينالهم ما نال المسلمين (٢) .

(٢) انظر : المشاريع الخيرية الكثيرة في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية : بطانية الشتاء ، الإفادة من لحوم الأضاحي ، المكتبة الإسلامية ، العودة للمدارس .

٢ - زيادة الإيمان :

إن تلك النتائج التي تحققت مراكز توعية الجاليات في البلاد الإسلامية ، أو هيئات الإغاثة العالمية ، لها متابعة مستمرة ، وذلك للاطمئنان على إيمان الداخلين في الإسلام حديثاً .

فأما مراكز التوعية فلها برامج متابعة مستمرة للتربية والتعليم ، وينتظم ذلك بشكل دوري من خلال الزيارات ، والمراسلات ، وإلقاء الدروس والمحاضرات الدينية التربوية ، ومن خلال القيام بخدمة المدعو فيما يتعلق بعمل المركز من حيث المخاطبات الرسمية اللازمة لتغيير ديانته في المحاكم الشرعية وغيرها .

وأما هيئات الإغاثة العالمية فتتم المتابعة من خلال الزيارات والمراسلات وإلقاء الدروس والمحاضرات ، كما تتم أيضاً عن طريق وسائل أخرى فتنشأ مراكز التعليم ودور التربية والمدارس الإسلامية لضم أمثال هؤلاء ممن يحتاجون إلى التعليم والتربية ، كما ترسل الهيئات الإغاثية بين آونة وأخرى مندوبين للاطمئنان والإشراف والمتابعة لتلك الآثار والنتائج^(١) .

وأيضاً فيما يتعلق بأثر زيادة الإيمان ما تقوم به الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، من خلال برامجها الدعوية .

لقد أصبحت المساجد وحلق القرآن الكريم ومدارس تحفيظ القرآن تمتلئ بالطلاب - صغاراً وكباراً - لحفظ كتاب الله ، وتعلمه ، فيترى الأبناء على كتاب الله ، ويتفرغون لحفظه ودراسته ، ودراسة سنة رسول الله - ﷺ - وهذا من أعظم ما يزيد الإيمان ويشبته ويقويه .

ولعل أبرز ما يتحقق من خلاله أسلوب التأليف في عمل جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، ما يصرف للطلاب من جوائز تشجيعية ، وحوافز مالية - نقدية وعينية - وإقامة

(١) من خلال لقاء جرى مع المشرف على أعمال لجنة مسلمي أفريقيا الإغاثية بالمنطقة الشرقية .

رحلات ترفيحية^(١).

ولعل من هذا الباب ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية بدعم سخي من حكومة المملكة العربية السعودية لإقامة المسابقة السنوية في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، حيث يصرف على ذلك المبالغ الكبيرة، للجوائز والحوافز التشجيعية للمشاركين.

٣ - حماية المدعو من الردة :

يظهر هذا الأثر المباشر للتأليف في العصر الحاضر جلياً في جهود الهيئات الدعوية العاملة في البلاد التي غزاها التنصير مثل بعض الدول الأفريقية .

إن الهيئات الإغاثية والمؤسسات الدعوية تقوم بحماية الأفراد والمجتمعات من الاغترار بالجهود التنصيرية ، فتقف تلك الهيئات سداً منيعاً في وجه الدعوات المشبوهة ضد المسلمين ، كالدعوة للتنصير ، أو الدعوات الصوفية البدعية ، أو غيرها .

ويتجلى استخدام أسلوب التأليف لتحقيق الأثر المباشر في حماية المدعو من الردة - في قيام تلك الهيئات والمؤسسات ببناء المساجد ، ورعاية الأيتام ، والمدارس الإسلامية ، وحفر الآبار ، وتوزيع الأغذية ، والملابس ، والحاجيات ، وكذلك إنشاء المستشفيات ، فتقف بعض الهيئات والمؤسسات الرسمية والخيرية بتلك الجهود المبذولة - المشكورة - مع هذه الشعوب المتضررة^(٢) .

(١) انظر : كلام الشيخ ابن عثيمين ، فتاوى في تربية الشباب ، ١٢ ، جمع عادل العبد العالي ، ط : الأولى ١٤١٨ هـ ، توزيع مؤسسة الجريسي .

(٢) انظر : أحد النماذج في مجلة المجتمع ، العدد ٥٨/١٢٩٣ ، وانظر كذلك : تقرير برنامج مكافحة العمى في العالم الإسلامي ، لعام ١٤١٣/١٤١٤ هـ .

٤ - جلب المصالح العامة :

كثير من الأعمال الخيرية الدعوية أو الإغائية ، ربما لا يكتب لها التوفيق ، وذلك بسبب ما يسود في بعض البلاد من سيطرة القبائل ، وحالة الفقر المدقع ، والجهود المشبوهة ، وانتشار القتل والجريمة وتسلط الكفار على المسلمين ، فتمنع الجهود الإغائية والأعمال الدعوية .

ولذا فإن بعض الهيئات العاملة تتألف القلوب بدفع المال لرؤساء القبائل مثلاً ، ولبعض المسئولين الكبار في تلك الدول ليتمكنوا لأعمال الإغائية والدعوة من التحرك بحرية تتحقق من خلالها الأهداف المنشودة ، فيحصل الأثر المباشر من التأليف فيمكن لهؤلاء الدعاة وتحقق المصلحة العامة . والنصارى لا يألون جهداً في بذل المال لأمثال هؤلاء ممن لهم الشوكة والسلطة لكي يمكنهم من الدعوة إلى التنصير ، بل ربما طلب منهم محاربة المسلمين العاملين في هذا المجال ، وليس هذا بمستغرب لا سيما في دول قد يحكمها النصارى أنفسهم .

والذين ينقطعون في تلك البلاد النائية للقيام بأعمال المؤسسات الإسلامية الإغائية والدعوية - قد حملوا أنفسهم خطورة بالغة ؛ فالفقر والمرض والجوع والتعرض للمصائب من قبل المغرضين كل هذه الأمور تهددهم ، فيحتاج الأمر إلى أن تستألف قلوب هؤلاء بمزيد من المال ليبقوا في هذه الأعمال تحقيقاً للمصالح العامة التي تنفع المسلمين ، فتستألف القلوب على هذه الأعمال التي تحقق المصالح العامة في الإسلام .

٥ - كف شر المدعو :

إذا توقع الداعية حصول ما يخاف منه على نفسه أو على دعوته من شرٍّ يقوم به المدعو ، فللداعية أن يبذل له من المال ما يكف به الضرر المتوقع .

وقد يحصل بالفعل أضرار للعاملين في حقل الدعوة والإغائية في مثل بعض البلاد

التي سلف وصفها في الأثر السابق ، فيكون السبيل للتخلص من هذا الضرر دفع المال^(١).

ومن الضرر الذي يمكن أن تتألف القلوب لدفعه ما يقوم به كتاب مغرضون ضد الدعوة الإسلامية ، فيعطون من المال ما يصرفهم عن كتاباتهم لا سيما في البلاد التي يؤثر في هذا النوع من الطرح الإعلامي .

هذا الأثر وما سبقه من آثار هي الآثار المباشرة للتأليف في العصر الحاضر ، وما تطرقت إليه في المطلب الأول من هذا المبحث هي الآثار المباشرة للتأليف في العصر النبوي، فما الآثار غير المباشرة للتأليف في العصر الحاضر ؟ وهل يمكن أن تتحقق في هذا العصر ؟ والإجابة على هذه التساؤلات ، سيكون موضع الدراسة في المبحث التالي .

(١) نتيجة لقاء مع أحد الأعضاء المتعاونين مع هيئة الإغاثة في المملكة العربية السعودية من الذين ذهبوا إلى البلاد الإفريقية.

المبحث الثاني آثار التأليف غير المباشرة

المطلب الأول

آثار التأليف غير المباشرة في العصر النبوي

المطلب الثاني

آثار التأليف غير المباشرة في العصر الحاضر

المبحث الثاني

آثار التأليف غير المباشرة

تقدم أن الآثار غير المباشرة للتأليف هي ما ينتج عنه بصورة غير مباشرة ، أي أن هذه الآثار لم تكن مقصودة بذاتها ، ولكنها تحققت نتيجة لاحقة للآثار المباشرة .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الباحث وجد جملة من الآثار غير المباشرة ، ولكنها لكثرتها وتشعبها لم تنضبط بقواعد معينة تنتظم جميع الآثار المستفادة دون أن يكون هناك ما يشذ عنها .

ومن خلال إمعان النظر في نصوص السيرة والسنة النبوية في التأليف ، استطاع الباحث أن يسجل أبرز تلك الآثار - وذلك على سبيل المثال لا الحصر - وهي : قيام المدعو بالدعوة إلى الله ، تقوية المجتمع المسلم وتعزيز جانب الدعوة إلى الله ، قوة أثر التوجيه في نفس المدعو ، تصحيح التصورات الخاطئة عند عامة المدعوين .

وسأقوم برصد الشواهد الشرعية المؤكدة لهذه الآثار الدعوية غير المباشرة لأسلوب التأليف ، محاولاً الاستفادة منها فيما يتعلق بواقع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ولذا فستكون دراسة هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : آثار التأليف غير المباشرة في العصر النبوي .

المطلب الثاني : آثار التأليف غير المباشرة في العصر الحاضر .

المطلب الأول

آثار التأليف غير المباشرة في العصر النبوي

لقد كان لأسلوب تأليف القلوب في دعوة النبي - ﷺ - عظيم الأثر في تحقيق الآثار الدعوية غير المباشرة ، وسأقتصر على أربعة آثار فقط ، مستعيناً ببعض الشواهد ، وهي :

أ - قيام المدعو بالدعوة إلى الله :

يلحظ في نصوص كثيرة أنه في الغالب إذا دخل الإنسان في دين الله ، وكان من قبل محارباً لدينه صادراً عن سبيله فإنه يجتهد في بذل مزيد من الجهد الذي يحو الله عنه به ما كان منه من قبل ، بل إنه لشدة أثر التأليف في القلوب ، فإن الأثر المباشر يتعدى إلى آثار أخرى ، وعلى سبيل المثال فمن يسلم بسبب تأليف قلبه يلحظ أنه قد يرتقي به الأثر إلى أن يصبح داعية ؛ فيدعو قومه إلى الإسلام .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - أعطى رجلاً غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : « يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة »^(١) .

فهذا الرجل أثر به التأليف أثراً مباشراً فأسلم ، وتطور به الأثر المباشر إلى أثر غير مباشر هو دعوة قومه إلى الإسلام .

إن الطلقاء الذين من عليهم رسول الله - ﷺ - بعد فتح مكة ، فتألف قلوبهم بذلك فمنهم من أسلم ومنهم من لم يسلم وقد خرج منهم معه - ﷺ - لقتال هوازن قرابة الألفي رجل^(٢) ، فشاركوا في الدعوة إلى الله - تعالى - عبر وسيلة القتال التي يجيدها كثير من الناس .

(١) سبق تخريجه : ص ٥٠-٥١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢١ ، وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٨/٨ .

وقد جاء أن أعرابياً استل السيف على رأس رسول الله - ﷺ - يريد قتله ، فمنع الله رسوله - ﷺ - من ذلك الأعرابي ، ومكن الله لرسوله - ﷺ - منه ، فعفا عنه ، وأطلق سراحه (١) .

وقد نقل ابن حجر العسقلاني عن الواقدي أن الأعرابي أسلم ، وهذا هو الأثر المباشر ، ثم ذهب إلى قومه فهدى الله على يديه خلقاً كثيراً (٢) ، وهذا هو الأثر غير المباشر في هذه القصة .

ولما قدم عمير بن وهب - رضي الله عنه - إلى المدينة قبل أن يسلم ، يريد قتل رسول الله - ﷺ - وكان قد أغراه صفوان بن أمية بقتل رسول الله - ﷺ - فأخبره الرسول - ﷺ - بما دار بينه وبين صفوان ، فكانت هذه المعجزة سبباً في إسلامه ، فتألف قلبه لزيادة إيمانه بإطلاق سراح ابنه وهب ، وتعليمه والإحسان إليه ، فحسن إسلامه وثباته ، أما الأثر غير المباشر وهو موضع الشاهد في هذا السياق أنه - رضي الله عنه - استأذن رسول الله - ﷺ - في الرجوع إلى مكة ليدعو إلى الإسلام ، فدعا إليه ، واهتدى على يديه خلق كثير (٣) .

وأما النساء ، فإن سفانة بنت حاتم الطائي - رضي الله عنها - لما منَّ عليها رسول الله - ﷺ - وأطلق سراحها رجعت إلى أخيها عدي بن حاتم ، فاستشارها في أمره مع رسول الله - ﷺ - فأشارت عليه بأن يلحق برسول الله - ﷺ - فيسلم ، فأخذ برأيها - رضي الله عنه - ، ودعوتها أخاها للإسلام وعرضه عليه أثر غير مباشر لتأليف قلبها (٤) .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٥ .

(٢) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٢٧/٧ .

(٣) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٣٠/٢ ، وانظر : د. مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٣٦٨ .

(٤) سبق تخريجه : ص ١٢٩ ، وانظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧٢/٢ - ١٧٣ .

ومن قام بالدعوة إلى الله المرأة صاحبة المزداتين ، حيث إن رسول الله - ﷺ - لما تألف قلبها ، فأرادت الإسلام ، ولكنها كانت عند قومها ، ولما كان المسلمون يغيرون على من حولهم من البيوت ويتركونهم عرفت أنهم لم يتركوهم إلا لما حصل بينها وبينهم - إشارة إلى قصة أخذ الماء منها وتأليف الرسول - ﷺ - قلبها - فدعت قومها إلى الإسلام بعد زمن ، فالأثر المباشر رغبتها الملحة في الإسلام ، ثم الأثر غير المباشر دعوتها قومها للدخول في الإسلام فأسلموا جميعاً^(١).

٢ - تقوية المجتمع المسلم وتعزيز جانب الدعوة إلى الله :

قال الإمام ابن القيم وهو يعلق على حكمة التأليف : « ... فما ظنك بعطاء قوَى الإسلام وأهله ، وأذل الكفر وحزبه ، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر ... »^(٢).

فالمجتمع المسلم بحاجة إلى تقوية جانبه وتعزيز أركانه وهذا المطلب الدعوي ظهر أنه أثر غير مباشر لتأليف القلوب فيما مرّ من النصوص الواردة في هذا الجانب .

ومن الشواهد على ذلك ما كان من الطلقاء الذين تألفهم الرسول بعد فتح مكة بالعمو العام عنهم رغبة في إسلامهم ، وقد أسلم منهم خلق كثير ، تعدى بهم هذا الأثر إلى أثر غير مباشر ، وهو تقوية المسلمين بالمشاركة معهم في الجهاد في سبيل الله ضد جموع هوازن^(٣). ذلك الأثر غير المباشر في تأليف جماعة من الناس ، أما تأليف الأفراد ،

(١) سبق تخريجه : ص ١٢٦ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ٣/٣٨٥ .

(٣) سبق تخريجه : ص ١٦٠ ، وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٨/٨ .

ففي تأليفه - ﷺ - لقلب ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - عندما كان أسيراً ، آثار كثيرة غير مباشرة ، ومنها أنه - رضي الله عنه - عندما أسلم ، استأذن رسول الله - ﷺ - في الذهاب لأداء العمرة ، فذهب إلى مكة وعندما قيل له : صبوت . قال : لا ، ثم هددهم وشكل بذلك خطورة بالغة على قريش ، فأذلهم بمنع الطعام عنهم حتى استأذنوا رسول الله - ﷺ - في ذلك ، فسمح لهم به ، وهذا فيه تقوية للمجتمع الإسلامي وتعزيز لجانب الدعوة الإسلامية (١) .

وقد أشاد القرآن الكريم بهذا الأثر العظيم فقال تعالى : «ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون» (٢) .

ذكر الإمام القرطبي عن ابن عباس أنها نزلت في قصة ثمامة بن أثال لما أسرته السرية وأسلم وخلقى رسول الله - ﷺ - سبيله ، حال بين أهل مكة وبين الميرة (٣) ، وقال : «والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله - ﷺ - » ، وأخذ الله قريشاً بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب والعلهز ، قيل : وما العلهز ، قال : كانوا يأخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه . فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ، والرحم !! أليس تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين ؟ قال : بلى ، قال : فوالله ما أراك إلا قتلت الآباء بالسيف ، وقتلت الأبناء بالجوع . فكتب رسول الله - ﷺ - إلى ثمامة أن يخلي عنهم (٤) .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٨ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧٥-٧٦ .

(٣) الميرة : الطعام الذي يجمع للسفر ونحوه . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ٥٨٧/٢ . انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ٨٩٤/٤ .

(٤) أخرج أصله البخاري ، كتب : المغازي ، باب : وفد بني حنيفة ... ، حديث (٤٣٧٢) ، ٩٠٩ . انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٥١/١٢ .

وأيضاً لما أسلم مالك بن عوف النصري ، ملك هوازن ، فتألفه الرسول - ﷺ - واستعمله على مَنْ أسلم من قومه ذكر ابن هشام أن مالك بن عوف كان يقاتل بمن معه ثقيفاً ، فيغير عليهم ، حتى سبب لهم ضيقاً شديداً^(١).

فالأثر المباشر لتأليف قلب مالك هو إسلامه وثباته على الحق ، وأما تعزيزه جانب الدعوة وحمائيتها من إغارات ثقيف وما شكل بذلك من قوة فهذا هو الأثر غير المباشر لتأليفه - رضي الله عنه - .

٣ - قوة أثر التوجيه في نفس المدعو :

لقد كان رسول الله - ﷺ - يستغل أسلوب التأليف في توجيه المدعو ببعض ما يحتاجه من الأمور ، لأن الأثر سيكون أبلغ في نفسه .

لما أعطى رسول الله - ﷺ - الأنصار عندما سألوه ، وألحوا في السؤال والطلب ، وجههم بعد أن أعطاهم ، فقال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »^(٢).

قال ابن حجر : « وفيه أنه ينبغي للإمام أن لا يبين للطالب ما في مسأله من المفسدة إلا بعد قضاء حاجته لتقع موعظته له الموقع ، لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته »^(٣).

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٢٥ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ٣ / ٣٣٧ .

وقد حرص رسول الله - ﷺ - عند تأليفه لحكيم بن حزام - رضي الله عنه - في توجيهه ، فأثر ذلك في نفسه أثراً غير مباشر ، ولكنه كان قوياً ، حيث إنه - ﷺ - لما قال : والله يارسول الله لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً ، التزم بذلك أشد الالتزام ، ففي خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - كان يدعو حكيماً ليعطيه المال فيأبى أن يأخذ شيئاً ، وفي خلافة عمر كذلك ، حتى قال عمر - رضي الله عنه - : «إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أنني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه . فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله - ﷺ - حتى توفي» (١).

٤ - تصحيح التصورات الخاطئة عند عامة المدعوين :

لعل من أهم ما يصد الناس عن الحق والدعوة الإسلامية ، حملهم بعض التصورات الخاطئة عن الدعوة والداعية ، ومن أكبر أسباب الدخول في الإسلام تصحيح هذه التصورات . وقد وجدت هذا الأمر في بعض الشواهد أثراً غير مباشر لأسلوب تأليف القلوب .

روى الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في المراد بالمؤلفة قلوبهم ، قال : «هم قوم كانوا يأتون رسول الله - ﷺ - قد أسلموا ، وكان رسول الله - ﷺ - يرضخ لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً ، قالوا : «هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه» (٢).

قولهم : «هذا دين صالح» يؤكد أنهم كانوا من قبل لا يعدونه كذلك ، وكان العطاء سبباً في تغيير تصورهم ، وهذا أثر غير مباشر ، أما الأثر المباشر فكف ما يتوقع منهم

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٢١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٧٧ .

من شر ، وتقدم هذا .

وتقدم قصة المرأة صاحبة المزدتين ، حيث إنها لما سئلت : أجابت بما يكون سبباً قوياً في تغيير تصورات القوم عن الرسول - ﷺ - حيث قالت : « فوالله إنه لأسحر الناس ما بين هذه وهذه - تعني السماء والأرض - أو إنه لرسول الله حقاً »^(١).

ولما أعطى رسول الله - ﷺ - رجلاً غنماً بين جبلين ، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، قائلاً : « أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة »^(٢). وهذا يؤكد تصورات خاطئة سابقة ربما كانت وراء بعده وبعد قومه عن الإسلام فيما مضى فذهب يصحح تصوراتهم . والله أعلم .

هذا الأثر غير المباشر للتأليف وما قبله من الآثار غير المباشرة لها أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ، وقد تبين كيف تحققت هذه الآثار في العصر النبوي ، ولا يخفى على أحدٍ ما لهذه الآثار غير المباشرة من أهمية كبيرة في واقع الدعوة الإسلامية المعاصرة ، فهل يمكن أن تتحقق هذه الآثار ، وعن أيّ طريق يكون ذلك ، وما شواهد الواقع ؟ الإجابة على هذه التساؤلات ستكون موضع الدراسة في المطلب التالي .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢٦ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٥١ .

المطلب الثاني

آثار التأليف غير المباشرة في العصر الحاضر

لقد حققت بعض المؤسسات الدعوية والإغاثية في هذا العصر تلك الآثار غير المباشرة لأسلوب التأليف ، والتي سبق ذكرها في المطلب السابق . وسأقف على بعض الشواهد الواقعية التي تؤكد هذه الآثار :

١ - قيام الهدعو بالدعوة إلى الله :

تقدم أن الداخل في الإسلام حديثاً يكون لديه أحياناً رغبة ملحة ليقوم بالدعوة إلى دين الله ، وهذا أثر غير مباشر لأسلوب تأليف القلوب الذي كان السبب في إسلامه^(١) .

وهذا الأمر نفسه يلحظ في كثير ممن يسلمون حديثاً - أياً كان سبب إسلامهم - من خلال المشاهدات الواقعية عن طريق مراكز توعية الجاليات ، ومن خلال ما سطر في هذا الجانب^(٢) .

يوجد في أحد مراكز توعية الجاليات داعية من أنشط الدعاة ، وكان قبل إسلامه يعمل مبشراً وهو أحد القسس النصارى المحسوبين على النصرانية^(٣) .

ويذكر الأستاذ أحمد خطاب^(٤) ، كيف قامت طفلة بدعوة أسرتها إلى الإسلام بسبب أسلوب التأليف ، ففي إحدى المدارس الإسلامية في أمريكا ، سجّلت إحدى العوائل اليهودية طفلتهم في المدرسة ، فأحبّت الطفلة المدرسة وأعجبت بها ، فأثر ذلك تأثيراً غير مباشر في قيامها بدعوة أهلها إلى الإسلام ، فقدموا بعد أيام إلى المدرسة مع ابنتهم

(١) انظر : المطلب الأول من هذا المبحث .

(٢) انظر : عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني ، لماذا أسلمنا ، ط : الأولى ١٤١٥ هـ ، دار ابن خزيمة .

(٣) مثال : أحد الدعاة بمرکز توعية الجاليات بالقصيم ، ممن كان لهم جهود عظيمة أثناء حرب الخليج في دعوة الجيش الأمريكي ، مقابلة شخصية معه بهذا الشأن ومع الشيخ محمد العكاس ، مدير المكتب التعاوني لدعوة الجاليات بالدمام .

(٤) نائب أمين عام الاتحاد الإسلامي بشمال أمريكا ، أسنا .

ليعلنوا إسلامهم^(١).

وأوضحت السيدة أمينة موسلر سبب إسلامها ، وهو دعوة ولدها إياها أن تسلم معه - مع أنه طفل صغير - ولكن قد أعجب بالمسلمين لتأليفهم قلبه ، وكانت تقول : «سمعت ولدي يتوسل إليّ وفي عينيه دموع : يا أمي لا أريد أن أبقى مسيحياً بعد الآن، إنني أريد أن أكون مسلماً ، وأنت أيضاً يا أمي ، يجب أن تنضمي معي إلى هذا الدين الجديد»^(٢) ، وكثير ممن يعتنقون الإسلام من العمالة الوافدة إذا وفق الله فدخل الإسلام بأسلوب تأليف القلوب عن طريق مراكز الجاليات أو الأسر ، يأخذ على عاتقه أن يعرفه أهل الدعوة في تلك المراكز بالأسلوب الأمثل لدعوة ذويه وأقاربه وبني قومه .

٢ - تقوية المجتمع المسلم ، وتعزيز جانب الدعوة :

يذكر الإخوة الدعاة القائمون على اللجان الإغاثية والمؤسسات الدعوية في البلاد الفقيرة ، والتي تسيطر عليها القبائل ، أن أسلوب التأليف له أثر غير مباشر في تقوية جانبهم ، وتأمين مصالحهم . ففي الصومال مثلاً عندما يبدأ العمل من غير استئذان ولا تأليف لكبار الشخصيات من رؤساء القبائل وغيرهم يكون العمل عرضة للإيقاف . ولكنهم عندما يتألفون ، فإنهم ينصبون أنفسهم للدفاع عن الأعمال الإسلامية والإغاثية كلها ، ويكونون حصناً آمناً للمسلمين في تلك المواقع^(٣) .

وكان لإسلام كثير من الناس - سواءً بأسلوب التأليف أو غيره - في الجيش الأمريكي الأثر الكبير في تعزيز جانب المسلمين وتقوية شوكتهم في المجتمع^(٤) .

(١) نتيجة أحد لقاءات د . أحمد خطاب نائب أمين عام الاتحاد الإسلامي بشمال أمريكا ، أسنا .

(٢) انظر : السحيباني ، لماذا أسلمنا ، ص ١١٥ .

(٣) نتيجة لقاء مع المشرف على أعمال لجنة مسلمي أفريقيا بالمنطقة الشرقية .

(٤) ومن ذلك أن المسلمين لعلاقتهم مع المسئولين في لوس أنجلوس تمكنوا من أداء صلاة عيد الفطر في القاعدة العسكرية هناك وشاركهم فرحة العيد ومأكولاته أكثر من ٢٠٠ شخصية عسكرية من القاعدة ، كان لها عظيم الأثر في تعزيز جانب المسلمين في الجيش نفسه ، إلى أن يبلغ الأمر أن يعين أربعة أئمة رسميين لإدارة شئون المسلمين في الجيش . من نتائج اللقاء مع الأستاذ أحمد خطاب ، نائب أمين عام الاتحاد الإسلامي بأمريكا الشمالية .

٣ - قوة أثر التوجيه في نفس المدعو :

إن التوجيهات التي يوجه الداعية بها المدعو بأسلوب تأليف القلوب يكون وقعها أكثر رسوخاً . وهناك هيئات إسلامية عاملة تقوم بتأليف القلوب وبتوجيه المدعويين لما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، فتحصل آثار مباشرة ، كما تحصل آثار غير مباشرة ، ومنها قوة أثر التوجيهات في نفس المدعويين .

ومن ينظر إلى واقع المسلمين في البوسنة والهرسك قبل الحرب يجد أن كثيراً من تعاليم الإسلام قد اندثرت ، فلا يعرف عن الإسلام إلا اسمه ، ولا عن القرآن إلا رسمه ، ولكن الهيئات الإغائية التي كانت البوسنة والهرسك أيام الحرب البوسنوية أحد ميادين عملها ، قدمت هذه الهيئات التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الله ، مع ما قدمته من أشياء مادية ، فحصلت آثار كثيرة مباشرة وغير مباشرة كان من بينها شدة أثر هذه التوجيهات في نفوس أفراد المجتمع البوسني المسلم ، فعلى الرغم من الحرب الشرسة القائمة الآن ضد حجاب النساء المسلمات هناك فإنهن يفتخرن بذلك ويتمسكن به ، وضربن بذلك أمثلة رائعة^(١).

وتحرص بعض المؤسسات الدعوية أن تكون التوجيهات للمدعويين عقب برامج تطبيق أسلوب التأليف ، فالمحاضرات والندوات تعقب وجبة الإفطار في رمضان مثلاً ، أو وجبة العشاء ، أو إذا أقيمت هذه المحاضرات أعقبت بمثل هذه البرامج التأليفية .

فأما الآثار المباشرة فما طرقت من أجله تلك المحاضرات والندوات ، وأما الآثار غير المباشرة فشدة رسوخ تلك التوجيهات .

(١) مجلة الأسرة ، العدد ٥٦ .

الخاتمة :

• أهم النتائج

• التوصيات

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، على ما من به علياً من إتمام هذه الرسالة ، فصولها ومباحثها ومطالبها وفروعها عبر خطة علمية ومنهج مدروس ، توخيت أن يكون هو الأنسب والأفضل ، بإذن الله تبارك وتعالى .

وقد كان من توفيق الله لي وفضله عليّ في هذا البحث أن أوضحت مفهوم التأليف ومشروعياته في الكتاب والسنة وبينت مكانة التأليف بين الأساليب الدعوية وأنواع التأليف ، ثم شرعت في بيان مقاصد التأليف الخمسة ، وبعد ذلك تحدثت عن الضوابط والقواعد العامة للتأليف والمتعلقة بسلامة الوسيلة وصواب الغاية ورعاية المصلحة ، ثم كانت نهاية المطاف في الحديث عن آثار تأليف القلوب المباشرة وغير المباشرة . وقد توصلت بحمد الله تعالى من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج ، ولعل أهمها ما يلي :

أولاً : أن قيام الداعية باستمالة قلب المدعو بالمادة نوع رئيسي مهم من أنواع تأليف القلوب .

ثانياً : أن تأليف القلوب مادياً من الأساليب المهمة في الدعوة إلى دين الله تبارك وتعالى ، فقد تألف الله سبحانه قلوب عباده بإباحة الغنائم لهم ، كما كان لرسول الله ﷺ منهجاً واضحاً جلياً في استخدام أسلوب التأليف ، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يحرصون على ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ ، فبرسول الله ﷺ وبصحابته الكرام أعظم الأسوة والقدوة .

ثالثاً : ضرورة التخطيط ووضع الأهداف والمقاصد في الدعوة إلى الله ، ومن ذلك حين يستخدم الداعية أسلوب تأليف القلوب فلا بد أن يحدد المقصد أو الهدف الذي يرمي إليه من ذلك .

رابعاً : أنه لا بد من الاعتدال والتوسط في استخدام أسلوب التأليف ، مع ضرورة

التزام الداعية بالضوابط الشرعية لأسلوب التأليف ، كل ضابط بحسبه .

خامساً : أن أسلوب تأليف القلوب له أهميته في الدعوة إلى الله قديماً وحديثاً ، لمناسبته غالباً في جميع الأحوال والظروف ، ولجميع الأصناف والأجناس ، ولجميع فئات الناس ومكانتهم ، ولجميع الأعمار ، وفي جميع الأماكن ، وفي كل زمن ، وذلك بسبب ما جبلت عليه النفوس في فطرها من حب المال كما قال تعالى : «وتحبون المال حباً جماً»^(١) .

سادساً : أن أسلوب التأليف له أهميته الكبيرة في هذا العصر الذي طغت فيه الماديات وأصبح للمال والمادة الأثر الفاعل في تغيير التوجيهات والتصورات والأفكار ومع سيطرة المادة والشهوة فإن الأولى أن يكون الصرف للتأليف في هذا العصر عن طريق المؤسسات والهيئات العاملة في مجال الإغاثة والدعوة لتقوم هي بتلبية حاجات المدعوين تأليفاً لقلوبهم .

سابعاً : أنه في حالة استشراف المدعو عند تأليفه لمزيد من المال قد يصل به إلى حد الطمع في الدنيا ، فإن المنهج الشرعي يؤكد على أن يوجه من يقع في هذه المشكلة توجيهاً دعوياً يردعه من الاستمرار في هذا الطمع .

وأمام نتائج البحث أجد نفسي ملحةً علي ببعض التوصيات التي أحسب أنها من الأهمية بمكان فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ومنها :

١ - على طلاب العلم والباحثين أن يلفتوا نظرهم إلى القسم الثاني للتأليف وهو التأليف المعنوي - وأهمية إبرازه بدراسة علمية مستقلة ، لما مرّ بي من النصوص المهمة المتعلقة به .

٢ - ضرورة تركيز الدعاة في دعوتهم على أسلوب التأليف المادي ، حين ثبوت جدواه ، وعدم وجود التحرج من ذلك مع مراعاة الضوابط لاستخدامه .

(١) سورة الفجر : ٢٠ .

٣ - على الدعاة والعلماء بيان هذا الأسلوب الدعوي بأحكامه وضوابطه للناس ، وللهيئات والمؤسسات العاملة في حقل الدعوة إلى الله ، كما أوصي بأن يكون إبراز هذا الأسلوب في كليات الدعوة ، والأقسام العلمية ذات التخصصات الشرعية بشكل أوضح وتركيز أكبر .

٤ - على أهل اليسار من المسلمين دعم المؤسسات الخيرية والدعاة إلى الله بالمال ليتمكنوا - عند الحاجة إلى أسلوب التأليف - من البذل لصالح الدعوة إلى الله .

وأخيراً فإن هذا البحث لا أدعي فيما كتبت فيه كمالاً ، وحسبي من هذا العمل أنني قد بذلت فيه قصارى جهدي ، ولم أدخر فيه وسعي ، فإن وفقت إلى صواب وخير ، فإن هذا فضل الله - سبحانه - الذي يمن به على من يشاء من عباده ، وما كان فيه من الأخطاء والزلل فهذا من نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، وأستغفر الله عما زلّ به القلم وأخطأ به التفكير ، وما مال إليه الهوى ، فعسى الله أن يكفر الخطيئات ويغفر الزلات ، ويجعل هذا الجهد في ميزان الحسنات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس :

- ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة الواردة.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- ٣- فهرس الآثار الواردة .
- ٤- فهرس القصص النبوي والسيرة .
- ٥- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٦- فهرس الألفاظ الغريبة .
- ٧- فهرس الأماكن والمواضع .
- ٨- فهرس المصادر والمراجع .
- ٩- فهرس الموضوعات التفصيلية .

فَهْرِسْتُ

الآيات القرآنية الكريمة

الواردة في الدراسة مرتبة
حسب ترتيب السور والآيات
في القرآن الكريم

فهرس الآيات الواردة في الدراسة مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم

م	الآية	اسم السورة ورقم الآية	موضع ورودها في الدراسة
١	﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾	البقرة : ٤٤	٩٠
٢	﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾	البقرة : ١٩٣	١١٨ ، ٨٨
٣	﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾	البقرة : ١٩٤	٨٨
٤	﴿ ومن يرتد منكم عن دينه ﴾	البقرة : ٢١٧	١٥٢
٥	﴿ لا إكراه في الدين ﴾	البقرة : ٢٥٦	٨٨
٦	﴿ يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ﴾	البقرة : ٢٦٩	٨١
٧	﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾	آل عمران : ١٤	٩٠
٨	﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾	آل عمران : ١٩	١١٨
٩	﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ﴾	آل عمران : ٨٥	١١٨
١٠	﴿ يا أيها آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾	آل عمران : ١٠٢	٢
١١	﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾	آل عمران : ١٠٣	٢٤
١٢	﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ﴾	آل عمران : ١٥٩	٩٧ ، ٩٠
١٣	﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾	آل عمران : ١٧٣	١٣٤
١٤	﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾	النساء : ١	٢
١٥	﴿ ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله ﴾	النساء : ٧٥	٨٨
١٦	﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾	النساء : ٩٥	٨٩
١٧	﴿ فلا تتبعوا الهوى ﴾	النساء : ١٣٥	٢٠٥
١٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾	المائدة : ٣٥	١٩٢
١٩	﴿ أولئك الذين هدى الله ﴾	الأنعام : ٩٠	٨٣
٢٠	﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾	الأنفال : ٢	١٣٤
٢١	﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾	الأنفال : ٣٩	١١٨
٢٢	﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾	الأنفال : ٦١	٨٨
٢٣	﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض ﴾	الأنفال : ٦٣	٢٨ ، ٢٤
٢٤	﴿ لولا كتاب الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ففكروا بما غنمتم ﴾	الأنفال : ٦٨-٦٩	٣٨

م	الآية	اسم السورة ورقم الآية	موضع ورودها في الدراسة
٢٥	﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾	التوبة : ٥	٣٣
٢٦	﴿ الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله بأموالهم ﴾	التوبة : ٢٠	٩٢
٢٧	﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾	التوبة : ٢٥	١٥٩
٢٨	﴿ ومنهم من يلزمك في الصدقات ﴾	التوبة : ٢٨	٢٣٢ ، ١٧٦
٢٩	﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾	التوبة : ٦٠	١٩٨ ، ١٠٢ ، ٥٢ ، ٤١ ، ٢٦ ، ٤
٣٠	﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾	هود : ٨٨	٨٥
٣١	﴿ تالله لقد أثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾	يوسف : ٩١	٤٦
٣٢	﴿ لا تشرى عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾	يوسف : ٩٢	٤٧
٣٣	﴿ قل هذه سبيل أدعو إلى الله ﴾	يوسف : ١٠٨	٧٢
٣٤	﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ﴾	النحل : ٩	١١٢
٣٥	﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾	النحل : ١٢٥	٨٠ ، ٧٥ ، ٧٢
٣٦	﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾	النحل : ٩٠	٤٣
٣٧	﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾	الكهف : ٢٩	٥٤ ، ٥٢ - ٥٠
٣٨	﴿ كهيعص ﴾	مريم : ١	١٤١
٣٩	﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ﴾	المؤمنون : ٧٥ - ٧٦	٢٥٤
٤٠	﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾	المؤمنون : ٩٦	٣٧
٤١	﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ﴾	النور : ٤٣	٢٤
٤٢	﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب ﴾	العنكبوت : ٤٦	٨٠ ، ٧٢
٤٣	﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ﴾	لقمان : ١٥	٣٥
٤٤	﴿ لقد كان لكم في رسول الله ﴾	الأحزاب : ٢١	٨٣
٤٥	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولاً سديداً ﴾	الأحزاب : ٧٠	٢
٤٦	﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾	فاطر : ٦	٨٩
٤٧	﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾	ص : ٢٦	٢٠٥

م	الآية	اسم السورة ورقم الآية	موضع ورودها في الدراسة
٤٨	﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا ﴾	فصلت : ٣٤	٣٦ ، ٣٩ ، ٢٣١
٤٩	﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾	الزخرف : ٢٣	٨٣
٥٠	﴿ ما ضربوه لك جسداً ﴾	الزخرف : ٥٨	٧٩
٥١	﴿ إن الذين ارتدوا على أديبارهم ﴾	محمد : ٢٥	١٥٣
٥٢	﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾	الفتح : ١٨-٢٠	٣٩
٥٣	﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾	الحجرات : ١٤	١١٦
٥٤	﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾	المجادلة : ١	٧٩
٥٥	﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾	المجادلة : ٢٢	٢٨
٥٦	﴿ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة ﴾	المتحنة : ٤-٦	٨٣
٥٧	﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ﴾	المتحنة : ٨-٩	٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٩٥
٥٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾	الصف : ٢-٣	٨٥
٥٩	﴿ ويل للمطففين ﴾	المطففين : ١	١٤١
٦٠	﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴾	التحريم : ٩	٨٦
٦١	﴿ وتحبون المال حباً جماً ﴾	الفجر : ٢٠	٢ ، ٦ ، ١١٧ ، ١٣٥

فَهْرِسْتُ

الأحاديث النبوية الشريفة

الواردة في الدراسة

مرتبة هجائيا

فهرس للأحاديث الواردة في الدراسة مرتبة هجائياً

موضع وروده	الحديث
١٠٨ ، ٩٨	انذنوا له فبئس أخو العشيرة
١٠٧	أتببع جملك
٩٨	اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة
١٢٥	أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله
١٨٣	أذهب فاقطع عني لسانه
١٢١ ، ١٦٠	أذهبوا فأنتم الطلقاء
١٨١	أعطوني رداً فلو كان لكم عدد هذه العضاء
١٣٨ ، ٤٠	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي
٢٥	أقرؤا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم
٢١٧	أكلهم وهبت له مثل هذا
١٣٤	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
٢٥	الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها اتلفت
١٣٤	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٢٦	الحلال بين والحرام بين
٢	الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
٨٩	المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله
١١٢ ، ١١٨ ، ١٥٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٥٣	إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء
١٢٧-١٢٦ ، ١٨٥	إن خياركم أحسنكم أداءً
١٥٦	إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة
٢٤٤ ، ١٢٥	إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم
٢١٧	إنك تأتي قوماً أهل كتاب
١٤٤ ، ١٣٠ ، ٥٩	إنما يلبس هذه من لاخلق له
١٨٠	إنهم خيروني بين أن يسألوني بفحش أو يبخلوني
١٥٥ ، ١٣٥	إنني أعطي أقواماً أخاف ظلهم وجزعهم
٢١٦ ، ١٥٥	إنني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه

٢٠٦	إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً وإنما أنا القاسم
١٥٥ ، ١٢١	أوجدتم علي يامعشر الأنصار في أنفسكم
١٦٦ ، ٤٥	اثنتوني بكتاب أكتب لكم لن تضلوا بعده
٢٤٧ ، ١٥١	بعنيه
١٢٦	تعلمين مارزأنا من مائك شيئاً
١٣٨ ، ٤٠	ثم أحل الله لنا الغنائم ، وأنى ضعفنا وعجزنا
١٨٢ ، ١٠٨	خبأت هذا لك
١٤٩	خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء
١٨٥ ، ١٢٦	دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً
١٤٩	فخذه فتموله وتصدق به
٧٦	فرج بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري
١٠٠ - ٩٩	قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير
٧٦	لاحسد إلا في اثنتين
١٣٨ ، ٤٠	لم تحل الغنائم لمن قبلنا
٢٠٤	لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها
١٤٧	لو قد جاءنا مال البحرين ، قد أعطيتك
١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٢١	ما حديث بلغني عنكم فأني أعطي رجلاً
٢٢٢ ، ٢٠٠ ، ١٢٩ - ١٢٨	ماذا عندك يا ثمامة
١٢٩	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه
١٣٦	ماشأنك
٧٩	ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل
٤٠	ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون
١٨٣ ، ١٣٩	ما يكون عندي من خير فلن أخره ، عنكم
١٦٠	معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقاه
١٥٣	من بدل دينه فاقتلوه
١٤٨	من ترون أن تكسو هذه
١٣٤	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٨٤	من سن في الإسلام سنة حسنة
١٢٩ - ١٢٨	من وافدك
١٢٤	نعم أنا ضامن أن قد هدك الله إلى ما هو خير منه

١٧١	نقركم على ذلك ماشئنا
٢٥	وكنتم متفرقين فألکم الله بي
٨٧	ولاتتمنوا لقاء العدو، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم
٢٢١	ياحكيم ، إن هذا المال خضر حلوة
٤٩	ياعمرو ، اشدد عليك سلاحك وثيابك
٤٨	يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا
٤٧	يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا

فهرست

الآثار الواردة في الدراسة

مرتبة هجائياً

فهرس الآثار الواردة في الدراسة مرتبة هجائياً

موضع الورد	القائل	الآثر
١٨٣	أنس بن مالك	أتى النبي سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها ...
١٤٧	جابر بن عبدالله	أتى النبي ﷺ بمال من البحرين ...
١٤٣	عمر بن الخطاب	أعطه أفقر إليه مني
١٦٣ ، ١٢٢	رافع بن خديج	أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب ، وصنوان بن أمية
٢١٦ ، ١٥٥	سعد بن أبي وقاص	أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله منهم رجلاً لم يعطه
١١٨	المغيرة بن شعبة	إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله
٢٢٢ ، ٥٤	عمر بن الخطاب	إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما
٢٣٢ ، ١٢٠ ، ٥١	أنس بن مالك	إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا
٩٩	أبوالدرداء	إننا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم
١٤١	أبوهريرة	انتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح
٢٢١	عمر بن الخطاب	إنني أشهدكم بامعشر المسلمين على حكيم ...
١٦٥	عبيدة بن حصن	إنني والله ماجئت لأقاتل
١٦٤ ، ١٠٩	أبوسعيد الخدري	بعث علي وهو باليمن بذهبه في تربتها
١٤٠	أبوموسى الأشعري	بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن
١٤٩	مالك بن أوس	بينما أنا جالس أصلي
١٤٢	أسماء بنت أبي بكر	تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك
٦٢	عمر بن الخطاب	ثكلتك أمك ، والله إنني لأرى أبا هذه وأخاها
٢٢٣	عبدالله ابن عمر	خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ...
١٤٨	أنس بن مالك	دعا النبي ﷺ غلاماً حجماً فحجمه
٢٢١	حكيم بن حزام	سألت رسول الله فأعطاني
١٢٧	ثمامة بن أثال	عندي خير يا محمد ...
١٧١	أنس بن مالك	قال ناس من الأنصار حين أفا - الله على رسوله ﷺ

الصفحة	القائل	الأثر
١٨٠	عمر بن الخطاب	قسم رسول الله قسماً ، فقلت : والله يارسول الله لغير هؤلاء أحق به
٨٥	عائشة بنت أبي بكر	كان خلقه القرآن
١٤٣	عمر بن الخطاب	كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء
١٨٤	أنس بن مالك	كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ...
١٤٤	جابر بن عبدالله	كنت مع النبي ﷺ في غزاة ، فأبطأ بي جملي وأعليا
٥٤	صفوان بن أمية	لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس إليّ
١٩٨ ، ١١٩ ، ١٠٣	أنس بن مالك	لم يكن يسأل عن الإسلام شيئاً إلا أعطاه
١٢١	عبدالله بن عاصم	لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس المؤلفة قلوبهم
١٢١ ، ١٥٩ ، ١٠٩	أنس بن مالك	لما كان يوم حنين أقيمت هوازن وغطفان
١١٩	أنس بن مالك	ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً على الإسلام إلا أعطاه
٤٤	ابن مسعود	ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام من هذه الآية
٣١	ابن عباس	نزلت في قبيلة خزاعة وكانوا قد صالحوا النبي ﷺ
١٢٩	ابن عمر	هل أهديت لجارنا اليهودي شيئاً ...
١٨٥ ، ١٨١	ابن عباس	هم قوم كانوا يأتون رسول الله ﷺ قد أسلموا ...
٢١٨	عمر بن الخطاب	والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ... فالرجل ويلاؤه
٥٥	عبيد بن الأقرع	يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سيخة
١٢٩	سفان بن حاتم	يارسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد ...
٢٠٠ ، ٥٢	مبهم	يا قوم ، أسلموا فإن محمداً يعطي
١٦١ ، ٤٥	ابن عباس	يوم الخميس وما يوم الخميس

فهرس

القصة والسيرة النبوية

مرتبة حسب ورودها في

الدراسة.

فهرس القصص والسيرة النبوية مرتبة حسب ورودها في الدراسة

٤٦ ، ٤٧	قصة تأليف أبا سفيان بن الحارث وعبدالله بن أمية وإسلامهما	١
٤٩	قصة تأليف عمرو بن العاص على الجهاد	٢
٥٢	قصة جزع عمرو بن العاص على فراش الموت	٣
١٦٠	تأليف عمر لأم كرز التي أبت الإسلام إلا بعد إعطائها المال	٤
٦١	قصة إسلام الهرمزان وتأليف عمر لقلبه بعد إسلامه	٥
٦٥	قصة تأليف عمر لقلب خفاف بنت إيماء	٦
٩٢	قصة محاولة قريش تأليف الرسول ﷺ على ترك الدعوة إلى الله	٧
٩٣	قصة محاولة قريش تأليف قلب النجاشي على أن يخلي بينهم وبين من قدموا إليه	٨
٩٩	قصة تأليف قلب خالد بن الوليد وإسلامه بسبب ذلك	٩
١٠٧ ، ١٤٥	قصة شراء النبي ﷺ جمل جابر بن عبدالله وتأليفه	١٠
١٠٨ ، ١٨٢	قصة تأليف قلب مخزومة بن نوفل	١١
١٠٩	قصة تأليف الأنصار معنوياً بعد حنين	١٢
١٢٣	قصة تأليف قلب أبي العاص بن الربيع برد الأموال إليه	١٣
١٢٤	قصة تأليف الجارود بن المعلی	١٤
١٢٥	قصة تأليف قلب مالك بن عوف النصري	١٥
١٢٥	قصة تأليف قلب الأعرابي الذي حاول قتل الرسول ﷺ وهو نائم	١٦
١٢٦	قصة تأليف المرأة صاحبة المزادتين	١٧
١٢٧	قصة الرجل الذي جاء يتقاضى بعيه من رسول الله وتأليف قلبه	١٨
١٢٨	قصة تأليف قلب ثمامة بن أثال وإسلامه	١٩
١٢٩	قصة إسلام عدي بن حاتم وأخته بسبب التأليف	٢٠
١٤٠	قصة تأليف قلوب أصحاب الحبشة بعد خيبر	٢١
١٤١	قصة تأليف الدوسيين بعد خيبر	٢٢
١٤٢	قصة إقطاع الزبير بن العوام أرضاً يستفيد منها	٢٣
١٤٦	شراء النبي ﷺ جمل عمر بن الخطاب وإعطائه لابنه عبدالله	٢٤
١٤٨	قصة تأليف قلب أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص	٢٥
١٤٩	قصة تأليف عمر لعبدالله بن السعدي	٢٦
١٥٧	قصة هجرة صهيب بن سنان	٢٧
١٦٠	قصة طلب الطلقاء ، أن يجعل لهم ذات أنواط	٢٨
١٦١	ماكان من الطلقاء من الفرار وبعض قولهم في حنين	٢٩
١٦١	قصة تأليف قلوب قبيلة هوازان	٣٠
١٦٢	ذكر تأليف بعض الوفود	٣١
١٧١	قصة إبقاء اليهود على الأرض ليكفؤهم العمل	٣٢
٢٠٤	قصة مسيلمة الكذاب ومنع الرسول تأليفه	٣٣

٢٣.	قصة العرنين الذين قتلوا الراعي وسرقوا الإبل	٣٤

فهرست
الأعلام

المترجم لهم حسب
الترتيب الهجائي

فهرس الأعلام المترجم لهم في الدراسة حسب الترتيب الهجائي

موضع الترجمة	الأعلام المترجم لهم
١٢٣	أبوالعاص بن الربيع
١٤٠	أبوبردة عامر بن قيس الأشعري
١٤٠	أبورهم مجدي بن قيس الأشعري
٤٦	أبوسفيان بن الحارث
١٢٢	أبوسفيان بن صخر بن حرب
١٤٠	أبوموسى عبدالله بن قيس الأشعري
١٤٦	أسامة بن زيد بن حارثة
٣٣	أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
٩٤	أضحمة النجاشي
٥٤	الأقرع بن حابس التميمي
١٤٧	أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص
٦٢	بنت خفاف أيما
١٢٧	ثعامة بن أثال
١٠٦	جابر بن عبدالله الأنصاري
١٢٤	الجارود بن المعلّى
٦٣	جرير بن عبدالله البجلي
١٤٠	جعفر بن أبي طالب
٢٢١	حكيم بن حزام
١٦٢	زيد بن مهلهل أو زيد الخير
١٤١	سباع بن عرقطة
١٤٧	العباس بن عبدالمطلب
١٢٢	عباس بن مرداس
٤٦	عبدالله بن أبي أمية
١٤٩	عبدالله بن السعدي
١٤٥	عبدالله بن عمر بن الخطاب
٥١	عبدالله بن مسعود
١٢٨	عدي بن حاتم الطائي
١٦٤	علقمة بن علاثة
٥١	عمار بن ياسر
٤٩	عمرو بن العاص
١٣٦	عمرو بن تغلب
١٦٤ ، ٥٤	عيينة بن حصن الفزاري
٣٣	قُتَيْلَة بنت عبدالعزى

موضوع الترجمة	الأعلام المترجم لهم
١٢٤	مالك بن عوف النصري
١٠٨	مخرمة بن نوفل
٢٠٤	مسيلمة بن ثمامة أو مسيلمة الكذاب
٦١	الهرمزان

فهرست

الألفاظ الغريبة الواردة

مرتبة هجائياً

فهرس اللفاظ الغريبة الموضحة في الدراسة مرتبة هجائياً

موضع إيضاحها	اللفاظ الغريبة
١٦٤	اتطنها
١٦٣	أرزاً
٥	الأثر
٢٧	التأب
٢٣	التأليف
٧٩	الجدل
٨٦	الجهاد
٧٣	الحكمة
٦١	الحفر
١٦٤	الحمر
٥	الرسم
١٤٣	الرقبة
٤٤	السنور
١٠٦	السوط
١٥٧	الصعلوك
١٩١، ٤	الضبط
٧٦	الطست
١٠٩	الطلقاء
١٧٥	الظعن
١٣٥	الظلع
١٢٢	العبيد
١٢٥	العضاه
٢٠٢	الغاية
١٤٢	الغرب
٢١٥	القدح
١٢٥	القائلة
٨٢	الثدرة

موضع إيضاحه	الألفاظ القريبة
١١٢، ٥	القَصْدُ
١٤٥	الكَيْسُ
١٢٦	المَزَادَةُ
١٤٣	المَشْرُوفُ
١٢١	الْمَنْ
٧٧	الموعظة
١٠٧	النَّاضِحُ
٥٥	السُّنْخُ
٨٤	الوِزْرُ
١٩٥	الوَسِيلَةُ
١٠٤	انْتِطَاطٌ
١٧٥	انْتَعَنَهُ
١٣٩	أَدْحِرَهُ
٦١	تَأْكَلُهُمُ الضَّبْعُ
١٤٢	تَوَفَّرَ
٦٣	حَلَّةٌ سِيرَاءٌ
١٠٣	خَوَّكَهُ
٢٠٩	رِعَايَةُ الْمَصْلُحَةِ
١٤٣	سَخَاوَةٌ
١٨٤	سِنُّ الْفِقَارِ
٨٢	سَنٌّ
١٠٤	شَاطَءٌ
٧٦	فَرَجٌ
١٢٦	فَرِكَ

موضع إيضاحه	اللفاظ الغريبة
٩٨	كشّر
١١٩	لعاة
٨٤	متقلدي السيوف
٤٥	هجر
١٤٥	يخجنه
١٤٩	يرضخ لهم
١٤٧	يقله

فهرست

الأماكن والمواقع

مرتبة هجائياً

فهرس الأماكن والمواقع التي وردت في الدراسة مرتبة هجائياً

٦٤	تُسْتَر	١
٩٩	الحُدَيْبِيَّة	٢
٥٢	حُنَيْن	٣
٦٠	السُّوَاد	٤
١٧٩	عُرْتَة	٥
٩٩	عُسْفَان	٦
١٢٨	عَقْرَب أو عقرباء	٧
١٢٣	العَيْص	٨
		٩
		١٠

قائمة المصادر والمراجع

مرتبة هجائيا

قائمة بأهم والمراجع

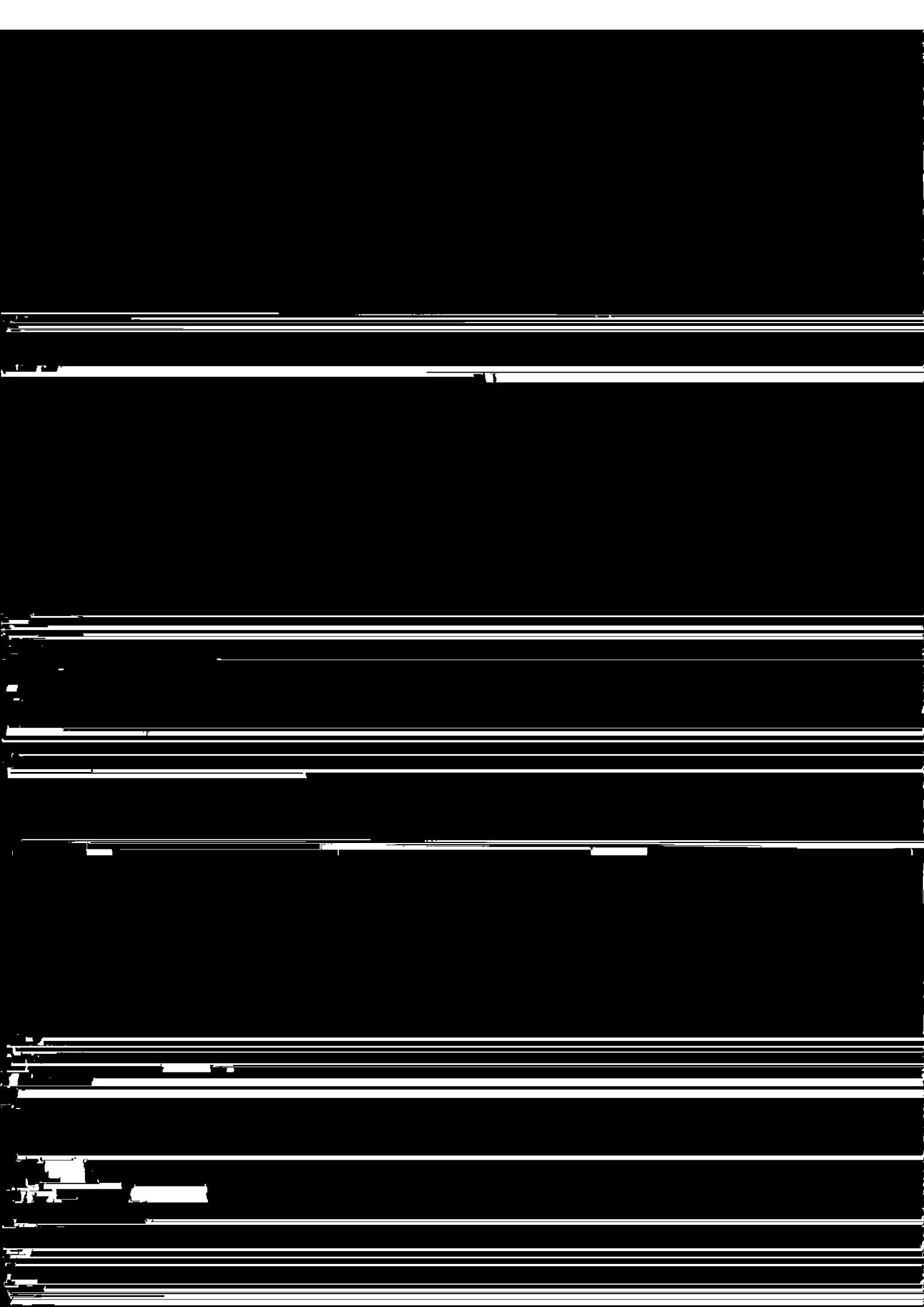
اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
أباطين، د. أحمد بن محمد	المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة	ط : الثالثة ١٤١٣هـ، دار عالم الكتب، السعودية، الرياض
أبوداود، الحافظ سليمان بن الأشعث	السنن	ط : الثانية ١٤١٣هـ، دار الدعوة، دار سخنون، استانبول
أبوزيد، د. بكر بن عبدالله	الردود	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار العاصمة، الرياض
أبوزيد، د. بكر بن عبدالله	الحدود والتعزيز عند ابن القيم	ط : الثانية ١٤١٥هـ، دار العاصمة، الرياض
أوسليمان، د. عبدالوهاب	كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية	ط : الأولى ١٤١٣هـ، دار الشروق ، جدة
أبو شهيه، محمد محمد الأسطل، علي رضوان	السيرة النبوية الوفود في العهد المكي وأثرها في الإعلام	ط : الثانية ١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق ط : الأولى ١٤٠٤هـ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن
الأشقر، د. عمر سليمان	تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات	ط : الأولى ١٤١٢هـ، دار النفائس بالكويت
الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين	المفردات في غريب القرآن	دار المعرفة، بيروت، بدون رقم وتاريخ، ت : محمد سيد كيلاتي
الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	ط : الأولى ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت
آل الشيخ، د. حسين بن محمد	مصرف المؤلف قلوبهم وأثره في الدعوة المعاصرة	بحث مكمل لنيل درجة الماجستير لم يطبع
الألباني، محمد ناصر الدين	سلسلة الأحاديث الصحيحة	ط: الرابعة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت
الألباني، محمد ناصر الدين	صحيح الجامع الصغير وزيادته	ط: الثالثة ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت
الألباني، محمد ناصر الدين	صحيح الأدب المفرد	ط : الأولى ١٤١٤هـ دار الصديق ، السعودية ، الجبيل
الألباني، محمد ناصر الدين	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	ط : الثانية ١٤٠٨هـ مكتبة المعارف ، الرياض
الألمعي، د. زاهر عواض	مناهج الجدل في القرآن الكريم	ط : الثانية ١٤٠٤هـ ، المؤلف نفسه

اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
الأندلسي ، عبدالله البكري	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع	ط : الثالثة ١٤٠٣ هـ ، دار عالم الكتب . بيروت .
أنيس ، إبراهيم مصطفى ورفاقه	المعجم الوسيط	ط : المكتبة الإسلامية، استانبول، بدون رقم وتاريخ
ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد	المصنف في الأحاديث والآثار	ط : الثانية، ١٣٩٩هـ، الدار السلفية، بومباي
ابن الأثير، عزالدين علي بن محمد الجزري	أسد الغابة في معرفة الصحابة	ط : دار الشعب بمصر. ت : محمد البنا وزميله بدون رقم وتاريخ
ابن الأثير، مجدالدين المبارك بن محمد الجزري	النهاية في غريب الحديث والأثر	ط : المكتبة العلمية، بيروت، ت : طاهر الزاوي، محمود الطناحي بدون رقم وتاريخ
ابن الحجاج، الإمام مسلم	الجامع الصحيح المطبوع مع الشرح	ط : الأولى ١٤٠٧هـ، دار القلم، بيروت، ت : الشيخ خليل الميس ولجنة من العلماء
ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر	زاد المعاد في هدي خير العباد	ط : السابعة ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت : شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط
ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر	بدائع التفسير	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، جمع يسري السيد
ابن النجار، محمد بن أحمد	شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير	ط : ١٤١٨هـ، مكتبة العبيكان، الرياض. ت : محمد الزحيلي وزميله
ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم	الإيمان	ط : الرابعة ١٤٠٥هـ، بدون تاريخ ورقم
ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم	منهاج السنة النبوية	ط : دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم وتاريخ
ابن حجر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني	فتح الباري شرح صحيح البخاري	ط : دار المعرفة، بدون رقم وتاريخ. تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز
ابن حجر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني	الإصابة في تمييز الصحابة	ط : الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. ت : الشيخ عادل أحمد وزميله
ابن حجر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني	تهذيب التهذيب وتهذيب الكمال في أسماء الرجال	ط : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ومكتبة العلوم والحكمة بالمدينة، بدون رقم وتاريخ

اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني	تقريب التهذيب	ط : الثالثة ١٤١٧هـ، دار المعرفة، بيروت. ت : خليل مأمون شيحا
ابن حنبل، الإمام أحمد	المسند	ضمن موسوعة الكتب الستة، ط : الثانية ١٤١٣هـ، دار الدعوة ودار سحنون إستانبول
ابن رجب، الحافظ ابن رجب الحنبلي	جامع العلوم والحكم	ط : الأولى ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، ت : طارق بن عوض الله
ابن سعد، محمد بن سعد ابن سلام، أبو عبيد القاسم	الطبقات الكبرى كتاب الأموال	ط : دار صادر، بيروت. بدون رقم وتاريخ ط : الثالثة، ١٤٠١هـ، مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الفكر. القاهرة
ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد	الاستيعاب في معرفة الصحابة	ط : الأولى ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت. ت : علي محمد البحاوي
ابن عثيمين، الشيخ محمد بن صالح	الشرح المتمتع على زاد المستقنع	ط : الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة أسام، الرياض
ابن عثيمين، الشيخ محمد بن صالح	فتاوى في تربية الشباب	ط : الأولى، ١٤١٨هـ، توزيع الجريسي. جمع عادل العبدالعالي دار الجيل، بدون رقم وتاريخ، ت : عبدالسلام هارون
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا	معجم مقاييس اللغة	ط : ١٤١٢هـ، دار عالم الكتب، الرياض
ابن قاسم، الشيخ عبدالرحمن	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية	ط : الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر، بيروت
ابن قدامة، الموفق عبدالله بن أحمد المقدسي	المغني والشرح الكبير	ط : الثالثة ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين	لسان العرب	ط : الأولى ١٤١٠هـ، دار الخير، بيروت. ت : مصطفى السقا وآخرون
ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري	السيرة النبوية « سيرة رسول الله ﷺ »	

اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه	ط : شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. ت : محمد وهيثم نزار، بدون رقم وتاريخ
البخاري، محمد بن إسماعيل	الأدب المفرد. المطبوع مع صحيح الأدب المفرد للألباني	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار الصديق، السعودية، الجبيل
البسام، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن	توضيح الأحكام من بلوغ المرام	ط : الثانية ١٤١٤هـ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة
البغوي، الإمام الحسين بن مسعود	معالم التنزيل في التفسير والتأويل	ط : ١٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، بدون رقم
البيانوني، د. محمد أبو الفتح البيهقي	المدخل إلى علم الدعوة معرفة السنن والآثار	ط : الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت
الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى	السنن	ط : الأولى ١٤١١هـ، جامعة الدراسات الإسلامية، بياكستان، ودار الوفاء، ودار الواعي، القاهرة
الجارالله، الشيخ عبدالله بن جارالله	مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية	ط : الثانية ١٤١٣هـ، دار الدعوة ودار سخون، استانبول
الجرجاني، علي بن محمد الحسيني	التعريفات	ط : الأولى ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة الحرمين، مكة
الجليل، عبدالعزيز ناصر	فيهداهم اقتده	ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، بيروت. ت : د. عبدالرحمن عميرة
الجوهري، إسماعيل بن أحمد	الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية	ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار طيبة، الرياض
الحرثي، حمود بن جابر	دعوة النبي ﷺ للأعراب	ط : الرابعة ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت. ت : أحمد عطار
الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري	المستدرک علی الصحیحین	رسالة ماجستير، غير مطبوعة
		ط : الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. ت : مصطفى عبدالقادر علي

اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
الحجاوي، موسى بن أحمد المقدسي	زاد المستقنع المطبوع مع شرحه للشيخ محمد بن عثيمين «الشرح الممتع»	ط : الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة أسام بالرياض
حسنين، د. عبدالنعيم محمد الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله	الدعوة إلى الله على بصيرة معجم البلدان	ط : الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب الإسلامية، مصر ولبنان ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث، بيروت
الحميري، محمد بن عبدالمنعم خان، الشيخ صديق حسن الخليفي، د. عبدالرحمن بن سليمان	الروض المعطار في خير الأقطار فتح البيان في مقاصد القرآن الدعوة إلى الله في السجون	ط : الثانية : ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، ت : د. إحسان عباس ط : ١٩٦٥م، دار أم القرى، القاهرة ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار الوطن، الرياض
الحياط، خالد بن عبدالكريم	الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر	ط : الأولى ١٤١٢هـ، دار المجتمع، السعودية
دروزة، محمد عزة الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد	القرآن والضمان الاجتماعي سير أعلام النبلاء	ط : المكتبة العصرية، بيروت ط : الثانية ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت
رحماني، عبدالله ناصر عبدالرشيد	المنهج الأسعد في ترتيب مسند الإمام أحمد	ط : الأولى ١٤١١هـ، دار طيبة، الرياض
الرحيلي، د. حمود بن أحمد	أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار العاصمة، الرياض
رزق الله، د. محمد مهدي	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية	ط : الأولى ١٤١٢هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
الزهراني، د. علي بن إبراهيم	مهارات التدريس في الحلقات القرآنية	ط: الأولى ١٤١٨ هـ ، دار ابن عفان ، الخبر ، السعودية .
زمزمي، يحيى محمد زيدان، عبدالكريم	الحوار آدابه وضوابطه أصول الدعوة	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، ودار رمادي ط : الرابعة ١٤١١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. والبشائر، الأردن



اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
الشوكاني، محمد بن علي	السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار	ط : الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت
الصقبي، خالد إبراهيم	مسائل في الهيئة والهدية	ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار المسلم، الرياض
الصويان، أحمد عبدالرحمن	الحوار	ط : الأولى ١٤١٣هـ، دار الوطن، الرياض
الطبري، محمد بن جرير	جامع البيان في تأويل القرآن	ط : ١٤٠٧هـ، بدون رقم ، دار الحديث، بالقاهرة
ظهير، د. فضل إلهي	من صفات الداعية الرفق واللين	ط : الثانية ١٤١٢هـ، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان
عبدالعزيز، جمعه أمين	الدعوة قواعد وأصول	ط : الأولى ١٤٠٩هـ، دار الدعوة، الاسكندرية
العدناني، د. أحمد محمد	طرق الدعوة الإسلامية	ط : ١٤٠٩هـ، المؤلف نفسه
عرجون، محمد الصادق	محمد رسول الله	ط : الأولى ١٤٠٥هـ، دار القلم، دمشق
العمار، د. حمد بن ناصر	أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة	ط : الأولى ١٤١٦هـ، دار أشبيليا، الرياض
العمرى، د. أكرم ضياء	السيرة النبوية	ط : السادسة ١٤١٥هـ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة
العودة، د. سليمان حمد	قضايا ومباحث في السيرة النبوية	ط : الأولى ١٤١٦هـ، دار المسلم، الرياض
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب	القاموس المحيط	ط : الثانية ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة. ت : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة
فيض الله، د. محمد فوزي	صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة	ط : الأولى ١٤١٦هـ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت
القيومي، أحمد بن محمد	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت
القاسم، د. خالد عبدالله	الحوار مع أهل الكتاب	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار المسلم، الرياض
القحطاني، سعيد بن علي	الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى	ط : الأولى ١٤١٥هـ ، المؤلف نفسه
القحطاني، سعيد بن علي	مقومات الداعية الناجح	ط : الأولى ١٤١٥هـ، المؤلف نفسه
القرضاوي، د. يوسف	فقه الزكاة	ط : الحادية والعشرون ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

اسم المؤلف	اسم الكتاب	بيانات الكتاب
القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري	الجامع لأحكام القرآن	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار الحديث بالقاهرة، ت : د. محمد الحفناوي
قطب، حسن عباس ورفاقه	تتمة شرح المسند لشاكر	ط : الأولى ١٤١٧هـ، مؤسسة قرطبة، ومكتبة الخزاز
قطب، سيد	في ظلال القرآن	ط : الحادية عشرة، دار الشروق، بيروت
الكاساني، علاء الدين أبويكر بن مسعود	كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع	ط : الأولى ١٤١٧هـ، دار الفكر، بيروت
الكاندهلوي، محمد يوسف	حياة الصحابة	ط : الأولى ١٤٠٨، دار الريان للتراث بمصر
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شبيب	السنن الكبرى	ط : الأولى ١٤١١هـ، ت : د. عبدالغفار البنداري وزميله
النغمشي، د. عبدالعزيز محمد	علم النفس الدعوي	ط : الأولى ١٤١٥هـ، دار المسلم، الرياض
النووي، الإمام محيي الدين يحيى بن شرف الدين	شرح صحيح مسلم	ط : الأولى ١٤٠٧هـ، دار القلم، بيروت، ت : الشيخ خليل الميس، ولجنة من العلماء
النووي، الإمام محيي الدين يحيى بن شرف الدين	المجموع شرح المذهب	ط : دار الفكر، بدون رقم وتاريخ
الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	ط : ١٤٠٦هـ، دار المعارف، بيروت
هيكل، د. محمد خير	رسالة الجهاد والقتال في السياسة الشرعية	ط : الأولى ١٤١٤هـ، دار البيارق، بيروت
الواعي، د. توفيق	الدعوة إلى الله : الرسالة، الوسيلة، الهدف	ط : الثانية ١٤١٦هـ، دار اليقين، مصر، المنصورة
الواقدي، محمد بن عمر	كتاب المغازي	ط : الثالثة ١٤٠٤هـ، دار عالم الكتب، بيروت
ياسين، د. محمد نعيم	الإيمان	ط : الرابعة ١٤٠٥هـ، بدون تاريخ ورقم
يكن، فتحي	مشكلات الدعوة والداعية	ط : الخامسة عشر ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت
يوسف، محمد خير	الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب	ط : الثانية ١٤١٤هـ، دار طويق، الرياض

بيانات الكتاب	اسم الكتاب	اسم المؤلف
ط : دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ ورقم	الأحكام السلطانية والولايات الدينية	الماوردي، علي بن محمد

فهرست

الموضوعات

التفصيلية

فهرس الموضوعات التفصيلة

الصفحة	الموضوعات
١	المقدمة
٣	أولاً : التعريف بمفردات البحث
٦	ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٧	ثالثاً : الدراسات السابقة والتراكمات العلمية :
٨	أولاً : الدراسات الجامعية
١٠	ثانياً : البحوث والتراكمات العلمية
١٢	رابعاً : أهداف الدراسة
١٣	خامساً : المشكلة البحثية وتساؤلات البحث
١٣	سادساً : منهج البحث
١٨	سابعاً : تقسيم الدراسة
١٩	ثامناً : شكر وتقدير
٢٠	الفصل الأول : مفهوم تأليف القلوب ومكانته وأنواعه :
٢١	تمهيد
٢٢	المبحث الأول : مفهوم تأليف القلوب :
٢٣	المطلب الأول : المفهوم اللغوي
٢٧	المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي للتأليف
٣٠	المبحث الثاني : مكانة التأليف في النصوص الشرعية :
٣١	المطلب الأول : مكانة التأليف في القرآن الكريم
٣١	الفرع الأول : أدلة مشروعية تأليف القلوب :
٣١	الرخصة بالإحسان للكفار غير المقاتلين
٣٥	الأمر بالمصاحبة بالمعروف للوالدين الكافرين
٣٦	مدافعة الإساءة بأعلى درجات الإحسان
٣٨	إباحة الله سبحانه وتعالى الغنائم لعباده
٤١	الفرع الثاني : أدلة وجوب التأليف عند الحاجة :
٤١	فرض الله سبحانه وتعالى للتأليف نصيباً من الزكاة

الصفحة	الموضوعات
٤٣	أمر الله بالإحسان المطلق
٤٥	المطلب الثاني : مكانة التأليف في السنة النبوية
٤٥	تأليف القلوب على الإسلام بالماديات منهج أساسي في دعوة النبي ﷺ
٤٧	التأليف هو التيسير والتبشير وضده التعسير والتنفير
٤٨	رغبته ﷺ بالمال لعمر بن العاص تأليفاً لقلبه على الجهاد
٥٠	المطلب الثالث : ما جاء عن السلف في تأليف القلوب
٥٠	الفرع الأول : ما جاء عن بعض السلف في تأليف القلوب
٥٤	الفرع الثاني : بيان حقيقة موقف المنع من التأليف
٥٥	أولاً : من هم القائلون بمنع التأليف ؟ وما دليلهم ؟
٥٦	ثانياً : بطلان دعوى نسخ حكم الموافة قلوبهم في آية الصدقات .
٦٠	الفرع الثالث : فاذج لبيان حقيقة موقف عمر بن الخطاب من التأليف
٦٠	تأليفه لقلب أم كرز
٦٠	تأليفه لقلب أخيه المشرك بمكة
٦١	تأليفه لقلب الهرمزان ومن معه
٦٢	تأليفه لقلب ابنة خفاف ابن إيماء الغفاري
٦٣	المبحث الثالث : مكانة التأليف بين أساليب الدعوة
٦٤	المطلب الأول : مفهوم أساليب الدعوة إلى الله وأهميتها
٦٤	الفرع الأول : المفهوم اللغوي
٦٥	الفرع الثاني : المفهوم الاصطلاحي
٦٧	الفرع الثالث : أهمية الأساليب الدعوية
٧٠	المطلب الثاني : تعداد أساليب الدعوة إلى الله
٧٣	الفرع الأول : الأساليب القولية في الدعوة إلى الله
٧٣	أولاً : أسلوب الحكمة القولية

الصفحة	الموضوعات
٧٣	المفهوم اللغوي للحكمة
٧٤	المفهوم الاصطلاحي
٧٥	أهمية أسلوب الحكمة
٧٧	ثانياً : أسلوب الموعظة الحسنة
٧٧	مفهوم الموعظة الحسنة
٧٧	معنى الترغيب والترهيب
٧٨	ثالثاً : أسلوب الجدل بالتي هي أحسن
٧٨	مفهوم الجدل
٨١	الفرع الثاني : الأساليب العملية في الدعوة إلى الله
٨١	أولاً : أسلوب الحكمة العملية
٨٢	ثانياً : أسلوب القدوة الحسنة
٨٢	مفهوم القدوة
٨٣	أنواع القدوة
٨٤	أصول القدوة
٨٤	الأصل الأول : حسن الخلق
٨٥	الأصل الثاني : موافقة العمل للقول
٨٦	ثالثاً : أسلوب القوة :
٦٨	مفهوم الجهاد
٩٠	المطلب الثالث : مميزات أسلوب تأليف القلوب في الدعوة إلى الله
٩٠	أولاً : يجتمع في أسلوب التأليف عدة أساليب
٩٠	ثانياً : أسلوب التأليف يركز على ميل الإنسان الفطري للمال
٩١	ثالثاً : أسلوب التأليف يحقق كثير من المقاصد الدعوية
٩١	رابعاً : أسلوب التأليف يناسب تعدد أصناف المدعوين واختلاف الطبائع
٩١	خامساً : أسلوب التأليف يناسب اختلاف الأحوال والظروف للدعوة

الصفحة	الموضوعات
٩٢	سادساً : أسلوب التأليف من الجهاد في سبيل الله
٩٢	سابعاً : كلام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في أهمية التأليف وتمييزه
٩٢	ثامناً : أسلوب التأليف يستخدمه الكفار لتحقيق أهدافهم :
٩٢	التأليف على الكفر في العصر النبوي
٩٢	النموذج الأول : مساومة قريش للرسول بالملك والزواج من خيرة نساء قريش
٩٢	التأليف ضد الدعوة الإسلامية في العصر النبوي
٩٣	النموذج الثاني : إهداء قريش الأموال للنجاشي لكي يسلمهم المهاجرين
٩٤	التأليف على الكفر في العصر الحاضر
٩٤	النموذج الأول : مانقله الأشقر عن ريموند جويس
٩٥	النموذج الثاني : ماجاء في مجلة البيان عن التنصير في مالي
٩٧	المبحث الرابع : أنواع تأليف القلوب
٩٧	المطلب الأول : التأليف المعنوي
٩٨	إلانة القول مع من قال بنس أخو العشيرة
٩٩	قول أبي الدرداء رضي الله عنه : إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم
٩٩ - ١٠٠	تأليفه ﷺ لقلب خالد بن الوليد
١٠١	المطلب الثاني : التأليف المادي للقلوب
١٠٢	الفرع الأول : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصل المال :
١٠٢	القسم الأول : تأليف القلوب بأموال الزكاة
١٠٢	سياق المسألة الخلافية في ذلك مع الترجيح
١٠٥	القسم الثاني : تأليف القلوب بالأموال الأخرى «غير الزكاة»
١٠٦	الفرع الثاني : تقسيم التأليف المادي باعتبار أصناف المدعويين :
١٠٦	القسم الأول : التأليف المادي لقلوب المسلمين
١٠٦	تأليفه ﷺ لقلب جابر بن عبدالله رضي الله عنه
١٠٨	تأليفه ﷺ لقلب المسور بن مخزومة رضي الله عنه

الصفحة	الموضوعات
١٠٨	القسم الثاني : التأليف المادي لقلوب الكفار
١٠٩	تأليفه ﷺ لمن معه من الطلقاء بعد حنين
١٠٩	تأليفه ﷺ لأربعة نفر من صناديد نجد
١١٠	الفرع الثالث : تقسيم التأليف المادي باعتبار كيفية التأليف :
١١٠	القسم الأول : التأليف المادي بشكل جماعي
١١٠	القسم الثاني : التأليف المادي للأفراد
١١١	الفصل الثاني : مقاصد تأليف القلوب
١١٢	تمهيد :
١١٢	مفهوم مقاصد التأليف
١١٤	المبحث الأول : تأليف قلب المدعو للدخول في الإسلام
١١٦	المطلب الأول : مفهوم الدخول في الإسلام وأهميته
١١٦	الفرع الأول : مفهوم الدخول في الإسلام
١١٧	الفرع الثاني : أهمية التأليف للدخول في الإسلام
	المطلب الثاني : استخدام الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم
١٢٠	التأليف للدخول في الإسلام
١٢٠	الفرع الأول : استخدام الرسول ﷺ التأليف للدخول في الإسلام
١٢٠	المسلك الأول : تأليفه ﷺ القلوب جماعياً للدخول في الإسلام
١٢٠	عطاؤه بعد حنين قريشاً والطلاء
١٢٢	المسلك الثاني : تأليفه ﷺ قلوب الأفراد لإدخالهم في الإسلام
١٢٢	عطاؤه لأبي سفيان بن حرب ، والأقرع ، وعيينة
١٢٢	عطاؤه صفوان بن أمية
١٢٣	إرجاعه الأموال لأبي العاص بن الربيع
١٢٤	تأليفه قلب الجارود بن المعلى بتحمل الدين عنه
١٢٤	تأليفه قلب مالك بن عوف النصري
١٢٥	المن على الأعرابي الذي أراد قتله عليه الصلاة والسلام

الصفحة	الموضوعات
١٢٦	عطاؤه للرجل الذي جاء يتقاضاه فأغلظ
١٢٧	عطاؤه لثمامة بن أثال وإسلامه بسبب ذلك
١٢٨	المنّ على سفانة بنت حاتم الطائي
١٢٩	الفرع الثاني : استخدام الصحابة رضي الله عنهم التأليف للدخول في الإسلام
١٢٩	تأليف عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلب أم كرز
١٢٩	تأليف عمر قلب أخاه المشرك بمكة
١٣٠	تأليف ابن عمر قلب جاره اليهودي
١٣١	المبحث الثاني : تأليف المدعو لزيادة إيمانه
١٣٣	المطلب الأول : مفهوم زيادة الإيمان ، وأهميته
١٣٣	الفرع الأول : مفهوم زيادة الإيمان
١٣٥	الفرع الثاني : أهمية التأليف لزيادة الإيمان
١٣٩	المطلب الثاني : استخدام الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم التأليف لزيادة الإيمان
١٣٩	الفرع الأول : استخدام الرسول ﷺ التأليف لزيادة الإيمان
١٣٩	المسلك الأول : تأليف قلوب الجماعات لزيادة الإيمان
١٣٩	تأليفه ﷺ أناساً من الأنصار
١٤٠	تأليفه ﷺ لأصحاب السفينة العائدين من الحبشة
١٤١	تأليفه ﷺ لرهط قدموا مع أبي هريرة من قومه
١٤٢	المسلك الثاني : تأليف قلوب الأفراد لزيادة الإيمان
١٤٢	تأليفه ﷺ لقلب الزبير بن العوام بإقطاعه الأرض
١٤٣	تأليفه ﷺ لقلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإعطائه المال
١٤٤	تأليفه ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بإعطائه الكسوة
١٤٤	تأليفه ﷺ لجابر بن عبدالله رضي الله عنه بإعطائه الجمل وقيمته وزيادة عليها
١٤٥	تأليفه ﷺ لعبدالله بن عمر بإعطائه الجمل
١٤٦	تأليفه ﷺ لعمر ، وعلي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد بإعطائهم الخلل
١٤٧	وعده ﷺ لجابر بن عبدالله بعطاء من مال البحرين ووفاء أبي بكر بذلك
١٤٧	عطاؤه ﷺ للعباس بن عبدالمطلب المال الكثير

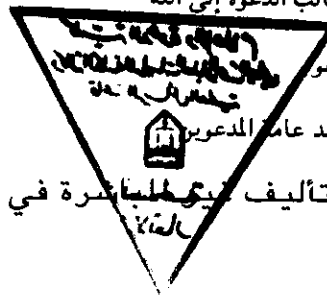
الصفحة	الموضوعات
١٤٨	عطاؤه ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم بعد قدومهم من الحبشة
١٤٨	عطاؤه ﷺ لأبي طيبة الغلام الحجام
١٤٨	الفرع الثاني : استخدام الصحابة رضي الله عنهم التأليف لزيادة الإيمان
١٤٩	عطاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمالك بن أوس المال لتوزيعه على قبيلته
١٤٩	عطاء الفاروق رضي الله عنه لعبدالله بن السعدي
١٥٠	البحث الثالث : تأليف المدعو لحمايته من الردة
١٥٢	المطلب الأول : مفهوم مقصد الحماية من الردة وأهميته
١٥٢	الفرع الأول : مفهوم الحماية من الردة
١٥٤	الفرع الثاني : أهمية التأليف حماية من الردة
١٥٨	المطلب الثاني : استخدام الرسول ﷺ التأليف لحماية المدعو من الردة
١٥٨	الفرع الأول : استخدام الرسول ﷺ التأليف بشكل جماعي للحماية من الردة
١٥٨	عطاؤه ﷺ لأناس عند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
١٥٨	عطاؤه ﷺ لقوم فيهم عمرو بن تغلب رضي الله عنه
١٥٩	عطاؤه ﷺ للطلقاء من قريش بعد حنين
١٦٠	عطاؤه ﷺ لقبيلة هوازن
١٦١	عطاؤه للوفود
١٦٢	الفرع الثاني : استخدامه ﷺ التأليف لحماية الأفراد من الردة
١٦٣	عطاؤه لعبينه بن حصن والأقرع بن حابس بعد حنين
١٦٤	عطاؤه أفراداً من رؤساء القبائل من صناديد نجد
١٦٥	البحث الرابع : تأليف المدعو لجلب مصلحة عامة مع بقائه على الكفر
١٦٧	المطلب الأول : مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة وأهميته
١٦٧	الفرع الأول : مفهوم التأليف لجلب مصلحة عامة
١٦٨	الفرع الثاني : أهمية التأليف لجلب مصلحة عامة
١٧٠	المطلب الثاني : استخدام الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم التأليف لجلب المصالح العامة
١٧٠	الفرع الأول : تأليف الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم القلوب لجلب

الصفحة	الموضوعات
	المصالح بشكل جماعي
١٧٠	عطاؤه ﷺ للطلاق من قريش
١٧١	إبقاؤه ﷺ لليهود في المزارع ليكفؤهم العمل ولهم نصف الثمر
١٧٢	عطاء عمر لقبيلة بجيلة ليشجع الناس على الجهاد بعد القادسية
	الفرع الثاني : تأليف الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الأفراد لطلب مصلحة عامة
١٧٣	عطاؤه ﷺ لبعض الأفراد من صناديد قريش
١٧٤	البحث الخامس : تأليف المدعو لكف شره مع بقائه على الكفر
١٧٦	المطلب الأول : مفهوم تأليف القلوب لكف شر المدعو ، وأهميته
١٧٦	الفرع الأول : مفهوم التأليف لكف شر المدعو
١٧٦	الفرع الثاني : أهمية التأليف لكف شر المدعو
١٧٩	المطلب الثاني : استخدام الرسول ﷺ التأليف لكف الشر
١٧٩	الفرع الأول : تألف الرسول ﷺ القلوب جمعياً لكف الشر
١٧٩	عطاؤه ﷺ لأناس سألوه بفحش ومراجعة عمر بن الخطاب له في ذلك
١٨٠	عطاؤه ﷺ لأناس إذا أعطوا مدحوا الدين وإذا لم يعطوا عابوه وتركوه
١٨١	عطاؤه ﷺ للأعراب الذين اضطروه إلى شجرة خطفت رداءه وقوله في ذلك
١٨٢	الفرع الثاني : تأليف الرسول ﷺ قلوب الأفراد لكف الشر
١٨٢	عطاؤه لمخرمة بن نوفل رضي الله عنه
١٨٣	زيادته للعباس بن مرداس حتى صار مثل أقرانه عيننة والأقرع
١٨٣	عطاؤه ﷺ لمن استقل التمرة من رسول الله ﷺ
١٨٤	عطاؤه ﷺ لأعرابي جذب رداءه جذبة أثرت في عنقه
١٨٤	عطاؤه ﷺ لمن أغلظ القول في مقاضاته له
١٨٦	الفصل الثالث : ضوابط تأليف القلوب
١٨٧	تمهيد
١٨٧	مفهوم الضوابط

الصفحة	الموضوعات
١٨٧	أهمية الضوابط
١٨٩	المبحث الأول : سلامة وسائل التأليف
١٩١	المطلب الأول : مفهوم سلامة وسائل التأليف وأهميتها
١٩١	أولاً : مفهوم سلامة الوسيلة
١٩١	ثانياً : أهمية ضوابط وسائل التأليف
١٩٣	المطلب الثاني : ضوابط وسائل التأليف
١٩٣	أولاً : مايتعلق بالداعية
١٩٤	ثانياً : مايتعلق بالمدعو
١٩٤	١ - أن يكون المؤلف قلبه شخصاً فقيراً . « مناقشة هذا الضابط مع الترجيح »
١٩٥	٢ - أن لا يكون المراد تأليفه محارباً .
١٩٥	ثالثاً : مايتعلق بمادة التأليف
١٩٥	١ - أن لا يؤلف الكفار بما لا يزكاة « مع مناقشة هذا الضابط مع الترجيح »
١٩٦	٢ - أن لا يؤلف بحرام، أو ما يكون وسيلة إلى حرام
١٩٦	٣ - أن تكون نوعية مادة التأليف على حسب أحوال المدعويين
١٩٨	المبحث الثاني : صواب الغاية من التأليف
٢٠٠	المطلب الأول : مفهوم صواب الغاية من التأليف وأهميتها
٢٠٠	أولاً : مفهوم صواب الغاية من التأليف
٢٠١	ثانياً : أهمية ضوابط صواب الغاية من التأليف
٢٠٢	المطلب الثاني : ضوابط صواب الغاية من التأليف :
٢٠٢	١ - أن يغلب على الظن تحقق المقاصد الدعوية
٢٠٤	٢ - الحذر من أن يؤثر على الداعية في تأليفه هوى النفس
٢٠٥	٣ - أن يُقدم المقصد الذي تكون مصلحة الدين فيه أنفع وأعظم
٢٠٦	المبحث الثالث : رعاية المصالح في التأليف
٢٠٨	المطلب الأول : مفهوم وأهمية رعاية المصلحة في التأليف
٢٠٨	أولاً : مفهوم رعاية المصلحة

الصفحة	الموضوعات
٢٠٩	ثانياً : أهمية التأليف لرعاية المصلحة
٢١٣	المطلب الثاني : ضوابط رعاية المصلحة في التأليف
٢١٣	أولاً : الضوابط المتعلقة بالداعية في رعاية المصلحة :
٢١٣	١ - أن يغلب على ظنه وجود مصلحة مع رجحان تحققها
٢١٥	٢ - الحذر من تجاوز الحدود الشرعية في التأليف
٢١٦	٣ - أن يدخل التأليف في سلم الأولويات عند الداعية
٢١٨	٤ - عدم الإسراف والزيادة عن قدر الحاجة في التأليف
٢١٩	ثانياً : الضوابط العامة لرعاية المصلحة في التأليف
٢١٩	١ - أن يستغل التأليف في توجيه المدعو وتعليمه
٢٢١	٢ - أن لا يكون التأليف سبباً في انشغال المدعو عن الواجبات دعوية
٢٢١	٣ - أن لا يتألف الأفراد بما يخل بالمصلحة العامة
٢٢٣	٤ - عدم التفضيل في التأليف الجماعي بدرجة تفسد بين المدعويين
٢٢٤	٥ - عدم التأليف في مواضع الشدة والحزم
٢٢٤	٦ - الاعتدال في استخدام الأسلوب
٢٢٦	الفصل الرابع : آثار تأليف القلوب
٢٢٨	تهديد
٢٢٨	المطلب الأول : مفهوم آثار تأليف القلوب
٢٢٨	المفهوم اللغوي
٢٢٨	المفهوم الاصطلاحي
٢٣٠	المطلب الثاني : أهمية دراسة آثار تأليف القلوب
٢٣٣	المبحث الأول : آثار التأليف المباشرة
٢٣٥	المطلب الأول : آثار التأليف المباشرة في العصر النبوي :
٢٣٥	١ - الدخول في الإسلام .
٢٣٧	٢ - زيادة الإيمان .
٢٣٨	٣ - حماية المدعو من الردة .

الصفحة	الموضوعات
٢٣٩	٤ - جلب المصالح العامة
٢٤٠	٥ - كف شر المدعو
٢٤٢	المطلب الثاني : آثار التأليف المباشرة في العصر الحاضر
٢٤٢	١ - الدخول في الإسلام
٢٤٤	٢ - زيادة الإيمان
٢٤٥	٣ - حماية المدعو من الردة
٢٤٦	٤ - جلب المصالح العامة
٢٤٦	٥ - كف شر المدعو
٢٤٨	البحث الثاني : آثار التأليف غير المباشرة
	المطلب الأول : آثار التأليف غير المباشرة في العصر
٢٥٠	النبوي
٢٥٠	١ - قيام المدعو بالدعوة إلى الله
٢٥٢	٢ - تقوية المجتمع المسلم وتعزيز جانب الدعوة إلى الله
٢٥٤	٣ - قوة أثر التوجيه في نفس المدعو
٢٥٥	٤ - تصحيح التصورات الخاطئة عند عامة المدعوين
	المطلب الثاني : آثار التأليف غير المباشرة في العصر
٢٥٧	الحاضر
٢٥٧	١ - قيام الداعية بالدعوة إلى الله
٢٥٨	٢ - تقوية المجتمع المسلم
٢٥٩	٣ - قوة أثر التوجيه في نفس المدعو
٢٦٠	خاتمة الدراسة
٢٦١	أهم نتائج
٢٦٢	التوصيات



الصفحة	الموضوعات
	الفهارس
٢٦٤	فهرس الآيات القرآنية الواردة في الدراسة
٢٦٥	فهرس الأحاديث النبوية الواردة في الدراسة
٢٦٩	فهرس الآثار الواردة في الدراسة
٢٧٣	فهرس القصص والسيرة النبوية
٢٧٦	فهرس الأعلام المترجم لهم في الدراسة
٢٧٩	فهرس الألفاظ الغربية الموضحة في الدراسة
٢٨٢	فهرس بالأماكن الموضحة في الدراسة
٢٨٦	قائمة بأهم المراجع والمصادر
٢٨٨	فهرس تفصيلي للموضوعات
٢٩٩	